

مجلة متخصصة بالعلوم الإنسانية والفكر والمجتمع

مجلة أكاديمية فصلية محكمة

تصدر عن مركز الإصباح للتعليم و الدراسات الحضارية والإستراتيجية



مجلة الإصباح

العدد 03 أغسطس 2019

(online) ISSN 2649-4744

-العقل الجيواستراتيجي بين الجغرافيا الاجتماعية والجيوسياسية (د. جمال محمد الهاشمي)

- الأمن القومي... النهج والهيكلة والمستوى (د. ميثاق بيات الصيفي)

-النسب من قبل الأم (د.م تزية اقصري)

-العلوم الإنسانية وسيبولوجيا العلم المعاصر (د. قاسم الخبشي)

- التخطيط اللغوي وتنمية اللغة العربية (د. بوجمعة وعلي)

- أثر التدريس وفقاً لنموذج تحفيز التفكير الذهني في التحصيل الدراسي لدى طلبة قسم الفيزياء - كلية التربية

(م. د. ايثار عبد الحसन قاسم)

-أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم اللغة الإنجليزية من وجهة نظر

معلمي المادة بمحافظة عدن (د. عبد السلام عوض أحمد لبهص ، د. ادريس سلطان أحمد مقبل)

-الادارة المتكاملة للموارد المائية لحوض دلتا تبين (د.م حسن احمد حنبلة)

- معايير مقترحة لإعادة توظيف المباني التراثية في منطقة الحارطوم الكبرى؛ كمدخل للحفاظ عليها

(د. ندى محمد رمضان عبد الحفي)

- الحسّ الوقائي في تراث العصران الصحراوي الجزائري: قصر تمطيط بولاية أدرار نموذجاً

(السيد عبد الحميد بن حاج خليفة)

-قراءة في كتاب الخليج العربي بين إشكاليات التحولات الحضارية وصناعة العمق الاستراتيجي (د. سناء محمد الغريص)

Revue spécialisée en sciences humaines,
pensée et communauté, publiée par centre
Al-Isbaah pour les études civilisationnelles et
stratégiques

هيئة التحرير

- د. جمال محمد الهاشمي - رئيساً
د. ميثاق بيات الضيفي - نائباً
د. سناء محمد عبد الله العريض - أمينا

أعضاء المجلس الإداري

- د. كرستين شوفالية
د. كمال أنطاكي
د. وليد العدوفي
أ. سامية جلال وهاب
أ. برديس الأغبري
عضواً مساعداً
عضواً مساعداً
عضواً مساعداً
مديراً إدارياً مسؤول العلاقات العامة
مديراً تنفيذياً ومفوضاً مساعداً للرئيس

أعضاء الإدارة

- أ. سنيينة الزهرة
مدير التصميم والموقع الإلكتروني

سكرتيرة المركز	أ. أروى عبد الوهاب
مراجعاً	أ. عبد الحميد الخطيب
	لغوياً
مراجعاً	أ. سمر القدسي
	لغوياً
مراجعاً	أ. محمد الفيلاي
	لغوياً
مستشاراً مالياً	أ. عبد القوي السلمي
مترجماً	أ. طارق القباضي
مترجماً	أ. مبروك العود
عضواً إعلامياً	أ. وائل حزام سالم

الهيئة الاستشارية العلمية

- د. جمال محمد الهاشمي
رئيس مركز الإصباح.
رئيس اللجنة العلمية -
- د. ميثاق بيات الأضيبي
بجامعة تكريت - العراق
أستاذ التعليم العالي -
- أ.د. أحمد العمراني
بجامعة محمد الخامس - المغرب
أستاذ التعليم العالي -
- أ.د. بوجمعة بوعلي
المغرب
أستاذ التعليم الثانوي -
- أ.د. صفوت كمال روفائيل
بجامعة القاهرة - مصر
أستاذ التعليم العالي -
- أ.د. عبد العلي حامي الدين
بجامعة محمد الخامس - المغرب
أستاذ التعليم العالي -
- أ.د. عبد الله عبده أبو الغيث
بجامعة صنعاء - اليمن
أستاذ التعليم العالي -
- أ.د. فهد مطلق العتيبي
بجامعة محمد بن سعود - السعودية
أستاذ التعليم العالي -

- أ.د. محمد رفيع
بجامعة فاس - المغرب
- أستاذ التعليم العالي
- د.أ.م أحمد الفراك
بجامعة عبد المالك السعدي-المغرب
- أستاذ التعليم العالي
- د. خالد عبد القادر
والفكر الإسلامي - لبنان
- أستاذ الأصول والفقہ
- د.م اعتزاز عبد الرحمن مصطفى
بجامعة جازان -السعودية
- أستاذة التعليم العالي
- د. صفوت عيضاة
أستاذ الأصول-الأردن
- عضو لجنة الإفتاء
- د. أ.م ندى محمد رمضان عبد الحي
بجامعة العلوم الطبية والتكنولوجيا-السودان.
- أستاذ التعليم العالي
- د.أ.م هاني عبادي مغلس
بجامعة صنعاء - اليمن
- أستاذ التعليم العالي
- د.أ.م سميرة مالكي
بجامعة وهران (2) - الجزائر
- أستاذ التعليم العالي
- د.أ.م فاطمة بن خليفة
بجامعة غليزان - الجزائر
- أستاذ التعليم العالي
- د.أ.م فرح الفاضلي
بجامعة المستقبل-العراق
- أستاذة التعليم العالي

د.أ.م سنيينة فضيلة

أستاذة التعليم العالي -

بجامعة الظاهري محمد-بشار - الجزائر

د.أ.م رسول بلاوي

أستاذ التعليم العالي -

بجامعة الخليج - الجمهورية الإسلامية الإيرانية



بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الإصباح الإلكترونية مجلة علمية عامة محكمة
تصدر عن مركز الإصباح للتعليم والدراسات الحضارية
والاستراتيجية - فرنسا

**Titre clé : Revue des lumières = ISSN
2649-4744**

Bibliothèque nationale de France

مجلة الإصباح مجلة أستوحي أسمها من بياض النهار الهادئ
المنبثق عن الشمس في أوله بهدوء من غير نار؛ ويعني الإرادة
الصلبة والحركة الناعمة القائمة على الاجتهاد التوكل والتجديد
كما يرمز للسعادة والجمال والتغيير والمقاومة والبناء.

عن الاهتمام

جميع المقالات والدراسات العلمية والمنهجية التي تتبنى قضية
محورية وتعالج موضوعا معينا في جميع التخصصات.

الشروط العامة للنشر

يحدد مركز الإصباح للتعليم والدراسات الحضارية والاستراتيجية

**Centre Al-isbaah pour l'éducation et les
études civilisationnelles et stratégiques**

شروط النشر في كل من:

مجلة توازن للدراسات الحضارية والتنمية والاستراتيجية
برقمها المعياري (ISSN 9105-2650)

Titre clé : Revue Tawāzun Revue académique
périodique spécialisée en sciences politiques et
sciences humaines, pensée, civilisation et dé-
veloppement: ISSN 2650-9105 Bibliothèque
nationale de France .

مجلة الإصباح للعلوم الإنسانية والفكر والسياسة والمجتمع
(ISSN 2649-4744)

Titre clé : Revue des lumières = ISSN 2649
4744 Bibliothèque nationale de France

أولاً: الإجراءات العامة

أن يكون البحث قد كتب لمجلة الإصباح وألا يكون قد أرسل لمجلة قبلها أو نشر كلاً أو منه شيئاً أو ما يشبهه في أية وسيلة نشر ورقية أو الكترونية أو قدم في أحد المؤتمرات العلمية أو بأية طرق من الطرق التي تنفي عنه خصوصية إعداده للمجلة.

- أن يرفق البحث بصورة من الوثيقة الشخصية وصورة من المؤهل والسيرة ذاتية (CV) بأحد اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية.

- أن يكتب عنوان البحث مدونا باللغة العربية والإنجليزية أو العربية والفرنسية.

- أن يحدد الباحث الجهة التي يعمل بها ويقدم تعريفاً موجزاً عنها بلغته الأم.

- أن يكتب ملخصاً عن الموضوع باللغة العربية والإنجليزية أو العربية والفرنسية بما لا يزيد عن (1000) كلمة.

- أن يحدد المفاهيم الرئيسية والإشكالية البحثية وكيفية تناول المنهجي والنتائج البحثية بأسلوب الباحث دون اجتراء من البحث المكتوب.

- أن يرفق البحث بقائمة النقول وفق تقسيماتها إلى (المراجع "الكتب التي لها اعتبارات مقدسة كالكتب الدينية والتاريخية والأصولية، المصادر "الحديثة والمعاصرة، ثم المترجمة، فالمصادر بلغاتها الأجنبية).
- أن يتقيد الباحث بلائحة التوثيق وفقاً لاختيارات المجلة والتي يقوم عليها المركز.
- لا تنشر المجلة أي بحوث قدمت من قبل لنيل درجة علمية أو قد سبق نشره في أي من المجالات السابقة أو تم إرساله إلى أية مجلات أخرى.
- أن يكون البحث معداً وفقاً لأهداف المجلة ومشروعها الحضاري ورسالتها البحثية.
- تنشر المجلة المراجعات النقدية للكتب الحديثة والمهمة التي تتناول بعضاً من اهتمامها بأية لغة أجنبية بما لا يزيد عن 3500 كلمة وتخضع هذه المراجعة لقواعد التحكيم.
- تنشر المجلة الكتابات التي تتعلق بالمنهج والنظريات والإقترابات والمناقشات أو الأفكار الجديدة وفقاً لقواعد التحكيم
- تنشر المجلة البحوث العلمية بما لا يزيد عن 10000 كلمة وتستنثني البحوث المهمة التي لا يمكن اختصارها ولا تكتمل الرؤية دون ذلك.
- لا تقبل الأشكال والرسوم والجداول التي ترسل صوراً دون وضعها الأصلي المخصص للمجلة وأن تكون بحسب اكسل (Excel) أو وورد (Word).

- تنشر المجلة البحوث وفقاً لمضمونها وفانديتها ومنهاجيتها ولا تأخذ بعين الاعتبار مكانة الباحث الاجتماعية والسياسية والأكاديمية والسيرة الذاتية.
- تتبنى المجلة نشر البحوث باللغتين الفرنسية والإنجليزية مع ارفاق ملخص مستوفي المعايير باللغة العربية.
- تتبنى المجلة نشر البحوث العلمية بأحد اللغات الثلاث أو بها جميعاً.
- تختلف معايير التقييم بالنسبة للمجلتين الصادرتين عن المركز في كل من مجلة توازن ومجلة الإصباح.

ثانياً: الإجراءات البحثية

- أن يتبع المؤلف الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث فيما يتعلق بإحالة المعلومات إلى مصادرها وتوثيق الاقتباس والأمانة العلمية في النقل والتهميش.
- للمقالات باللغة العربية، يتم تنسيق الورقة على قياس A4 وبخط 12 ونوع (simplified Arabic) للمتن، وخط الهامش 9. أما بالنسبة للعناوين تكون بخط Gras16 وبمسافة 1.00.

- للمقالات باللغة الأجنبية، يتم تنسيق الورقة على قياس A4 وبخط 12 ونوع (Times New Roman) للمتن. أما بالنسبة للعناوين تكون بخط Gras16 وبمسافة 1.00.
- هوامش الصفحة من أعلى 2.5 وأسفل 2.5 وأيمن 3 وأيسر 3، رأس الورقة 2، أسفل الورقة 2 حجم الورقة عادي (A4).
- أن تكون الهوامش أسفل الصفحة أوتوماتيكيا (مهما جدا)
- أن يكون المقال خاليا من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعة قدر الإمكان.
- أن تلتزم الدراسات الميدانية بالمنهجية المعروفة في عرض المشكلة، والخطوات المنهجية، والموضوعية والتثبت، وما يتعلق بالمنهج والعينة وأدوات الدراسة والأساليب الإحصائية وعرض النتائج ومناقشتها.
- أن ترسل مادة البحث في صيغة (Word) ويتم تأكيد الاستلام في أمدتها عشرة أيام، ويتم اعلان الباحث عن نتائج التحكيم أو التعديل في مدة تتراوح بين عشرين يوما وشهر ونصف من تاريخ تأكيد الاستلام.

- ألا يتأخر الباحث عن إجراءات التعديل عن مدة أقصاها أسبوعين من تاريخ إعلامه بذلك.
- لن يتم النظر في أية بحوث تخالف الشروط الإجرائية.
- أية بحوث تحتاج للتصحيح والمتابعة والتقييم المستمر والتواصل بين الباحث وأحد أكاديمي المركز من أجل اخراج مادة البحث وفقا لمعاييره الصارمة أو أقل المعايير المطلوبة للنشر تخضع للرسوم بحسب الحالة.
- ستتغير معايير قبول البحوث في مجلة الإصباح من أدنى المعايير التي كانت في أعدادها الثلاثة الأولى محددة نسبة القبول بين 15-30 في المائة إلى 30-50 في المائة في الأعداد القادمة والتي ستبدأ من العدد الرابع.
- لا تفرض مجلة الإصباح أية رسوم مجانية على النشر في الوقت الحالي باعتبارها مجلة رافدة للبحث العلمي ويمكن أن تتغير سياسات المركز بعد ذلك.
- لا تقبل البحوث في مجلة توازن السنوية إلا تستوفي نسبة القبول بين 70-100 في المائة في جميع أعدادها.
- يتم إعلام الباحث باستلام مادة البحث في مجلة توازن في مدة أقصاها أسبوعين، ويتم إعلان الباحث عن تحويل

اللجنة العلمية البحث المقدم للتحكيم والنشر إلى أحد المحكمين في مدة أقصاها شهرا ويعلن نتائج التحكيم في مدة لا تزيد عن شهرين.

- يتم نشر البحوث في مجلة توازن برسوم رمزية ويتم ارسال نسخة مجانية للباحث شريطة التزامه برسوم الإرسال.
- يُعفى الباحث عن الرسوم في حالة تقديمه البحث الحاصل على نسبة مائة بالمائة فيما يخص البحوث المتعلقة بقضية التعليم.

أسلوب كتابة الهوامش وعرض المراجع:

- الكتب:

1- اسم المؤلف، عنوان الكتاب، ط (مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر) رقم الصّفحة

2- اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المترجم أو المحرّر، ط (م.ن: دن، ت.ن) رقم الصّفحة.

3- اسم المترجم أو المحرر " محررا أو "مترجما" إذا كان المؤلف مجهولا، ثم عنوان الكتاب. إلخ.

إذا وجد أكثر من مؤلف أو محرر أو مترجم يكتب:

1- اسم الأول منهم ويتبع بين علامتين "وآخرون".

وإذا تعدد الاقتباس من نفس المرجع يكتب:

1-المرجع نفسه، ص. إذا تُلي مباشرة للمرجع؛ يكتب: مرجع سابق، إذا فصل عنه بمرجع آخر، ويضاف لقب المؤلف فقط دون تكرار الاسم كاملاً، ويلحق، مرجع سابق، ص 20. أما إذا وجد للمؤلف أكثر من مرجع فيكتب لقب المؤلف مع الكلمة الأولى من عنوان الدراسة.

• الدوريات

اسم المؤلف، "عنوان الدراسة أو المقالة"، اسم المجلة، رقم المجلد، رقم العدد (سنة النشر) رقم الصفحة.

• مقالات الجرائد

اسم الكاتب، العنوان، اسم الجريدة، التاريخ/ اليوم/ الشهر/ السنة.

• المنشورات الإلكترونية

اسم الكاتب إن وجد، عنوان المقال، رقم العدد إن وجد، اسم الموقع الإلكتروني، تاريخ النشر، رابط الموقع، تاريخ الاقتباس أو النقل.

• النقول باللغات الأجنبية.

يتبع نفس النظام والترتيب المتبع في كتابة المراجع بالعربية.

- - المؤتمرات والملتقيات: الاسم الكامل لصاحب الورقة العلمية، عنوان الورقة، عنوان المؤتمر، منظم المؤتمر، البلد، التاريخ.
- ذكر قائمة المراجع في نهاية البحث وترتيبها هجائياً وفق للنظام الذي أشرنا إليه دون كتابة رقم الصفحة:
- يضع الباحث مقاله ضمن قالب المجلة قبل إرساله.

رابعاً: إجراءات التحكيم. والنشر

- يستقبل القسم المتخصص المادة المرسلة للنشر يُعلم كاتبها في غضون خمسة أيام من استلام المادة.
- تفرز اللجنة العلمية في كل قسم من الأقسام المتخصصة بالمركز الدراسات والكتب القابلة للتحكيم بعد قراءتها الأولية.
- يخضع كل بحث لعملية تحكيم سرية يقوم به أحد المحكمين المختصين بالموضوع البحثي، ومن ذوي الخبرة العلمية والمعتمد في لجان التحكيم للمركز، ثم يقدم اقتراحاته وتوصياته مع المخطوطة إلى محكم آخر لا يقل عنه درجة وخبرة وعلماً وتخصصاً، ومن ثم تعاد إلى مدير تحرير المجلة للنظر والموافقة النهائية ويكون هو المرجح في حال تباين المحكمين حول الدراسة موضوع البحث.

□ تعتذر الجهة المستقبلية عن نشر المواد التي لا تتناسب مع شروط النشر ومعاييره، وترسل المواد المقبولة للتحكيم العلمي.

□ يعلم القسم المعني بالمركز الباحثين بنتائج التحكيم (رفض الورقة، قبولها، أو قبولها المشروط بالتعديل).

□ يلتزم الباحثون بالتعديلات المطلوبة المقررة من قبل القسم الأكاديمي المعني بالأمر.

□ يقرر القسم بالمركز المعني بالدراسة نشر المادة، ويرسل النص الى قسم التحرير والتدقيق اللغوي، ويأخذ موقعه في التدقيق حسب التدرج الزمني، ثم تنشر الورقة.

خامسا: مقتضيات عامة

- يتعهد القسم باحترام الخصوصية والسرية والموضوعية والأمانة العلمية.
- تنشر البحوث وفقاً لطريقتها المنهجية والمنطقية ولا علاقة لها بالنتائج التي تتوصل إليها الكتابات المنهجية.
- لا تنشر المجلة البحوث المسيسة أو العفوية المتنافية مع منطق الحياد والموضوعية والأمانة العلمية.

- لا تدفع المجلة مكافآت مالية على البحوث والدراسات والمقالات المقدمة إليها.

شروط النشر في الدوريات:

□ مجلة توازن الورقية

- يسري عليها الشروط والمعايير السابقة كاملة مع الاستثناء المشار إليه.

ترسل مقالات المجلة على البريد:

revueequilibre@gmail.com

مجلة الإصباح الإلكترونية.

- يسري عليها الشروط والمعايير السابقة ويستثني منها مقاس الخط بالنسبة للبحوث المكتوبة بالعربية وذلك بمقاس 14-، نوع (simplified Arabic) والهامش بمقاس 12.

ترسل المقالات على البريد:

les.lumieres@yahoo.com

- الكتابات الأخرى المخصصة للموقع (تقارير، موقف، رأي، تحليل، مقالات صحفية، إداريات، نصائح، نقد، إضافات)

احاد 3

□ تكتب بمقاس 14-، نوع (simplified Arabic) والهامس بمقاس 12.

ترسل المواد على البريد:

alisbaahcenter@gmail.com

ملاحظة:

لا يعتمد المركز أي نسخة من إصدارات المركز الإلكترونية ما لم تكن متطابقة مع النسخة الموجود على موقع المركز.

قائمة المحتويات

رقم	البحوث	الباحث	الصفحة
0	مقدمة العدد: أخلاقيات البحوث التحليلية	د. ميثاق الضيفي	21
1	كلمة التحرير	د. جمال الهاشمي	23
2	العقل الجيوستراتيجي بين الجغرافيا الاجتماعية والجيوسياسية	د. جمال الهاشمي	28
3	الأمن القومي... النهج والهيكلية والمستوى	د. ميثاق الضيفي	70
4	النسب من قبل الأم	د. ثرية اقصري	107
5	العلوم الإنسانية وسيولوجيا العلم المعاصر	أ.د. قاسم المحبشي	135
6	التخطيط اللغوي وتنمية اللغة العربية	أ.د. بوجمعة وعلي	185
7	أثر التدريس وفقاً لأنموذج تحفيز التفكير الذهني في التحصيل الدراسي لدى طلبة قسم الفيزياء -كلية التربية	د. ايثار المياحي	201
8	أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم اللغة الإنجليزية من وجهة نظر معلمي المادة بمحافظة عدن	د. عبد السلام البهص د. ادريس مقبل	250
9	الادارة المتكاملة للموارد المائية لحوض دلتا تبين	د. حسن حنبلة	332
10	معايير مقترحة لإعادة توظيف المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى؛ كمدخل للحفاظ عليها	د.ندى محمد رمضان عبد الحي	370

409	ا. عبد الحميد خليفة	الحسّ الوقائي في تراث العمران الصحراوي الجزائري: قصر منطيط بولاية أدرار نموذجا	11
450	د. سناء محمد الغريص	قراءة في كتاب الخليج العربي بين إشكاليات التحولات الحضارية وصناعة العمق الاستراتيجي	12

مقدمة العدد:

أخلاقيات البحوث التحليلية

بقلم/ د. ميثاق بيات أضيفي

النماذج البحثية والتربوية ما هي إلا صور مفاهيمية لنماذج تحليلية وتعليمية أساسية معينة توصف وتفسر من وجهة نظر معرفية كحلول تطبيقية من حيث المفاهيم العامة والمفاهيم الخاصة باعتبارها فرعاً خاصاً من المعرفة العلمية، وتلك الخصائص المفاهيمية تسمح بتقديم خيارات متنوعة للجمع بين نماذج التعليم والتعلم للعمليات البحثية والمعرفة التطويرية وتفعيلها وتحسينها وتغليبها في ظل هذه الظروف التي تمر بها المؤسسات التعليمية والجامعية، ولذلك نرى أن دراسة التقاليد البحثية والتعليمية لكل دولة تعكس تنوعاً تاريخياً يمكن تفعيله لاستعادة الصورة العامة للتاريخ العلمي والبحثي والمعرفي وإعادة تفعيله لمواكبة التطور العلمي الحضاري. وعبر ذلك نجد أن علوم المعرفة الإنسانية تمتاز بخصوصية تفردها عن بقية المعارف والعلوم الدقيقة لأنها تتشابك مع المصالح البشرية، والتمسك بقواعد الأخلاق المنهجية يزيد من درجات موضوعيتها، مع مراعاة العواقب الإنسانية القيمة المحتملة لإجراءاتها كما يجب دعم النظريات بحقائق مقنعة تترايط مع الأدلة العلمية، مع ضرورة اكتساب المعرفة من خلال التقنيات

المتاحة والمعلوماتية لضبط المعايير المنهجية، ومن ذلك نلاحظ انه وحتى البيانات والمعلومات المستخدمة كدليل لدعم ودحض النظريات المعرفية تجعل التحليل العلمي افتراضيا وهذا لا يمنع الباحث من أن يقدم رؤيته وفقاً لقواعد المنطق والأدلة المتاحة.

كلمة التحرير

بقلم/ د. جمال الهاشمي.

ارتبط موضوع البحث العلمي بموضوع العقل والوحي والتجربة منذ نزول المخلوق الإنساني على هذه البسيطة وانتقاله من عالم الكمال والعصمة إلى عالم النقص والخطيئة وترتب عليه البحث عن الكمال من خلال تلك الأدوات الثلاثة المنهجية للتداول المعرفي وهو ما جعل التفاوت بين البشر طبيعة عامة لا تتم إلا بالتكامل الإنساني لبعضه وسبر أغوار المعارف الناقصة بترباط وتراحم الباحثين للبحث عن الحقيقة من قبل النخب المندفعة بعقلانية ووعي نحو نسبية الكمال من أجل هداية العامة.

والغالب في البحوث العلمية فصل الذات عن الموضوع والتقليد عن التجديد والابداع عن الابتداع وقليل من القلة الذين يفهمون هذه المفارقة ويسعون لتصحيحها في بناء مجتمع قيمي أكثر واقعية وإنسانية.

ولما كان البحث العلمي من الأهمية بمكان وبمنزلة العلم الوريث للنبوة وحضارة الإنسانية عبر أزمنتها الغابرة لما يفنيه الباحث من أجل الوصول إلى المعرفة التي هي معيار واعيا لتزكية العقل بمنطق الوعي وكوعاء للاستدلال وكموطن للخطاب ومناطق للتكليف وتمييز له قبل أن يتلوث العقل العربي

المعاصر بعبودية التقليد والتلصص والدونية والقهر والتبعية لأشخاص من العالم الحديث أو القديم أو لحضارات أخرى وتستخدم كنماذج مرجعية تصنع عبودية الإنسان للإنسان في قوالب مختلفة من الشرعية أو الأيدولوجيات الحضارية التي تحاول فرض هيمنتها على العالم كقيمة مرجعية مطلقة.

هذه الأزمة المفارقة بين العقل ووظيفته وبين النص وقواعده وبين المعتقد وكرائمه قد شكل مجتمعات متعددة في البحث عن قيمة العقل وتميزه وربما احتكاره لفئة دون أخرى عبر رسائل نفسية تضعف من استغلال العقل وتحفره لما يقتله من تقليد وانتهازية وسلوكيات انتقادية أو جدلية إسقاطيه أو دفاعية لا تمت بصلة لمنهج النقد والبناء والعلم والتنمية.

وبدأت ثقافة جديدة تعمل على إدارة المعرفة والموارد البشرية لتقيد العقل في قوالب تبعية وتدمير حافزته ومسؤوليته ولا يمت بصلة للنظرية الإدارية أو القانونية فالبون شاسع بين المجالين لأن ما يتعلق بموضوع الفلسفة أو النظرية لا قيمة لها لما يجد لها دوراً في الواقع.

ولهذا سعى البعض إلى التعامل مع العقل البشري كمورد طبيعي يرتبط فقط بقضية التنمية كالأرض بالنسبة لعلم الآلة وليس كسيد ومستخلف ومنظم لإمكاناتها ومستغل لمواردها ومستخرج لخياراتها ومستصلح لها بما ينفع الإنسان والحياة، وقد تشكلت فلسفات مختلفة ربطت بعضها العلمية في أوج نهضتها

بالأرض باعتبار الأرض إلهها قادرا على التعاطي مع المصلحة وخلقتها وبرزها كمعطى فلسفي ردا على الفلسفة العقلانية التي جعلت من العقل إلهها لولاه ما فهمت البديهيات والقواعد المعرفية والتنظيمية والعلمية وكانت هذه ردا على الأصوليات التي جعلت الوحي عنصر منظما ووجوديا في حياة الإنسان وانتاجه.

وهذه السجلات المنهجية ألغت نظرية التكامل بين المحاور الثلاثة العقل والوحي والتجربة بما يقدمه العلم كقضية تكاملية بين العناصر المحاور الثلاثة من تقدم حضاري ؛ حيث أن مفارقتها لقيم الوحي يلغي وجود العلم ويدمر الإنسان بعواطفه واستعلاءه وعنصريته وهي التي فسرتة الحبران العالميتان الأولى والثانية؛ حيث سيطر على الأولى العقل والجنس، وفي الثانية التجربة (الحضارة) والجنس؛ فأدى غياب الوحي كعنصر منظم لجوهر العلاقة بين العقل والتجربة والعقل ونوعه والتجربة ومصدرها الإنساني إلى تدمير الحضارة العقلية الأحادية المنفصلة عن معاييرها الضرورية، وهو ما دفع العالم الغربي بعد ذلك لخلق نظريات سيكولوجية وسلوكية وفيسيولوجية لقراءة العقل من خلال الظواهر الإنسانية والنفسية باعتبار الإنسان مادة البحث واللغز الذي ما يزال عليه علامات استفهام كثيرة لم يستطع العلم المادي والفكري الحديث معرفة هذا المخلوق العجيب اللغز الأكثر تحديا للعلم والتقنية.

وتبرز هذه النظريات قضية التعامل مع الوحي كعنصر مادي محسوس من جهة ومصدر للتقنية والصناعة والحضارية عند اللاهوتيين وعلماء الدين التقليديين في محور النقد العلمي، وهذا بدوره يتنافى مع نصوص الوحي التي لم تشر إلى معادلات فيزيائية أو نظريات علمية ذهب لتفسيرها علماء الاعجاز في اللاهوتيات المسيحية وعنها أخذ بعض عناصر المتأسلمين وهو ما دفع بأنصار العلم إلى التحدي للكنيسة أو الوحي برمته لأن يأتي باختراع من داخل النصوص فكان التعصب هو منطقة الصراع بين فهم الدين وماهيته ودوره وتأثيره وتعلق الإنسان به فبدأ التحول من دراسة الإنسان كعنصر متلقب لا يخضع للمعادلات العلمية الثابتة إلى إخضاع الدين كظاهرة سلوكية اجتماعية للبحث ولدراسة علماء الاجتماع لتفسير دور الدين في تشكيل هذه الزمرة وإن كان قد استخدم الدين لبناء الحضارة الأوروبية الحديثة التي أشار إليها هوبز ومن قبلها تأسست الحضارة الكونفوشيوسية في الصين حيث تشابهت تجربتها بتجارب أوروبا الحديثة مع فلاسفة التنوير.

فكان التعصب الديني الأعمى دون الانفتاح على العقل يتنافى مع حضور العقل كعنصر خفي أشار إليه الوحي كعنصر منضبط به ومطلق في الحياة المادية والذي أوجده الإله وكرمه ولم يلغي دوره وضبطه وهذبه وجعله محوراً ومصدراً وحيداً لصناعة الحضارة كقيمة نفعية محسوسة وجعله مستسلماً للوحي كقيمة تنظيمية إدارية وإنسانية وأخلاقية من جهة أخرى؛ وأن

هذا التكامل يرتبط بالعقل ومن خلاله وبه، وخالصة العقل أنه وعاء للتجربة ومنظما لها ووعاء للوحي ومنتظم به تارة ومنظم لقواعده وفهمه ومتغيراته تارة أخرى.

وكلما توسع العقل في البحث عن التجريدات وخرج عن دائرة فهمه إلى دوائر غير مفهومه خرج عن المحدد الذي يلجم تجاوزه ويعقله في أطار وظيفته، بينما يصبح العقل محورا رئيسيا للتجربة كآلية تنفيذية تربطه بالأرض وعناصر المادة الحضارية فيجعله سلطانا على الطبيعة وليس سلطانا على الوحي، وهو عنصر مؤسس لتنظيم العقول ببعضها في أشكال هندسية معمارية غايتها البحث عن المعرفة وبناء العلم.

وهو يدفعنا إلى القول بأن أزمة التخلف الحضاري والصراع في منطقة الشرق الأوسط تعود إلى أسباب منهجية غير واعية بالمدرجات، ولم يزل البحث العلمي العربي مبنيا على طرق رجعية أكثر من ارتباطه بحقيقة ما أشرنا إليه من قراءة يجب أن تشكل نمطاً جديداً برعاية سياسية حتمية ودولة تتشد الاستقلال والكمال في بناء حضارتها أو أن تكون قطباً حضاريا رائداً وهو ما يسعى إليه مركز الإصباح للتعليم ويؤسس له عبر استقطاب النخب ومن ثم تنظيمها منهجياً وعلمياً وحضارياً وتقديمها بما يحقق الغاية القصوى من الرسالة العلمية.

العقل الجيواستراتيجي بين الجغرافيا الاجتماعية والجيوسياسية

د. جمال محمد الهاشمي

الملخص.

تتناول الدراسة طبيعة العلاقة بين المحددات الاجتماعية والمحددات الجغرافية وتأثيرهما على أمن الدولة واستقرارها وكذلك دورها في تنمية الوعي السياسي بعلم الجيوبوليتك والاستراتيجيات العسكرية من جهة وعلم المجتمع والسياسات الناعمة من جهة أخرى ومن خلالها ربط الاستراتيجيات الموضوعة بالأهداف الكلية التي يؤسس لها الفكر الغربي ويسعى لتطبيقها وتوسيع مجالاته الحيوية وفقا لأطروحات النظريات الاستعمارية وقراءتها للواقع الاجتماعي ومحاور الجغرافيا التي تتناسب مع طبيعة الآليات العسكرية البرية والبحرية، يرى البعض أن نظرية القوة الجوية مع التطور التكنولوجي لا يمكن وصفها بالاستراتيجية إلا أن تكون مكملة للاستراتيجية البحرية أو البرية، ومن جهة أخرى هناك نظريات سيوسياسية أصلت لمفهوم جديد من الاستراتيجيات التي توظف المجتمعات من داخلها لإضعاف الدولة المستهدفة وتدميرها، ومن ثم ربطها باستراتيجية الجيوبوليتك كمرحلة ثانية تقارب بين نظريات الاستعمار وأهدافه

المقدمة:

تعتبر المحددات من الضوابط المنهجية للتفكير الجيوسياسي وهي الخلاصة المستحضرة عن الوعي التاريخي والمعطيات الاجتماعية والجغرافية، والمتولدة عن التجارب التاريخية المنقولة والمدونة، وكذلك التجارب الاجتماعية المعاصرة التي تؤسس لعقل سياسي تاريخي جديد يعيد الماضي بسلبياته وفي أحسن الأحوال يسعى لتغييره ومقاومته والاستفادة منه بما يتوافق مع الحاضر ومستقبله؛ وهو من القضايا الحيوية في الفكر الغربي الذين أعادوا التاريخ ضمن تلك المحددات في العالم الحديث، واستطاعوا توظيف الموروث الحضاري القديم ليس لإعادته كما هو أو الدفاع عنه.. وإنما لإعادة تكوين الذات من داخله، وللاستفادة من التجارب الإنسانية؛ حيث يتجدد الفكر بمعطيات معاصرة إضافية لما سبق وضعه بما يتناسب مع متغيرات الوعي التاريخي واحتمالاته المتوقعة، وتعد أم العناصر التي ارتكز عليها الوعي الغربي الحديث؛ الوعي الجيوبوليتيكي وعنصر الجغرافيا، والوعي الاجتماعي بما يحمله من قيم حضارية وثقافية متعايشة مع الواقعية السياسية والنظريات الجيوسياسية.

الإشكالية:

تؤطر الجغرافيا لمجتمع ما وهو بدوره وحيويته يشكل البيئة الاجتماعية العامة للنظام السياسي كبيئة نخبوية قيادية للمجتمع تتأثر بواقع البيئة الحاضنة، والطبيعة الجغرافية، وقد شكلت العلاقة التاريخية التفاعلية بين النظام السياسي والجغرافيا علم الجغرافية السياسية ومنها تولد علوم الجيوبوليتك كما أن ارتباط المجتمعات

بالتحولات الجغرافية شكل الذهنية المجتمعية في سياق ارتباطها بالوعي التاريخي العام، ويتمحور السؤال الإشكالي حول طبيعة العلاقة التكاملية بين المجتمع والجغرافيا والنظام السياسي ودورهم في تأصيل علم الجيوبولتيك وتنمية العقل الجيواستراتيجي.

الفرضيات.

يعتمد البحث على فرضية أحادية هي.

هناك علاقة طردية بين فاعلية المحددات الاجتماعية والجيواستراتيجية وتنمية العقل الجيواستراتيجي.

المنهج:

اعتمد البحث كمحور أساس على المنهج التحليلي في بعض مقارباته التركيبية والتحليلية دون استخدام الطرف الآخر المتعلق بالمقاربة التفكيرية.

أولاً: الجيوبولتيك ومحددات التفكير الجيوسياسي.

تجمع نظرية الجيوبولتيك بين الوعي التاريخي ومبادئ النظام الاجتماعي ومحددات التفكير الجيوسياسي كعنصرين أساسين من عناصر عدة؛ لتحليل وضع الأمن القومي، ولأهمية دورهما في تنشيط الذهنية الاستراتيجية القادرة على التنبؤ بالمتغيرات الإقليمية والاستعداد لأسوأ الاحتمالات المتوقعة، ومن ثم استطاعت أمريكا أن تحدد بنية النظام الدولي خلال الحرب الباردة من مدخل القوة

والجغرافيا والفكر أو الليبرالية التي تبنتها كإيدولوجية مناهضة للشيوعية¹.

وبنيت نظريات العلاقات الدولية على منهج الاستقراء ومناهج فلسفية بنيت على المفاهيم الحضارية وكله يكشف المعايير التي تحدد السلوك الدولي، وما علاقة المصلحة القومية بالممارسات السياسية، وماذا يعني مفهوم القدرة ومقومات الدور الذي يترجم مكانة الدولة وتأثيرها محليا وإقليميا ودوليا، ثم استكشاف طبيعة العلاقة بين معطيات القوة والنفوذ والدور ومستويات التأثير².

بدأت مصطلحات الجيوبوليتك تنتظم من حيث التقسيمات الإدارية مع ماكيندر الذي صك مصطلح الإقليم كـ مجال حيوي جيوبوليتيكي وحدد لكل إقليم مقوماته وإمكانياته، واضعا نظاما جيوبوليتيكا للخارطة

¹ - بيترتيلور، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، ج1، ترجمة، عبد السلام رضوان، إسحق عبيد، عالم المعرفة، ع282 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يونيو 2002) ص115-117

² - Robert O. Keohane, After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy (New Jersey: Princeton University Press 1984) p6

الجغرافية الطبيعية للقارات، لخدمة الدول الأوربية وسياساتها الاستعمارية³.

ومن جهة أخرى كانت الذهنية الجغرافية تستكشف طبيعة مقومات الدولة وقوة تماسكها الداخلي ، بالإضافة إلى أهمية حدودها وطبيعتها الجغرافية من منظور الأمن الجيوليتيكي، ونوع الأحزمة والمجالات الحيوية؛ حيث تتميز بعض الدول بوجود انسجام طبيعي بين المركزية وخطوط الجيو سياسي والجيو ثقافي والحدود الطبيعية، وجغرافية حدودية منفصلة عن الدول الأخرى؛ كاليابان وبريطانيا؛ حيث يضع المركز سياسة تدخليه أثناء الانفتاح الاستراتيجي، وسياسة انطوائية في حالات أخرى، وأكثر المواقع الجغرافية تميزا هو موقع الولايات المتحدة الأمريكية في قارة مستقلة بعيدة القارات القديمة، وكذلك مقومات أخرى. بينما تلتهب العوامل الثقافية الاجتماعية والسياسية على الحدود الألمانية في براندنبورغ التاريخية وبروسيا⁴.

Halford J. Mackinder, The Round World –³
and the Winning of the Peace, Foreign Affairs
Vol. 21, No. 4(New York: Council on Foreign
July 1943) p 595–60

–⁴ أحمد داوود أغلو، العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في
الساحة الدولية، ترجمة، محمد جابر ثلجي، طارق عبد الجليل، ط2

ترتبط الجيوستراتيجية بالإقليم بينما ترتبط الدولة بالجيوپوليتيك كأهم محددات القوة في العلاقات الدولية، وينضبط الجيوپوليتيك بسياسة الإقليم، فإذا تميز بأهميته الاستراتيجية والاقتصادية يشكل مجالاً حيويًا للقوى الدولية. أما إذا تنوعت مستويات الوحدات الإقليمية؛ فإن الدوليات تتعرض لتهديد الدول الكبرى، ويقاس نفوذها بما تمتلكه من معطيات القوة عكس الإقليم الجيوپوليتيكي الهش الغني بثرواته، والمتأثر بنفوذ القوى الكبرى؛ فالإقليم: "هو الذي يعبر عن المناطق التي تمتلك تكاملاً استراتيجياً داخلياً تلتقي فيه عدة خيوط جيوسياسية وجيوثقافية وجيواقتصادية"⁵.

وقد اعتقد ماكيندر في العصر الحديث أن آسيا هي المركز الجغرافي، ونهاية التاريخ والقوة الاقتصادية والديمغرافية والقومية، وعدها جغرافية حتمية ثابتة مهددة لأوروبا، ويمكن السيطرة عليها بتعظيم القوة العسكرية البحرية؛ لتوسيع نطاق المجال الحيوي والتمدد العضوي لتحقيق السيطرة على موارد القارات الأخرى البشرية والمادية؛ كمعطيات طبيعية للحضارات المتقدمة⁶ والصراع وفقاً لهذه

(الدوحة-بيروت: مركز الجزيرة للدراسات-الدار العربية للعلوم ناشرون

2001) ص39-40

⁵- أحمد داوود أغلو، العمق الاستراتيجي، مرجع سابق، ص40

⁶- ميشيل هيفرتان، نهاية قرن ام نهاية عالم؟ في أصول الجيوپوليتيكا الأوربية 1890-1920، في كلاوس دودز، ديفيد أنكنسون (محرران)، الجغرافية السياسية في مائة عام: التطور الجيوپوليتيكي العالمي، ترجمة،

النظرية يلغي فكرة السيادة القومية ضمن نسق الحضارة الواحدة ويحوّله إلى صراع ثقافي تاريخي أصولي بيولوجي⁷. وبناء عليه قسم أغلوا الحضارات وفقا لقدراتها الجغرافية وطبقا لذلك قسم أدوارها السياسية إلى صانعة، وأخرى متوافقة. بينما هناك دولا تعيش على الهامش وتتبع مسالك الانخراط في مجرى وتوجهات سياسات الدول العظمى⁸.

قسم الأرض من مدخل الفكر الجيوبوليتيكي الأوربي إلى دول شرق أوروبا ويرتبط هذا التقسيم بالبعد التاريخي والغزوات القادمة منها، بالإضافة أهمية البحر المتوسط كقوة قطبية تربط القارات العالمية، ومن يتحكم بالبحر المتوسط يتحكم ببقية الأطراف العالمية⁹، كما

عاطف معتمد، عزت زيان، ج 1 (القاهرة: المركز القومي للترجمة
2010) ص 61-66

⁷ - جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية واستراتيجية العلاقات الدولية، ط 1 (مكتبة دار الفجر-مركز الإصباح للدراسات الحضارية والسياسية والاستراتيجية 2018) ص 123-159

⁸ - أحمد داوود أغلو، العمق الاستراتيجي، مرجع سابق، ص 96-97

⁹ - Halford J. Mackinder, The Round World and the Winning of the Peace, Foreign Affairs Vol. 21, No. 4 (New York: Council on Foreign July 1943) P 595-605

حدد أهمية منطقة آسيا الوسطى بالقوة الجغرافية التي تتكون فيها "أوراسيا" والتي هي المركز التاريخي للإمبراطوريات العالمية¹⁰.
 تميز هالفورد ماكيندر كأكاديمي جيوسياسي وسياسية بذهنية استراتيجية أصلت للنظرية الجيوبولتيكية وقد مكنته قراءته الواعية للتاريخ والجغرافيا على إبراز أهميتهما كعنصرين من أهم عناصر صناعة القرارات العسكرية التي تتناسب مع السياسات الواقعية؛ أحدهما يتعلق بالجانب الاجتماعي والثاني يتعلق بطبيعة الجغرافيا الجيو استراتيجية¹¹، وكان أول من أظهر نظرية الإسكندر وأعاد تنظيمها الجغرافي وفقا لمتغيرات التاريخ وتحولات الجغرافيا.
 وقد بدأت نظريته على أساسين منهجين أحدهما: الاستنباط وهو الأصل المعتمد، ثم الاستقراء كمنهج تجريبي اختياري لحقيقة الكليات التاريخية لمفهوم الأرض، وتوصل إلى نظرية العمق أو المثلث الإستراتيجي العالمي لأهم ثلاث مناطق حيوية منتجة للنفط تتمدد في منطقة الخليج، وقزوين، وشرق آسيا في بحر الصين الجنوبي، وحوض تاريم في الصين الغربية، وحقل غازيادانا في بحر

¹⁰ - روبرت د. كابلان، انتقام الجغرافيا، ترجمة، إيهاب عبد الرحيم علي، عالم المعرفة، ع420 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير 2015) ص84-91، 97،99، 409

¹¹ - Halford J. Mackinder, The Geographical Pivot of History, op.cit., p436

إندامان¹²، وقد تأثر به المفكر الجيوسياسي الهولندي الأمريكي "نيكولاس سبيكمان" مؤسس نظرية الإطار ومفهوم الحزام واستراتيجية الاحتواء وكان الهدف من نظرية الإطار تحديد المناطق المحيطة بالاتحاد السوفيتي لمنع اتصاله بالمتوسط أو بمنطقة الشرق الأوسط¹³، ومن ثم كانت الاستراتيجية البحرية القائمة على محورية المضائق الاستراتيجية لا سيما مع تطور تقنيات التكنولوجيا البحرية، كما كانت من قبل ذات أهمية اقتصادية للدول المطلة عليها، وانطلاقاً من أهمية الجغرافية وخصوصاً المضائق البحرية برزت فكرة تدويل الملاحة البحرية كآلية جديدة لتنظيم سيرورة العلاقات بين الدول التي تحمل في جيناتها فلسفة المجالات الحيوية المتمدة أو القوى الدولية المتنافسة على المستعمرات. ونظراً لذلك سعى الاتحاد السوفيتي للسيطرة على مضائق البلقان والوصول إلى نهر الدانوب¹⁴.

¹² - مايكل كلير، الحروب على الموارد: الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية، ترجمة، عدنان حسن، ط1 (دار الكتاب العربي 2002) ص 59

¹³ - Nicholas J. Spykman, the Geography of the Peace (New York: Harcourt, Brace and Company 1944) p 45

- جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية، مرجع سابق، ص 204¹⁴

ولتفعيل استراتيجية الاحتواء الأمريكية وتطبيقها على الواقع وضعت قاعدة "أنجريك" في تركيا لضمان السيطرة الأمريكية على المنطقة الممتدة من أوروبا حتى القوقاز ويدخل ضمنها منطقتي البلقان والشرق الأوسط كامتداد طبيعي لاستراتيجية احتواء السوفييت، إضافة إلى أهميته الاقتصادية وخصوصا إمدادات الطاقة¹⁵.

كما يتميز العراق بأهمية جغرافية كبيرة عبر التاريخ وهو منطقة حضارية قديمة توالدت فيه الكثير من الحضارات التقليدية التي غذت العالم بأفكارها وثقافتها وقوانينها وأديانها، إضافة إلى أنه يتصل بتركيا فإنه يستقر في قلب الشرق الأوسط، وأهم القواعد الاستراتيجية التي يمكن من خلالها تحديد مصير منطقة الشرق الأوسط بما فيها إيران والشام والجزيرة العربية، ولموقعه أهمية جيوسياسية ومنطقة ارتطام؛ حيث يربط الخليج العربي والبحر الأحمر، وآسيا الوسطى وبحر قزوين، وهضبة الأناضول وشرق أوروبا والهلال الخصيب؛ وقد تفتن "ديفيد ورمسير" لأهمية موقع العراق الجيو استراتيجية، ووضع فرضيته القائلة أن من يسيطر على منطقة العراق يتحكم

¹⁵- ريز لطيف صادق، العلاقات الأمريكية التركية في ظل عهد حزب العدالة والتنمية 2003-2011 (مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، غزة 2011) ص 87-95

بالهلال الخصب والجزيرة العربية¹⁶ ، هذا بالنسبة في الرهان الموضوع على منطقة الشرق الأوسط.

أما أوروبا باعتبارها القوة المنظرة والمتحكمة بالعالم فقد أهتمت بآراء مفكريها الذين أدركوا فضيلة الجغرافيا، وجعلوا من شرق أوروبا وسيلة للسيطرة على قلب الأرض التي تتحكم بالجزيرة العالمية وهو ما دفع بأمريكا للدخول في الحرب العالمية الثانية لإعاقة دون الاتحاد السوفيتي من الاتصال بمنطقة الهلال الداخلي¹⁷ ، واستطاعت اضعاف النزعة اليابانية العسكرية وفصلها عن السوفييت كما أدرجتها تحت بند اتفاقية الإذلال والاحتواء، وأنشأت "أوكرانيا" القاعدة الأمريكية لفصل اليابان عن ألمانيا والسوفييت، وأيضا لا عاقبة التقارب الثقافي بين دول المنطقة الآسيان.

ولم تتوقف نظرية مركز الأرض والإطار واستراتيجية البحار عند قول منظريها الحداثيين لا سيما وأنها استراتيجيات لم تتحقق بكامل أهدافها ومن ثم فسر "روبرت كابلان" هذه النظريات بإضافة علم الاجتماع مما أعطاها قيمة معرفية واعية بمدركات القيم الأمريكية

16- رضا محمد السيد سليم، الجغرافيا السياسية للعراق: دراسة في المحددات المكانية لوظائف الدولة (رسالة ماجستير منشورة على النت، مصر-جامعة الزقازيق، يناير 2008) ص405

17- Halford J. Mackinder, The Round World and the Winning of the Peace, op.cit., p=60

العالمية؛ ولذلك ربط بين الأمن القومي البريطاني وموقع بريطانيا الجيولوتيكي الأمن التي تحيط به البحار من كل اتجاه وتعزله عن العالم، وجعلها في منأى من التهديدات البرية ويمكن لها من تكوين نظام ديمقراطي قبل الآخرين، بينما تعوقت ديمقراطية ألمانيا وأمنها بسبب جغرافيتها المفتوحة على التهديدات القادمة من الشرق والغرب لعدم وجود سلاسل جبلية تحميها، وهو ما جعلها تتراوح بين النزعة العسكرية والمثالية¹⁸.

وقد تميزت جغرافية بريطانيا بوجود انسجام طبيعي مع الحدود الطبيعية؛ حيث يتناسب موقعها مع طبيعة المركز ويحدد سياستها بين التدخل عندما تمتلك مقومات الانفتاح على الخارج، والانسواء عندما لا تمتلك مقومات التدخل¹⁹، وقد منحها موقعها القدرة على الربط الحيو استراتيجي بين النظريات الاقتصادية الحرة، أو التجارة السلمية من جهة، وإدارة المستعمرات من جهة أخرى²⁰.

كما يؤكد "كابلان" على وجود نظريات إقليمية قائمة على التكامل بين الموقع والثقافة، حيث تتربع الصين على المحيط الهادي وتمتد حتى آسيا الوسطى التي فيها قلب العالم وفقا لنظرية ماكنيدر، وفي

18- روبرت د. كابلان، انتقام الجغرافيا، مرجع سابق، ص 141-158

19- أحمد داوود أغلو، العمق الاستراتيجي، مرجع سابق، ص 39-40

20- عبد الحي يحي زلوم، حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد، ط1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2005)

المقابل تسعى روسيا للحصول على منافذ بحرية إلى المحيط الهندي²¹، وهنا يأتي دور القوانين الدولية لإحجام الطموحات التوسعية بالقوة وفقا للإرادة الغربية الأكثر تأثيرا على العالم منذ بداية الحداثة ونهاية الدولة العثمانية.

يرى هارفارد ماكيندر أن روسيا تسعى للسيطرة على جغرافية الإمبراطورية المغولية وهو ما يجعلها قادرة على فتح المعارك المتعددة الاتجاهات على تركيا والصين وإيران والهند واسكندنافيا وبولندا، وتمدها في المناطق الهامشية لقلب أوراسيا ومن ثم الولوج على أحد المنافذ المائية التي يمكنها من بناء أسطول بحري يجمع بين استراتيجية القوة البرية والقوة البحرية²².

وهو ما دفع بدول الأطلس لاحتواء نفوذ روسيا وذلك بإدخال أوكرانيا ضمن الشراكة الاقتصادية؛ والتي تفصل بين دول شمال الأطلسي وروسيا كمنطقة احتواء أو رأس المواجهة مع روسيا، وتحتل أكثر من نصف مساحة البوابة الشرقية المؤدية إلى أوروبا، وبوابة التهديدات الآسيوية التاريخية، وتتنظر إليها روسيا كمقدمة لحماية أمنها من دول

²¹ - سجينى دولارمانى، الاقتصاد الأمريكى، الجميل والقيح، الإمبراطورية الأمريكية، صفحات من الماضى والحاضر (مجموعة مؤلفين)، ط1، ج1(القاهرة: مكتبة الشروق 2001) ص145

²² - Halford J. Mackinder, The Geographical Pivot of History, op.cit., p436

أوروبا، كما تأخذ بيلاروسيا نفس الأهمية كجغرافية برية تربط بين البحر الأسود وبحر البلطيق²³.

ويشير كل من كابلان وماري سلوتر إلى البحر المتوسط كموقع استراتيجي ومنطقة تتداخل فيها العوامل الثقافية والاقتصادية، وهو ما يستدعي إعادة توسيع جغرافية القواعد العسكرية الأمريكية لوقوعها بين بين ثلاثة تهديدات جيوسياسية موزعة بين الشرق الأوسط وآسيا، وانتشار السلاح النووي، ومشكلة المكسيك في الجنوب، ومن الضرورة على أمريكا حل مشاكل التخوم المحيطة بها قبل أن توزع قواها وتمحور اهتمامها بالقضايا العالمية²⁴.

ولترتيب أمريكا وجودها في هذه المناطق سعت لتأمين حدودها القومية بفتح قناة بنما لتعزيز قوتها البحرية، وسيطرتها على المحيط الهادي²⁵، وفي عام 1983 أقدمت أمريكا على غزو جزيرة غرينادا بدعوى ضمان إمدادات النفط الأمريكية، وفي 1989 تدخل الرئيس جورج بوش في بنما، وعين حكومة موالية له قبل أن تتحول إلى

Mackubin Thomas Owens, "In Defense of –²³ Classical Geopolitics," Naval War College Review, vol. LII, no. 4 (autumn 1999)p 44

²⁴ – روبرت د. كابلان، انتقام الجغرافيا، مرجع سابق، ص 141-158

²⁵ – سجينى دولارماني، مرجع سابق، ص 145

قاعدة عسكرية²⁶. ومن ثم بدأت استراتيجية أمريكا العظمى على جزيرة العالم القديم الذي أشار إليها عباقرة الفكر الجيوسياسي، وهي الوجه الناعم لنظرية التمدد العضوي الذي أصل له الفكر النازي والقائلة بأن الدولة تتناسب تناسبا طرديا مع احتياجاتها الاقتصادية والبشرية وقد بنيت هذه الفلسفة على الفكر الطبيعي ونظريات دارون ورازل والحتمية التاريخية لهيجل والدروينية الاجتماعية لهيرت سينسر ورغم توافق الاستراتيجيات في الغاية إلا أن الوسائل بينهما مختلفة²⁷.

أولا: المحدد الاجتماعي:

يعتبر المحدد الاجتماعي من الموضوعات التاريخية والقضايا المعاصرة التي انتجت عدة مفاهيم سياسية أوروبية ونظمت آلية التفكير الاستراتيجي التي استهدفت مجتمعات الشرق الأوسط الموبوء بالاستبداد والانبهار بالحضارة الأوربية التي برزت لها ظواهر حضارية استهلاكية في دول العالم الثالث.

وقد وظفت العلوم الإنسانية لخدمة القرار والتوجهات السياسية للقوى الاستعمارية حيث ركز "أنجلز وليفنسون" على أهمية البحوث الانثربولوجية لتفسير سيكولوجية الأمم؛ وأيدته "مارجريت نميد"

²⁶ - عبد الحي يحي زلوم، مرجع سابق، ص168

²⁷ - جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية واستراتيجية العلاقات

الدولية، مرجع سابق، بتصرف

وحددت الهدف من دراسة الجماعات الحضارية بمعرفة السلوك الدولي، من خلال بتحليل السياقات الحضارية لنمط المعيشة ولمعرفة الطابع القومي المحدد لتوجهات المجتمع والسلطة والأهداف العسكرية²⁸. ومنها المفاهيم الذي وضعها برنارد لويس أو العضويات الاجتماعية التي وظفت لتفكيك قوى الدول من داخلها بالطرق السلمية دون استخدام أدوات الاستعمار التقليدية القائمة على القوة والنزعة العسكرية لما لها من نتائج عكسية قد تحفز المشاعر القومية وتحفز التماسك المحلي لمواجهة الاستعمار المباشر، ومن ضمن ما ركز عليه برنارد لويس المرأة كقوة مستهلكة للثقافة الغربية وخصوصا الديمقراطية وذلك تبعيتها للمظاهر الحضارية.

بالإضافة إلى دور الإثنيات أو الأقليات داخل الدولة والتي تدخل في صدامات مع بعضها للدفاع عن حقوقها أو مطالبها الانفصالية كردة فعل تحريرية لممارسات السلطات السياسية الطبقية واحتكارها للنفوذ والثروة؛ حيث يرى أن ذلك يكون عبر تدويل الحقوق الإنسانية والليبرالية، المساواة الجنسية وحقوق المرأة والأقليات، حيث أفاد أن ذلك سيوسع الفجوات الطبقية ومن ثم الصراع على السلطة والثروة وتحقيق النموذج اليوغسلافي أو النموذج اللبناني ومن توسيع الحروب الأهلية وتدمير أو اضعاف القوى البشرية التي تهدد أمن إسرائيل والذي قد يجعلها عنصرا مقبولا مع انتشار و بروز دويلات

²⁸- قدرى حنفي، تجسيد الوهم: دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية

(القاهرة: مركز الدراسات الفلسطينية، سبتمبر 1971) ص15-16

إثنية داخل منطقة الشرق الأوسط الأكثر تنوعا وتعددا ثقافيا وعرقيا وأيدلوجيا ودينيا²⁹.

ومن مدخل المواطنة وفقا للرؤية التي حددتها السياسة القرمطية (نسبة الى القرامطة في العصر العباسي) وانطلقت منها كأيدولوجية مساواتية للدفاع عن المقهورين من النقابات العمالية والمهمشين الذين علقوا عليها الآمال فقامت الثورات الزنجية النقابية لمواجهة نفوذ واحتكار الثروة في دولة بني العباس؛ حيث أشار برنارد لويس إلى استراتيجية التدمير الذاتي ودعم ذلك بالأدلة التاريخية كمؤرخ سياسي عقائدي مدرك لأبعاد الوعي التاريخي ومناسبات تفعيله، وذلك من خلال دعم القومية ابتداء لتفكيك المفهوم الإسلامي، ثم الحدود القطرية لتفكيك القومية، ثم استخدام الأقليات والإثنيات لتفكيك وحدة الدولة القطرية³⁰.

وقد استطاع المفكر الأمريكي (جوزيف ناي) بناء على هذه القراءات الاجتماعية والنفسية أن يحلل النفسية البيولوجية للطبيعة الشرق أوسطية وتركاماتها التاريخية حيث قال: أن العنف والفوضوية التي تتسم بها مجتمعات دول العالم الثالث هي نتيجة من نتائج الاستعمار

²⁹ - برنارد لويس، تنبؤات مستقبل الشرق الأوسط، ط1 (بيروت: شركة

رياض الريس للكتاب والنشر، يناير 2000) ص71-75

³⁰ - برنارد لويس، النقابات الإسلامية، مجلة الرسالة للأدب والعلوم

والفنون، ترجمة، عبدالعزيز الدوري، ع8/362 (القاهرة: 10 يونيو

1940) ص698

الغربي، ومن ثم وضع استراتيجية الاجتماع السياسي القائمة على محور الدبلوماسية الشعبية أو الاستراتيجية الناعمة التي سيسود فيها النظام الديمقراطي ويغيب مع وجودها نظرية السلطة السياسية واستبدادية السيادة القومية³¹.

ومع أهمية جميع المحددات التي تفسر سيادة الدولة إلا أن الذهنية العربية ما زالت محتفظة بمفهوم السيادة وسياسة عدم التدخل في تطبيقاتها المعاصرة التي تغيرت فيه كل معالمها السياسية، كما تعاني من أزمة الدور السياسي، وضعف الحس الأمني أو الجيوستراتيجي؛ لا سيما وأن معطيات الواقع تعكس تصورا بديلا لنظام توازن القوى الذي كان سائدا لضمان عدم التدخل بين قوى الحرب العالمية الثانية درنا لحروب عالمية أخرى؛ حيث كان مفهوم سيادة الدولة وما زال من الموضوعات الرئيسية بين القوى الدولية العظمى وقوى الاستعمار التقليدية.

وفي الوقت الذي كان منظرو العرب يكتبون عن مفهوم السيادة والدولة القومية كانت القوى المنتصرة التي أقرت مفهوم السياسة تبرر لمفاهيم أخرى؛ منها سياسة التدخل لحماية حقوق الأقليات بعد الحرب العالمية الثانية في منتصف القرن التاسع عشر³².

³¹ - جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، تعريب، محمد توفيق

البحيري، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان 2003) ص34-35

³² - صادق محروس، المنظمات الدولية والتطورات الراهنة في النظام

الدولي، السياسة الدولية، ع 122 (أكتوبر 1995) ص 17

كما ربط المفكر الأمريكي "ويكوم" بين الحروب والصراعات والدول القومية، ولحل إشكالية أزمة الدولة دعا لمفهوم الحكومة العالمية واستبدال القومية الإثنية بالقومية الإنسانية³³، وبناء عليه اقترحت كندا إنشاء لجنة دولية تنظم العلاقة بين التدخل والسيادة الوطنية لحماية الإنسان العالمي من استبداد القومية القطرية، ومن ثم أقر المجتمع الدولي من خلال الأمم المتحدة حق التدخل العسكري لحماية حقوق الأقليات والإثنيات، أو ما يترتب عليه من إرهاب وامتهان لحقوق الإنسان، وعجز الدولة عن حماية الإنسان تجاه أي أعمال عنف اجتماعية، أو ضلوعها في أي من هذه الأعمال اللإنسانية³⁴، ودعم الإعلام العالمي فكرة الحقوق وقدمها للشعوب بصورة متحدية للنظام القائم، ومن وضعت سياسة استراتيجية جديدة أدخلت الأقليات والفرد في الجانب المعارض للسلطة أو كندٍ مساوٍ للسلطة السياسية بدعم الأمم المتحدة الراعية للمواثيق الدولية، وترتب عليه تنمية وعي الرأي العام بحقوقه المكفولة دولياً وفقاً للمعاهدات الدولية.

³³ - إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في

الأصول والنظريات (القاهرة: المكتبة الأكاديمية 1991) ص 233

³⁴ - أمين مكي مدني: التدخل والأمن الدوليان: حقوق الإنسان بين

الإرهاب والدفاع الشرعي، المجلة العربية لحقوق الإنسان، المعهد العربي

لحقوق الإنسان، ع10 (تونس: يونيو 2003) ص 113-114

وقد تجاوزت الحرية المطلقة القيود القانونية وانتظمت في فلسفة الفوضى والانظام واللاوعي؛ مما أفسد المجتمع نتيجة للانفتاح الذي أضر بوحده وتلاشى مع انفتاحه الوعي والخصوصية القومية التي وجدها فكرة مجردة لا تمت لكرامة المواطن بشيء من معاني الكرامة القومية، ومن ثم تحولت فضيلة الحرية إلى رذيلة حجبت الحقوق وأندرت معها الواجبات³⁵ وتتمط المجتمع بثقافة الاستهلاك والثورة مما أفقده قيمته الذاتية، ومكن القادة الانتهازيين من الوصول إلى السلطة³⁶. وقد وسعت السلطات العربية الفجوة بين المجتمع واحتياجاته المادية، ومن ثم الفجوة بين السلطة والشعب والتي دمرت التماسك الاجتماعي، وقضت على فضيلة التكامل والتراحم الاجتماعي مما جعل المجتمعات تتلاشى باندماجها في المادة المجردة عن القيم.

وضع "كلود" الأسس العامة لنظريات اجتماعية تتناول فيها الطبيعة النفسية للسلطة باستقراء مصادر المعرفة التاريخية والاجتماعية والنفسية والتقاليد والموروثات السياسية واستكشاف معامل التأثير على الوعي السياسي المتوارث والنفسية الاجتماعية ووسائل التربية والتعليم

³⁵- يورغن هابرماس، جوزف راتسنغر، جدلية العلمنة : العقل والدين، تعريب، حميد لشهب، ط1 (بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، يناير 2013) ص 69

³⁶- ريمون غوش، الفلسفة السياسية في العصر السقراطي (بيروت: دار الساقى 2008) ص 7، 80

والتنشئة³⁷، ومن مدخل النظرية الاجتماعية برزت ايدلوجيا العولمة لتفكيك الدولة من داخلها وإلغاء مفهوم السيادة وإبراز فواعل اجتماعية واقتصادية وتنظيمات مدنية عابرة للقوميات وترتب على ذلك غياب شرعية الدولة كمثل اجتماعي كما تلاشت مكانة الدولة اقتصاديا مع بروز منظمة التجارة الدولية ونفوذ المؤسسات الدولية³⁸.

ولكون السياسة الغربية تعمل في جميع الاتجاهات فقد اكتسبت خبرة تجريبية في التعامل مع الشعوب العالمية، وخصوصا الشعوب العربية حيث تتميز الذهنية الغربية بموروث معرفي كبير عن المجتمعات والنظم السياسية والقوى العسكرية والتاريخية، ولها قاعدة بيانات تربط الواقع بالتاريخ لكل دولة وتترجم الوعي الحقيقي لطل ذلك، وتجيش الباحثين في مختلف تخصصاتهم لإثراء صناع القرار السياسي

37 - اندروكيري، تركيب الصور الجيوبولوتيكية: العالم كما يراه بيجلز وشخصيات خيالية أخرى، في كلاوس دودز، ديفيد أتكينسون (محرران)، الجغرافية السياسية في مائة عام: التطور الجيوبولوتيكي العالمي، ترجمة، عاطف معتمد، عزت زيان، ج1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2010) ص96-99

38- محمد إبراهيم منصور، العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، ع 288 (أوغسطس 2002) ص 149

بالمعارف الدقيقة والقائمة على أصول بحثية عميقة لا تفسر الظواهر القائمة وإنما تبحث عن أسباب ابتعاثها³⁹. استطاعت ايدلوجيا الإنسانية أن تقدم الدعم الإنساني للشعوب المستهدفة وتبني من خلال مفاهيم الإنسانية قاعدة بيانات معرفية عن الخصائص المعرفية والدينية والنفسية للشعوب في الوقت الذي رأت النظم السياسية العربية أن الأعمال الإنسانية لا تهدد سيادة دولها أو الأمن القومي، وهكذا تطورت نظرية المحددات الاجتماعية كبعد استراتيجي محتمل يمكن تحقيقه من خلاله تهديد الدولة المستهدفة من داخلها بثورات اجتماعية وإثنية وطبقية وقبلية وجهوية، وذلك من أجل رفع مستويات تطرف التنظيمات المحلية داخل الدولة تحت حماية مبدأ التدخل الإنساني لحفظ الكرامة الإنسانية وحماية حقوق الأفراد⁴⁰.

وبعد التحديد الاجتماعي يتبادر معطى آخر من معطيات الجيوبوليتك وهو موقع الدول لأهميته في تحديد سياسة الدولة؛ حيث تكتسب الذهنية السياسية خبرة بواقعا ويتبين لها عوامل التكامل ومكامن التهديد وكلما اتسعت حدودها البرية مع الدول وغاب عنها المحميات الطبيعية كلما كان الاختلال الأمني أكثر عبئا وأكثرها عرضة للتهديد والتضييق الدولة الحبيسة وقد تتحول إلى دولة عضوية تسعى للبحث

³⁹ - محمد تاج الدين الحسيني، المجتمع الدولي وحق التدخل، سلسلة

المعرفة للجميع، ع 18 (الرباط: منشورات رمسيس 2001) ص 161

⁴⁰ - الفقرة (3) ديباجة القرار 131-34، ميثاق الأمم المتحدة

عن منفذ للاتصال بالعالم الخارجي باستخدام القوة العسكرية على العكس منها الدولة البحرية⁴¹.

يعتبر المحدد الثقافي من المحددات المهمة لإبراز طبيعة النخبة واكتشافها، وتبرز هذه الأدوار عبر نظريات المعرفة أو فكرة توسيع نطاق الحرية الصحافية وحرية التواصل بالإضافة إلى انتشار مراكز البحوث وخصوصا في منطقة الشرق الأوسط، وترتبط مجريات الثقافة بالنخبة وطبيعتها الفسيولوجية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية.

يؤسس المحدد الثقافي لفكرة الاندماج أو التقارب الأصولي أو الثقافي، و يعد من أهم محددات السياسة التي قامت عليها القوميات الحديثة والمعاصرة، "وقد تبنت روسيا بعد الشيوعية مبدأ العودة إلى العمق التاريخي السلافي الأرثوذكسي المكون من اليونان وصربيا وبلغاريا وقيرص؛ لمواجهة تحديات الكاثوليكية والمانيا، والتحدي الإسلامي في البلقان، ووظفت هذه المقومات بغية الحصول على منافذ بحرية من خلال الصرب واليونان بهدف الوصول الى الأدريناتيكى والمتوسط مقابل الدعم الروسي لليونان وقيرص

41 - بيتر تيلور، كوفان فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، عالم المعرفة، ع 285 (الكويت: المجلس الوطني للآداب والتراث والفنون، يوليو 2002) ص97

وحمايتهما من تطويق الدول الإسلامية⁴²، وبالفعل دخلت روسيا في صراع مع تركيا على مناطق القوقاز والبلقان من خلال عنصر الترابط الثقافي والبيولوجي من دول المنطقة المؤيدة لها، ووسعت من تحالفاتها مع بريطانيا وروسيا ضد تركيا أثناء استقلال اليونان⁴³.

قسم ماكيندر بالخط المتصل من الأدرياتيكي إلى البلطيق على أصول ثقافية، وسياسة الفصل الثقافي بين جمهوريات البلطيق والتشيك والثقافة السلافية، وألحقت بولندا والمجر المرتبطان بالثقافة الرومانية والكاثوليكية بالمعسكر الغربي، ثم تفككت يوغسلافيا، وظهرت الخطوط الجيوثقافية والاقتصادية داخل ساحات الفراغ الجيوسياسي، وهو ما أفقد الحدود صفتها القانونية وأصبحت البوسنة وكوسوفو مناطق صراع⁴⁴ إثني ثقافي وديني.

ويربط ماكندر كعاداته بين التاريخ والوعي ويرى أن الحتمية الجغرافية والصراع الأوربي- الأوربي هو صراع بين قوى من حضارة واحدة

⁴²- محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحائرة: مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية (بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق 1998) ص294

⁴³- محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافية السياسية والجيوبوليتيكا (مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة 2012) ص239-242

⁴⁴- أحمد داوود أغلوا، العمق الاستراتيجي، مرجع سابق، ص136-137

على حضارات مختلفة بيولوجيا وأصوليا، وفي طرف الصراع الآخر روسيا وموطن الغزاة "الهارتلاند"؛ بينما تقع الحضارات الأخرى كضحية ارتطام بين القوى الغربية المتنافسة⁴⁵.

كان "ناي" قد رأى أن العامل الاجتماعي هو المتغير الوحيد والحل الناعم بدلا عن السياسات التقليدية القائمة على القوى الصلبة والدبلوماسية الاقتصادية حيث يؤكد على أن نمو الشعور القومي يجعل من الاستعمار بالقوة الصلبة باهظ التكلفة كما أثبتته التجارب للقوى العظمى في فيتنام وأفغانستان؛ والتي ترتب عليه انهيار السوفيت بعد بضعة عقود من انهيار الإمبراطورية الأوربية، حيث يرجع إلى المتغير الاجتماعي بعد الثورة الصناعية الذي حول اهتمام الشعوب عن المجد إلى الرفاه الاجتماعي؛ وذلك لأن الحروب تحتاج إلى تبريرات تهذب أخلاق المحاربين في الديمقراطية الحديثة⁴⁶.

ولا يزال العامل الاجتماعي محل اهتمام القوى الأوربية التقليدية لا سيما وقد ساعدت سياسة حماية الاقليات والتدخل المباشر من ظهور الثقافات الإثنية والصراعات الاقتصادية مما مكن من استمرار نفوذ

⁴⁵ جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية، مرجع سابق، ص350

⁴⁶ جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، مرجع سابق، ص33-

القوى الاستعمارية التقليدية في المنطقة⁴⁷ ، كما أثر على الخصوصيات الثقافية ومن ذلك تعدد اللغات المستمر التي أعادت تشكيل الثقافات المندمجة وقيمها المتداخلة كما حدث ذلك في منطقة الصومال الممزقة بين استعمار أوربي متعدد في اللغات القومية والتاريخ الثقافي⁴⁸.

ويعتبر الشرق الأوسط هو منطقة فوضى بيولوجية إثنية واقتصادية وسياسية وجيوبوليتكية وأصوليات ثقافية وطائفية فلسفية متداخلة، وهي المرج الذي تلتقي بها ينابيع الحضارات العالمية وثقافات⁴⁹ وقد ظل الشرق الأوسط خاضعا للغرب بما يزيد عن قرنين أكثر من أي منطقة أخرى لقوى متعددة، ولا توجد منطقة في العالم ارتبط مصيرها بالاستعمار المتعدد الثقافة كهذه المنطقة، وهو ما جعلها أحد مناطق صناعة التحولات الدولية والمواقف السياسية والصراع الدولي⁵⁰.

47- علي إبراهيم عبد الواحد، حكايات من أرض الصومال (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب 2007) ص7

48- حورية توفيق مجاهد، لإسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانات التقليدية (القاهرة: مطبعة الأنجلو مصرية 2002) ص16

49- جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية، مرجع سابق، ص

50- L. Carl Brown, International Politics and the Middle East: Old Rules, Dangerous Game (Princeton: Princeton university press 1984) p3

وقد تأثرت هذه المنطقة بامتدادها الآسيوي سواء بالغزوات أو الاستيطان الناتج عن الفتوحات الإسلامية حيث كانت أفغانستان ومحيطها أكثر مناطق العالم تأثراً على منطقة الشرق الأوسط لا سيما وأن أفغانستان تقع في قلب المنطقة الممتدة من العراق إلى الصين وتحيط بها الثقافات والشعوب المختلفة التركية والمغولية والهندية والفارسية والصينية وهي بوابة الهند والصين والدول المستقلة من الاتحاد السوفيتي ومنطقة تقاطع الثقافات الحضارية؛ حيث تقع أفغانستان بين إيران غرباً، و تركمانستان وأوزبكستان وتاجيكستان من الشرق، وباكستان في الجنوب، والصين من الشمال الشرقي، وقد مكن لها موقعها الجيوبوليتيكي من الاختلاط والتواصل مع حضارة اليونان والرومان والهند والصين، ومن الغرب والحضارة العربية الإسلامية، وهي منطقة احتكاك بين المغوليين في الهند والصفويين في فارس، وبين الانجليز في الهند والروس في بلاد ما وراء النهر حيث كبحت جماح الروس من الوصول إلى مياه المحيط الهندي ثم الاحتكاك بين السوفيت والبريطانيين بعد الحرب العالمية الأولى، ونتيجة لكل تلك العوامل الاجتماعية كانت ضحية الحرب الباردة بين السوفيت وأمريكا، ومع أنها منطقة صراعات تاريخية بين الحضارات ومخزون سكاني كبير في الوقت التي يجعلها طاردة للسكان⁵¹، وهو الذي دفع بالهجرات منها إلى منطقة الشرق الأوسط خلال فترات

⁵¹ - محمد عدنان مراد، الصراع في أفغانستان والعوامل المؤثرة، مجلة

اتحاد الكتاب العرب، ع 4، 5 (دمشق: 1998 - 1999) ص 193

الحكم الإسلامي وخصوصا مع الدولة العثمانية، كما تقتزن معها شبها كل دول آسيا الوسطى وإيران وباكستان، ومن ثم كانت أكثر الهجرات التي شكلت أقليات ومعتقدات مختلفة في منطقة الجزيرة العربية والمنطقة العربية هذا التداخل الثقافي المتعدد والذي ما يزال يسيطر على منطقة قوس الأزمات والعالم العربي بما فيها دول الشمال الأفريقي.

وتحدد الأنماط الفكرية بالبنية الثقافية الفوقية وهي التي تحدد صفات الشخصية الاجتماعية، وتقترب من علم الاجتماع ولا تطابقه لأسباب طبقية وثقافية، وتستخدم في تحليل جدلية العلاقة بين الفكر ومعطيات الواقع لإبراز مخرجات الإنتاج الفكري في البحث عن جينولوجيا النشأة⁵²؛ يسمى علم الاجتماع في إنجلترا بعلم دراسة الشعوب، وفي أمريكا علم دراسة الثقافات البشرية، بينما يسمى في فرنسا بعلم دراسة الإنسان العضوي⁵³.

استخدمت النظريات الاجتماعية كأداة سياسية للاستراتيجيات الاستعمارية بشقيه الحديث والمعاصر⁵⁴، وتعد الإثنولوجيا من أهم

52 - هرسكوفيتز، ميلفيل. ج، أسس الأنثروبولوجيا، ترجمة، رباح

النفخ (دمشق: وزارة الثقافة 1974) ص59

53- كلايد كلاهون، الإنسان في المرأة، ترجمة، شاكور سليم (بغداد-

نيورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر 1964) ص209

54- شارلوت سيمور- سميث، موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة، مجموعة من أساتذة علم الاجتماع،

العلوم التي يمكن وظفت لاستشراف المستقبل⁵⁵ عبر المقارنة بين الشعوب والثقافات⁵⁶ والتاريخ والجغرافيا⁵⁷.
ويحدد علم الاجتماع بالثقافة الماركسية التي تركز على احتياجات المجتمع ورفاهيته، والبرجوازية التي تركز على رفاهية الفرد وحاجته⁵⁸؛ لهذا السبب تتناقض قراءة المحددات بين العالم الإسلامي من جهة والعالم الأخرى التي اختزلت المحددات الثابتة في المتغيرة⁵⁹.

-
- في محمد الجوهري(مشرفا) ط2، ع 62/ 2 (القاهرة: المركز القومي للترجمة 2009) ص11
- ⁵⁵ - أرمانو سالفاتوري، المجال العام؛ الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام، ترجمة، أحمد زايد، ط1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2012) ص61-63
- ⁵⁶ -فاروق عبد الجواد شويقة و"آخرون"، الأنثروبولوجيا، الموسوعة الأفريقية، مج4 (جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 1997) ص12
- ⁵⁷ - شارلوت سيمور-سميث، موسوعة علم الإنسان، مرجع سابق، ص69
- ⁵⁸ - سلوى علي سليم، الإسلام والضبط الاجتماعي، الإسلام والضبط الاجتماعي: دراسة ميدانية، ط1 (القاهرة: دار التوفيق النموذجية-مكتبة وهبة، أكتوبر 1985) ص إـب
- ⁵⁹ - محسن صالح، التقرير العالمي لمؤشر مراكز البحوث 2014 (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 22 يناير 2015)

وبناء عليه فإن العامل الاجتماعي يتشكل بعنصر التاريخ والمكون الديني والأيدلوجي والعادات والتقاليد والعنصر الاقتصادي وهي التي تشكل المنظور الاجتماعي أيضا كمنظريات واستراتيجيات.

وقد فسر ماركس جدليته من مدخل التاريخ والاقتصاد والطبقة الاجتماعية ولإنفاذ المهتمين من الاقطاع الكنسي وصف المعتقدات بالأفيون ورأى المسيطرين على الايدلوجيا يحتكرون القوة المادية - لضمان السيطرة على الوعي الاجتماعي وتنميته على ثقافة العبودية وبما يخالف الواقع ويخدم مصالح الطبقة المسيطرة على الانتاج، ولا يرتبط هذا التطور بنظرية التأمّر بل يفسرها بفكرة العواقب العكسية التي تخلق الاغتراب -أو تكرر الاستلاب-، ويتحمل الأفراد مسؤولية إنتاج الثقافة، وهم الذين اغتربوا عنها لطبقة صنعها الشعب لتستبد به حيث تتكون الطبقات المسيطرة من الفلاسفة والمفكرين ورجال الدين والفنانين كحالة تاريخية ومعتقد تاريخي⁶⁰.

وقد قسم "ألفريد فيبر" مجالات التأثير على الحياة الإنسانية إلى عمليات اجتماعية تتكون من الجوانب المادية للتنظيم الاجتماعي، وعمليات حضارية تتكون من معرفة العقل والعلم والتكنولوجيا، وعمليات ثقافية قال هيردر: بخصوصيتها وتميزها. بينما أرجع "فيبر" اضطراب المفكرين لعدم قدرتهم في التمييز بين العمليات

60- ديفيد انغليز، جون هيوسون، مدخل إلى سوسولوجيا الثقافة، ترجمة، لما نصير، ط1(الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، مارس 2013) ص42

السابقة، وقد تطرف "ماركس" بالعمليتين الحضارية والاجتماعية. أما "هيردر" فقد تطرف في تركيزه على العمليات الثقافية⁶¹.

كانت الفلسفة المثالية تضع تصوراتها الثقافية والتي جاءت عن طريق الوعي التاريخي الاجتماعي الأكثر ارتباطا بالحوادث السياسية حيث رأت أن الحياة البشرية أفكارا وصورا عقلية، انتج العالم المادي، ويرون أن العالم الاجتماعي ولید ثقافة خاصة شكلتها عدة عوامل بيولوجية وسياسية واقتصادية وتاريخية، ولذلك رأى ماركس أن الثقافة نتاج اجتماعي وبذلك يعتبر أول من جعل المجتمع محدا للثقافة الاجتماعية ومحددا للنظم السياسية والاقتصادية والطبقية، وأن وعي الناس من منظوره لا يرسم حدود وجودهم؛ بل الوجود الاجتماعي هو الذي يرسم نطاق الوعي وحدوده⁶².

ووصف "دارسو" الثقافات والطقوس التي تشكل الوعي الاجتماعي في نطاق جغرافي متعين بالتقاليد العمياء لتاريخية الوعي التقليدي بما فيه امتلاك الملحد لمخزون ثقافي مقدس وطقوس أخرى تعذب الجسد، وأخرى ترى: بأن المشاعية أصل براءة الإنسان، وكلها من الثقافات تتضمن جهة مجتمعية معينة في جغرافية مستقلة تشكل تنظيمات مغلقة كما أن الزمان والمكان قد يكونا مقدسين أو مدنسين

⁶¹ - نفسه، ص 47

⁶² - نفسه، ص 20-21

ومتناقضين وفقا لما استدل به وبحث عنه الفيلسوف الاجتماعي
"ألياد"⁶³.

بهذه التكوينات الجغرافية والاجتماعية نشأت نزعة الذات والأنا
المفارقة للآخر في جميع الثقافات العالمية وإن ادعت أنها مع ثقافة
المكون الإنساني الذي فرضته الضرورات من أجل الأمن تارة أو
استخدامه للتفكيك تارة أخرى. وقد تحولت الموضوعات الفكرية سواء
بما يتعلق بالفكر المنطقي لعلم الجغرافيا أو علم القوانين الاجتماعية،
مع فلسفة الحدائث العقلانية إلى قوانين طبيعية شكلت المركزية
القطبية بصفتها الاجتماعية أو الجغرافية وقسمت العالم من حيث
سياقاته الاجتماعية إلى: اللاهوتية والتاريخية والعقلانية⁶⁴، بينما قسم
العالم جغرافيا إلى دول الجنوب ودول الشمال كما وردت تقسيمات
اقتصادية وعرقية.

ووفقا للتقسيم الاجتماعي من الناحية البيولوجية فقد استقر عند
الفلاسفة أن الناس يتفاوتون مكوناتهم الطبيعية⁶⁵، ومن معايير

⁶³ - أرثر أيزابجر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية،

ترجمة، وفاء إبراهيم، رمضان بسطاوسى، ط1 (القاهرة: المجلس الأعلى
للثقافة 2003) ص206-207

⁶⁴ - آلان تورين، نقد الحدائث، ترجمة، أنور مغيث (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة
1997) ص22-23

⁶⁵ - أميرة حلمي مطر، جمهورية أفلاطون، مهرجان القراءة للجميع (94) (القاهرة:
الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994) ص10، انظر: سعيد عقل، شعره والنشر: بنت
يفتاح، المجدلية، قدموس، مج1 (نوبليس 1991) ص 109

التمييز العرقي الثقافة كمعيار بين الأدنى كمعطي اقتصادي والأعلى الذي يخلق المعرفة، وعلى ذلك كان لهتلر من قبله الإمبراطور " وليم الثاني" تحيزات عنصرية ضد الروس والصين واليابان واللاتين. واعتقد كونت دجوبينوأن الثقافة صفة ذاتية لطبقة النبلاء والمتقنين من الآريين والتيوتين لأن العرق يسبق الثقافة وينتجها، ولذلك دعا "دلابوج" إلى الفصل الطبقي الاجتماعي وتشكيل التحيزات الاجتماعية كوسيلة لحفظ الدم النورديكي النبيل عن العامة، وبالمثل استخدم "هتلر" هذا التوجه العرقي لمحاربة الديمقراطية واليهود والأعراق الأخرى⁶⁶ لأنها تتناقض مع الحتمية الطبيعية. ولذلك عندما تمكنت أوروبا من السيطرة على أفريقيا استساغ الزواج ثقافة الأسياد رغبة في تحقيق المساواة أو القبول الاجتماعي فقبلوا بالعنف والتعذيب؛ ومن ثم تجسد في نفسية الزواج انحطاط جنسهم ودونيته، ووطنوا أنفسهم على ذلك⁶⁷ وذلك وفقا للتقسيم الطبيعي للثقافة والمجتمع على أساس التقسيم البيولوجي.

66- فريدريك هرتز، القومية في السياسة والتاريخ، ترجمة عبد الكريم أحمد (القاهرة:

الهيئة العام لقصور الثقافة 2011) ص74

67- دينيس سميث، الأجندة الخفية للعولمة، ترجمة، علي أمين علي، ع1672،

ط1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2011) ص222

الخاتمة:

تشكل علم الجغرافيا الاجتماعية مرتبط بأبعاد جيوسياسية واستراتيجية للقوى الدولية في منطق جديد من مناطق الذهنية السياسية الغربية والتي توصلت إلى أن التعامل مع علم الجيوبوليتك ونظريات المجال الحيوي في القرن التاسع عشر ومشروع الاستعمار ونظريات الجيواستراتيجية لما يعد يتناسب مع الظروف الحالية التي هيئت الحال لتحولات جديدة متجاوزة نظرية السيادة والحدود القومية بالمفهوم القطري إذا كان عربيا وخصوصا في منطقة الشرق الأوسط، التي بدأت معها فكرة الدولة الإثنية والطائفية والدول الجهوية المليئة بالنزعات الانفصالية الاستغراقية للذات والعامل التاريخي في مخزون القبلية ومراعيها، لا سيما بعد فشل مشروع الدولة القومية فكريا وعسكريا واقتصاديا وسياسيا على المستوى الإقليمي والدولي وقانونيا وثقافيا على الصعيد المحلي.

وقد أسهمت هذه العوامل التي كانت من نتاج الدولة القطرية إلى اتساع الفجوة بين النظام والمجتمع محليا وترتب عليه الفجوة بين الذهنية الجيوسياسية والحدود القومية حسب تفكير المنطق الجغرافي. ومن ثم تجاوزت نظريات الحدود الجغرافيا (الإرادة الشعبية) حدود السيادة القومية التي وضعت بشروط منطقية حافظت على بقائها الدولة الأوروبية، وفشلت في تطبيقها الدول العربية، بل كانت وسيلة من وسائل توسيع الفجوات بين الدول القطرية منذ بداية انطلاقة هذه المشروع القومي المتعدد الأيدولوجيات المستبدة والمعتقدات المتصلبة ضد بعضها.

وحينها كان منطق المحددات الجغرافيا تؤسس لفكرة العالمية وخصوصا مع استمرار تدفق الهجرات العربية الى أوروبا لا سيما دول الحدود المتصلة جغرافيا وأيضا الشعوب المقهورة التي رأت أن السياق نحو العالمية والعالم الأوربي سيحل أزمة الحدود القطرية التي خنقت الشعوب وفصلتها عن بعضها لا سيما مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية العالمية وبفضل اللغة الإنجليزية التي أخذت موقع الصدارة الاقتصادية والعمالة العالمية، وصاحبها انحدار اللغات القومية خصوصا اللغات الافريقية والعربية وتبعها بالضرورة انحسار الثقافات الخصوصية وفي المقابل تشكلت بدايات عالمية لمفهوم الثقافة العالمية ستعم الجيل القادم لا سيما بعد تلاشي الجيل القائم في اربعينيات السنوات القادمة.

ومع هذا فقد تزامن مع فكرة المحددات الجغرافية الاجتماعية تعاضدها مع استراتيجيات الجيوبوليتك وسقوط بعض الدول القومية الشرق أوسطية كالعراق وسوريا وفي طريقها دول أخرى بين فكي الحدد الاجتماعي والمحدد الجغرافي.

المراجع:

1. أحمد داوود أغلو، العمق الاستراتيجي: موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية، ترجمة، محمد جابر ثلجي، طارق عبد الجليل، ط2 (الدوحة-بيروت: مركز الجزيرة للدراسات-الدار العربية للعلوم ناشرون 2001)

2. آرثر أيزابجر، النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة، وفاء إبراهيم، رمضان بسطاوسى، ط1 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 2003)
3. أرمانو سالفاتورى، المجال العام؛ الحداثة الليبرالية والكاثوليكية والإسلام، ترجمة، أحمد زايد، ط1 (القاهرة: المركز القومي للترجمة 2012)
4. إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات (القاهرة: المكتبة الأكاديمية 1991)
5. آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة، أنور مغيث (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة 1997)
6. أميرة حلمي مطر، جمهورية أفلاطون، مهرجان القراءة للجميع (94) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994)
7. أمين مكي مدني: التدخل والأمن الدوليان: حقوق الإنسان بين الإرهاب والدفاع الشرعي، المجلة العربية لحقوق الإنسان، المعهد العربي لحقوق الإنسان، ع10 (تونس: يونيو 2003)
8. اندروكيرى، تركيب الصور الجيوبولوتيكية: العالم كما يراه بيجلز وشخصيات خيالية أخرى، في كلاوس دودز، ديفيد أنكنسون (محرران)، الجغرافية السياسية في مائة عام: التطور الجيوبولوتيكي العالمي، ترجمة، عاطف معتمد، عزت زيان، ج1 (القاهرة: المركز القومي للترجمة 2010)

9. برنارد لويس، النقابات الإسلامية، مجلة الرسالة للأدب والعلوم والفنون، ترجمة، عبدالعزيز الدوري، ع8/362 (القاهرة: 10 يونيو 1940)
10. برنارد لويس، تنبؤات مستقبل الشرق الأوسط، ط1 (بيروت: شركة رياض الريس للكتب والنشر، يناير 2000)
11. بيتر تيلور، كوفان فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، عالم المعرفة، ع 285 (الكويت: المجلس الوطني للآداب والتراث والفنون، يوليو 2002)
12. بيتر تيلور، كولن فلنت، الجغرافيا السياسية لعالمنا المعاصر، ج1، ترجمة، عبد السلام رضوان، إسحق عبيد، عالم المعرفة، ع282 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يونيو 2002)
13. جمال محمد الهاشمي، المحددات السياسية واستراتيجية العلاقات الدولية، ط1 (القاهرة: بوردو: مكتبة دار الفجر-مركز الإصباح للدراسات الحضارية والسياسية والاستراتيجية 2018)
14. جوزيف س. ناي، مفارقة القوة الأمريكية، تعريب، محمد توفيق البجيرمي، ط1 (الرياض: مكتبة العبيكان 2003)
15. حورية توفيق مجاهد، لإسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانات التقليدية (القاهرة: مطبعة الأنجلو مصرية 2002)

16. ديفيد انغليز، جون هيوسون، مدخل إلى سوسولوجيا الثقافة، ترجمة، لما نصير، ط1(الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، مارس 2013)
17. دينيس سميث، الأجندة الخفية للعولمة، ترجمة، علي أمين علي، ع1672، ط1(القاهرة: المركز القومي للترجمة 2011)
18. رضا محمد السيد سليم، الجغرافيا السياسية للعراق: دراسة في المحددات المكانية لوظائف الدولة (رسالة ماجستير منشورة على النت، مصر-جامعة الزقازيق، يناير 2008)
19. روبرت د. كابلان، انتقام الجغرافيا، ترجمة، إيهاب عبد الرحيم علي، عالم المعرفة، ع420 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، يناير 2015)
20. ريز لطيف صادق، العلاقات الأمريكية التركية في ظل عهد حزب العدالة والتنمية 2003-2011 (مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، غزة 2011)
21. ريمون غوش، الفلسفة السياسية في العصر السقراطي (بيروت: دار الساقى 2008)
22. سجنيني دولارماني، الاقتصاد الأمريكي، الجميل والقيح، الإمبراطورية الأمريكية، صفحات من الماضي والحاضر (مجموعة مؤلفين)، ط1، ج1(القاهرة: مكتبة الشروق 2001)

23. سعيد عقل، شعره والنثر: بنت يفتاح، المجدلية، قدموس،
مج 1 (نوبليس 1991)
24. سلوى علي سليم، الاسلام والضبط الاجتماعي، الاسلام
والضبط الاجتماعي: دراسة ميدانية، ط 1 (القاهرة: دار التوفيق
النموذجية-مكتبة وهبة، أكتوبر 1985)
25. شارلوت سيمور - سميث، موسوعة علم الإنسان: المفاهيم
والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة، مجموعة من أساتذة علم
الاجتماع، في محمد الجوهري (مشرفا) ط 2، ع 62 / 2 (القاهرة:
المركز القومي للترجمة 2009)
26. صادق محروس، المنظمات الدولية والتطورات الراهنة في
النظام الدولي، السياسة الدولية، ع 122 (أكتوبر 1995)
27. عبد الحي يحي زلوم، حروب البترول الصليبية والقرن
الأمريكي الجديد، ط 1 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر
2005)
28. علي إبراهيم عبد الواحد، حكايات من أرض الصومال
(القاهرة: الهيئة العامة للكتاب 2007)
29. فاروق عبد الجواد شويقة و"آخرون"، الأنثروبولوجيا،
الموسوعة الأفريقية، مج 4 (جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات
الأفريقية، 1997)

30. فريدريك هرتز، القومية في السياسة والتاريخ، ترجمة عبد الكريم أحمد (القاهرة: الهيئة العام لقصور الثقافة 2011)
31. الفقرة (3) ديباجة القرار 131-34، ميثاق الأمم المتحدة
32. قدرى حفني، تجسيد الوهم: دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية (القاهرة: مركز الدراسات الفلسطينية، سبتمبر 1971)
33. كلايد كلاكهون، الإنسان في المرأة، ترجمة، شاكر سليم (بغداد-نيويورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر 1964)
34. مايكل كليز، الحروب على الموارد: الجغرافيا الجديدة للنزاعات العالمية، ترجمة، عدنان حسن، ط1 (دار الكتاب العربي 2002)
35. محسن صالح، التقرير العالمي لمؤشر مراكز البحوث 2014 (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 22 يناير 2015)
36. محمد إبراهيم منصور، العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، ع 288 (أوغسطس 2002)
37. محمد تاج الدين الحسيني، المجتمع الدولي وحق التدخل، سلسلة المعرفة للجميع، ع 18 (الرباط: منشورات رمسيس 2001)
38. محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافية السياسية والجيوبوليتيكا (مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة 2012)

39. محمد عدنان مراد، الصراع في افغانستان والعوامل المؤثرة، مجلة اتحاد الكتاب العرب، ع 4، 5 (دمشق: 1998 – 1999)
40. محمد نور الدين، تركيا الجمهورية الحائرة: مقاربات في الدين والسياسة والعلاقات الخارجية (بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق 1998)
41. ميشيل هيفرتان، نهاية قرن ام نهاية عالم؟ في أصول الجيوبوليتيكا الأوربية 1890-1920، في كلاوس دودز، ديفيد أتكينسون (محرران)، الجغرافية السياسية في مائة عام: التطور الجيوبوليتيكي العالمي، ترجمة، عاطف معتمد، عزت زيان، ج1 (القاهرة: المركز القومي للترجمة 2010)
42. هرسكوفيتز، ميلفيل. ج، أسس الأنثروبولوجيا، ترجمة، رباح النفاخ (دمشق: وزارة الثقافة 1974)
43. يورغن هابرماس، جوزف راتسنغر، جدلية العلمنة : العقل والدين، تعريب، حميد لشهب، ط1 (بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع، يناير 2013)

44. Halford J. Mackinder, The Round World and the Winning of the Peace, Foreign Affairs Vol. 21, No. 4 (New York: Council on Foreign July 1943)

45. Robert O. Keohane, *After Hegemony: Cooperation and Discord in the World Political Economy* (New Jersey: Princeton University Press 1984)
46. Halford J. Mackinder, *The Round World and the Winning of the Peace*, *Foreign Affairs* Vol. 21, No. 4 (New York: Council on Foreign July 1943)
47. L. Carl Brown, *International Politics and the Middle East: Old Rules, Dangerous Game* (Princeton: Princeton university press 1984)
48. Nicholas J. Spykman, *the Geography of the Peace* (New York: Harcourt, Brace and Company 1944)

الأمن القومي... بين النهج والهيكلية والمستوى"

أ م د.ميثاق بيات عبد أضيفي
جامعة تكريت

National security ... between approach, structure "
"and level

The concept is the document of the program to formulate the most important trends and principles of state policy and at the same time is the basis for the development of specific programs and regulatory documents in the field of national security. It consists of four sections: the state in the world community, the national interests and tasks of the state, its implementation tasks, threats to the national security of the state, The interests of the individual are the provision of constitutional rights and freedoms, personal security,

improvement of quality, standard of living, and physical, spiritual and intellectual development, so that the interests of society include maintaining public harmony, increasing the creative activity of the population and revitalizing the state spiritually. The interests of the State are to protect constitutional order, sovereignty and territorial integrity, to establish political, economic and social stability, to apply laws unconditionally, to maintain law and order and to develop international cooperation through partnership. The integration of the interests of the individual, society and state in national interests in the economy, political and international spheres, internal defense, spiritual and cultural life, and national interests in the economy are the key. The integrated solution of these interests can only be based on a sustainable process of diversified production and technology, Providing the leading sectors of the economy with quality raw materials, equipment,

army, weapons, population and social sphere in goods, services and export capacity capable of competing in the foreign goods market. And locally to ensure civil peace and national accord, stability The rule of law and the completion of the establishment of a democratic society, as well as neutralizing the causes and conditions that lead to the emergence of social, ethnic and separatist conflicts, national and regional. Coordination of the interests of the people, the establishment of their comprehensive cooperation and the conduct of a responsible and balanced national policy are the most important tasks that will guarantee the solution of the internal political stability of the country and maintain its stability and unity. The comprehensive solution of these problems must constitute the basis of the internal policy of the State and ensure its development as multinational and democratic. The State in eradicating the existence of crime and corruption and establishing

a system of measures to effectively suppress these negative manifestations. The national interests in the field of spiritual life, culture and science largely determine the course and results of the ongoing reforms and the spiritual revival of society and its moral values directly affect the level of development of the economy and all areas of society and the emphasis in society on high human and cultural ethics and the development of spiritual traditions. The pursuit of this interest requires the policy of a State that excludes damage to culture and ensures the preservation and development of its national values and assets and the other spiritual and intellectual development of society. National interests in the international sphere also require active foreign policy to strengthen the country's positions as a force and influential centers of the emerging multipolar world and its main components Is a voluntary establishment of the Association for the

Integration of States and the development of equal partnership relations with other major powers, centers of economic and military power and development of cooperation. In the fight against transnational crime and international terrorism and the strengthening of collective management mechanisms for global political and economic processes in which the State plays an important role primarily in the United Nations Security Council. The unconditional priority of foreign policy would be activities to ensure the inviolability of the borders and the territorial integrity of the State to protect its constitutional order from potential infringements of other States. The implementation of national interests in the international sphere is determined by the nature of relations with the major powers and the integration societies of the world community. The development of equal partnership is compatible with the status of any State and its foreign policy interests. It is designed

to enhance global and regional security and to create conditions for the country's participation in world trade and cooperation. Scientific, technical, credit and financial. The development of dialogue and comprehensive cooperation with the countries of the world is in the national interest, which requires the protection of life, dignity and internationally recognized civil rights and freedoms for citizens of the State and its citizens abroad. The national interests in the field of defense are a guarantee of the security of the individual, society and the State against military aggression by other States. Therefore, ensuring security in the field of defense requires that the efforts of society and the State be focused on planned military construction with a view to maintaining and developing adequate defense capabilities to prevent, Military construction must take into account the changing balance of power on the world stage and use the country's economic capabilities effectively to

ensure adequate response to military threats to its
.national interests

"الأمن القومي... بين النهج والهيكلية والمستوى"

ل طالما ارتبط تشكيل وتنمية المجتمع البشري بالتغلب على مختلف التهديدات التي جاءت من الطبيعة والأعداء والأشياء التقنية وما إلى ذلك ولذلك فإن أهم شرط لأداء وتنمية المجتمع البشري هو الأمن، وبهذا فإن الأمن هو حالة حماية للمصالح الحيوية للفرد والمجتمع والدولة من التهديدات الداخلية والخارجية.

يتم تطوير مفاهيم الأمن القومي للدول عبر فهم الأمن القومي على أنه حماية المصالح الوطنية للمجتمع من مختلف التهديدات، وقد تم التأكيد على أن محتوى المفهوم الوطني الذي يحتوي على علامات ذات طابع عرقي فإذا كانت الدولة متعددة الجنسيات فلا فائدة من الحديث عن أمنها القومي ويقترح استخدام مصطلح أمن الدولة القومية. (1) ومع ذلك فإن ذلك النهج غير مقبول لأنه حينما يتعلق الأمر بالأمن القومي فإنه يعني في المقام الأول أمن جميع سكان البلد ويجب عدم تحديد مفاهيم المصالح الوطنية ولا مصالح الدولة إنما يجب أن يتطابقوا.

الأمن في علاقة متبادلة مع الاستقرار، ويُفهم الاستقرار على أنه قدرة النظام على الاحتفاظ بوظائفه وخصائصه تحت تأثير العوامل المدمرة وهناك علاقة مباشرة بين الأمن والاستقرار فكلما كان النظام

أكثر استقرارًا ارتفع مستوى أمانه لذلك فإن الاستقرار هو أحد المؤشرات التي تميز درجة أمان النظام. وإن الأمن القومي يعتمد إلى حد كبير على استقرار المجتمع وعلى استقرار العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية وغيرها. (2)

إن ضمان الأمن القومي ليس غاية في حد ذاته ولا يقتصر على القضاء على التهديدات لأنه ليس مجرد البقاء على قيد الحياة المادية للمجتمع أو فقط الحفاظ على سيادة وسلامة الدولة والدفاع عن فضاء اقتصادي واحد ولكنه أيضا صنع وإيجاد وبلورة الظروف للتشغيل ولتنمية المجتمع المستدامة. فالأمن القومي هو نظام معقد متعدد المستويات يتكون من عدد من الأنظمة الفرعية، كل منها له هيكله الخاص. وتتعرف الأمم المتحدة بمكونين أساسيين للأمن البشري هما التحرر من الخوف والتحرر من الفاقة أو الفقر وقد طورت الأمم المتحدة مفهوما شاملا للأمن البشري يتكون من ثماني فئات رئيسية (3):

1. الأمن الاقتصادي.
2. الأمن الغذائي.
3. السلامة من أجل الصحة.
4. السلامة البيئية.
5. الأمن الشخصي.
6. الضمان الاجتماعي.

7. السلامة العامة.

8. الأمن السياسي.

جميع هذه الفئات ترتبط ارتباطا وثيقا ولكن كان العامل الحاسم دائما الأمن السياسي، وإن الأولوية الرئيسية في الأمن القومي هو نوعية الحياة للمواطنين وخلق الظروف الملائمة لتحقيق قدرات الأشخاص ووضع الشعب لتكييفها مع عالم اليوم الديناميكي، وإن أمن المجتمع يتشكل كخاصية تجميعية لأمن كل فرد، وينطوي أمن المجتمع على تهيئة الظروف الملائمة لتنمية الاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا والثقافة والأخلاق والصحة وغيرها.(4)

يتم استخدام مفهوم أمن الدولة المرتبط وقبل كل شيء بالمحافظة على النظام الدستوري وتوفير السيادة والسلامة الإقليمية ولكن ينبغي الحكم على ذلك من خلال منظور الحماية الفردية والمجتمعية كما يجب أن تخدم الدولة بكل صفاتها ومؤسساتها وهيئاتها مصالح كل مواطن ومجتمع ككل لذلك إذا توقفت بعض أجزاء ومؤسسات الدولة عن خدمة مصالح المواطنين والمجتمع فيجب أن تكون هناك آلية دستورية تسمح بإجراء تعديلات على هيكل الدولة ولذا لا بد أن تكون أنشطة مؤسسات الدولة ذات توجه اجتماعي وتضمن رفاهية المجتمع.(5)

يجب ملاحظة أن نظام الأمن القومي يشمل مراعاة توازن المصالح لجميع المواضيع كالفرد والمجتمع والدولة ومسؤوليتها

المتبادلة لضمان الأمن ويوصفه نظاما متعدد المستويات هو في حد ذاته أحد عناصر النظام الأوسع للأمن الدولي. وإن المصالح العليا للمجتمع العالمي تفترض مسبقا الحاجة إلى تشكيل نوعان من الأمن الدولي وهما عالمي وإقليمي. وإن النظام العالمي للأمن الدولي هو في المقام الأول الأمم المتحدة وهي المنظمة العالمية للدول ذات السيادة التي أنشئت على أساس ارتباطها الطوعي بهدف الحفاظ على السلام والأمن، وإن العديد من المنظمات الدولية من هذا المستوى هي منظمات إقليمية كمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا ومنظمة حلف شمال الأطلسي ومنظمة الوحدة الأفريقية وغيرها. (6) وتؤدي القيم الوطنية والمصالح الوطنية والمهام الوطنية دوراً حاسماً في تشكيل وضمان الأمن القومي، وإن القيم الوطنية هي القواعد الأخلاقية الأساسية والعادات والتقاليد هي التي تحدد موقف حياة أفراد المجتمع وفضلا عن خصائص المجتمع في مجال الثقافة المادية والروحية فيجب أن تُعزى القيم الوطنية إلى الثروة الطبيعية الفريدة للمجتمع ليتم تشكيل القيم الوطنية تدريجيا في عملية تطور الاقتصاد والثقافة والعلوم والتكنولوجيا وبذلك يتأثر تشكيلها أيضا بالموقف الجغرافي السياسي للبلاد ونضج المجتمع، وعنصر هام من القيم الوطنية هو النخبة المثقفة في المجتمع، والتي تمثل مسألة الحد من الطبقة الفكرية للمجتمع واحدة من أخطر التهديدات للأمن القومي، إلا إذا كان هؤلاء الناس قادرين على

رؤية وفهم جوهر عمليات التنمية الاجتماعية، بما في ذلك الأمن الوطني الذي من خلاله تدار آلية التغذية المرتدة بين القرارات التي اتخذت في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ونتائج العمليات الحقيقية التي تعكس نوعية حياة السكان. والمصالح الوطنية هي موقف واعٍ ومعبر عنه رسمياً بالقيم الوطنية وإن مسألة تحديد المصالح الوطنية هي قضية أساسية لأية دولة لأنه من خلالها يتم تقييم مستوى أمن وسلامة الفرد والدولة والمجتمع ككل ووفقاً للمصالح الوطنية يمكن صياغة المسار الاستراتيجي للدولة على المدى الطويل. (7)

هناك ثلاث مجموعات من المصالح الوطنية وهي المصالح حيوية والمصالح المهمة والمصالح العادلة وتشمل المجموعة الأولى المصالح المتعلقة بتنفيذ وحماية القيم والتي يمكن أن يؤدي فقدانها إلى تقويض أسس وجود المواطنين والمجتمع والدولة وفي مجال المصالح الحيوية هي السيادة والدولة والسلامة الإقليمية والنظام الدستوري والقدرة الدفاعية للبلد والصحة المعنوية والجسدية للأمة. بينما ترتبط المجموعة الثانية بتنفيذ الحقوق الدستورية وحرية المواطنين والحفاظ على أصول المجتمع ذات الأهمية الاجتماعية والتغلب على الكراهية الاجتماعية والعرقية والإثنية والدينية والجريمة المنظمة. وإن المجموعة الثالثة تشمل وتمثل جميع الاهتمامات الأخرى وترتبط بشروط موالية لتنمية المجتمع والسلم والانسجام

المدني وتنفيذ مبادئ المجتمع الديمقراطي والعدالة الاجتماعية وحماية البيئة وإقامة تعاون متبادل المنفعة وحسن الجوار مع الدول الأجنبية، وان الحدود بين مجموعات المصالح تعتمد على الشروط المحددة للأمن القومي وقد تكتسب هذه أو تلك المصالح الوضع الحيوي والعكس بالعكس. وان المهام الوطنية هي العنصر الأكثر حركة في نظام الأمن القومي ويتم تعريفها وتشكيلها من خلال منظور القيم والمصالح الوطنية وان المهام الوطنية هي المبادئ التوجيهية الأساسية لأنشطة الدولة والمجتمع والأفراد في تنفيذ وحماية المصالح الوطنية، لأنه هي المهام الوطنية التي تترجم مسألة حماية القيم والمصالح الوطنية إلى واقع عملي وتحدد أولويات السياسة الداخلية والخارجية للدولة.(8)

مجال الأمن القومي من حيث المساحة والجغرافيا وحماية المصالح الوطنية لا يقتصر على أراضي الدولة فالعديد من العمليات التي تتكشف في مناطق مختلفة من العالم تؤثر على حالة هذه الدولة وفرص وآفاق تنمية المجتمع وتحديد وصياغة المهام الوطنية. إذ تتطوي على حماية المصالح الوطنية ضد مختلف أنواع التهديدات لان تهديد الأمن هو مزيج من الشروط والعوامل التي تشكل خطرا على المصالح الحيوية للفرد والمجتمع والدولة. فيجابه الأمن القومي عدة أنواع من التهديدات منها حالية حقيقية ومنها فرضية محتملة، وأخرى طبيعية أو اجتماعية وكذلك داخلية أو خارجية، ومنها في

نطاق أوسع لتكون عالمية أو إقليمية أو محلية، وتختلف فيما بينها من خلال تأثير درجاتها كالتحدي أو الخطر أو التهديد الفعلي. تتجلى في مجالات الحياة الاجتماعية والنشاط الإنساني.(9)

التهديدات السياسية والاقتصادية والعسكرية والبيئية والثقافية والإعلامية والتكنولوجية ووفقاً لنوع الخطر يتم تمييز أنواع التهديدات التي تستشعر الأمن القومي، وينبغي أن يوضع في الاعتبار أن التهديدات الأمنية الحديثة لأي مجتمع معقدة يصعب تقسيمها إلى داخلية وخارجية واقتصادية وسياسية، وتقتضي حماية المصالح الوطنية إنشاء نظام للأمن القومي تكون عناصره الرئيسية هي هيئات السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية والمنظمات والهيئات الحكومية والعامة والمواطنين والتشريعات في مجال الأمن القومي، ويجب أن يكون لدى النظام الأمني القدرة على الاستبصار والقدرة على اتخاذ تدابير وقائية وقرارات حاسمة في الوقت المناسب لمنع استفحال ونضوج التهديدات الناشئة على أن يكون نظام الأمن الوطني المحلي مرتبطاً مع أنظمة الأمن العالمية والإقليمية وحتى مع أنظمة الأمن في البلدان الأخرى. وتتحصّر الوثائق القانونية والتنظيمية الأساسية في مجال الأمن القومي بمبادئ وقواعد القانون الدولي المعترف بها عالمياً، المكرسة في الصكوك والاتفاقيات ذات الصلة وفي المعاهدات والالتزامات الدولية للدولة وفي دستور البلاد وقوانينه وفي اتفاقيات تقسيم السلطات بين المركز ومواضيع

الاتحاد وفي الدساتير المحلية والقوانين الإقليمية وغيرها من القوانين القانونية التنظيمية وكذلك في الأعمال المعيارية لهيئات الحكم الذاتي المحلي.(10) وإن ضمان الأمن القومي عملية هادفة ومحددة بوعي تتطلب جهودًا منسقة وأفعالاً من جانب جميع الجهات الأمنية لذلك تنعكس الاتجاهات الرئيسية لهذه العملية في مفهوم الأمن القومي.

النهج المفاهيمي للأمن القومي.

يتموضع مفهوم الأمن القومي في انه وثيقة سياسية عاكسه لمجمل الآراء المعتمدة رسمياً على أهداف واستراتيجية الدولة لضمان أمن الفرد والمجتمع والدولة ضد التهديدات الخارجية والداخلية بالمجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية والبيئية والإعلامية، وغيرها من التدابير، مع الأخذ بعين الاعتبار الموارد والفرص فيتم لذلك تحديد الحاجة إلى اعتماد ذلك المستند للعديد من الحالات عبر عدة شروط تتمحور في (11):

*يوجد إجماع معين في المجتمع فيما يتعلق بالقيم الوطنية الأساسية إذ وعلى الرغم من وجود وتباين الاختلافات الكبيرة في قضايا السياسة الداخلية والخارجية بين القوى السياسية المختلفة إلا انه لا يوجد من يشكك أحد في البنية الدستورية للبلاد ولا بدولتها ولا بشرعية جميع فروع السلطة.

- * لأتمام الانتهاء من عملية تحقيق مكان البلد في الفضاء الجيوسياسي الجديد يتم صياغة المصالح الوطنية الرئيسية.
- * يتم تصميم مفهوم الأمن القومي لتركيز الانتباه على مواجهة التهديدات.
- * يضمن المفهوم امتثال كامل نظام الأمن للواقع الدولي والمحلي الحديث ، والفرص الاقتصادية للبلاد لتمنح الديناميكية والكفاءة.
- * تصميم مفهوم لتوفير والعمل المنسق منسقة من قبل جميع الجهات الأمنية مثل الوكالات الحكومية والمؤسسات العامة.
- * إعداد مفهوم للكفاءة يتخصص بالموارد الشحيحة للبلاد حتى لا تسبب ضرراً للأمن القومي.

وان المفهوم هو وثيقة البرنامج لصياغة أهم الاتجاهات والمبادئ لسياسة الدولة وبالوقت ذاته هو الأساس لتطوير برامج محددة ووثائق تنظيمية في مجال الأمن القومي، فيتكون من أربعة أقسام هي الدولة في المجتمع العالمي والمصالح والمهام الوطنية للدولة ومهام تنفيذها والتهديدات للأمن القومي للدولة و ضمانه، ونتيجة لهذا المفهوم تتمثل مصالح الفرد في توفير الحقوق والحريات الدستورية والأمن الشخصي وتحسين الجودة ومستوى المعيشة والتنمية الجسدية والروحية والفكرية بحيث تشمل مصالح المجتمع الحفاظ على الونائم العام وزيادة النشاط الإبداعي للسكان وإحياء الدولة روحياً. كما تتمثل مصالح الدولة في حماية النظام الدستوري

والسيادة والسلامة الإقليمية وإرساء الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي وتطبيق القوانين دون قيد أو شرط والحفاظ على القانون والنظام وتطوير التعاون الدولي من خلال الشراكة.

يعبر تكامل مصالح الفرد والمجتمع والدولة في المصالح الوطنية في مجال الاقتصاد والمجال السياسي والدولي والدفاع الداخلي والحياة الروحية والثقافية، وان المصالح الوطنية في مجال الاقتصاد هي المفتاح فالحل المتكامل للتنفيذ تلك المصالح لا يمكن إلا أن يكون على أساس عملية مستدامة لإنتاج متنوع وتكنولوجيا فائقة، وقادرة على توفير القطاعات الرائدة في الاقتصاد مع مواد ذات جودة الخام والمعدات والجيش الأسلحة والسكان والمجال الاجتماعي بالسلع والخدمات وطاقات تصديرية قادرة على المنافسة في سوق السلع الأجنبية. ومحليا لضمان السلم الأهلي والوفاق الوطني، واستقرار الحكومة ومؤسساتها وسيادة القانون واستكمال إنشاء مجتمع ديمقراطي، فضلا عن تحييد الأسباب والظروف التي تؤدي إلى ظهور الصراعات الاجتماعية والعرقية والانفصالية وطنية وإقليمية. وإن تنسيق مصالح الشعوب وإقامة تعاونها الشامل وتسيير سياسة وطنية مسؤولة ومتوازنة هي أهم المهام التي سيضمن حلها الاستقرار السياسي الداخلي للبلاد ويحافظ على استقراره ووحدته، فيجب أن يشكل الحل الشامل لهذه المشاكل أساس السياسة الداخلية للدولة وضمان تطويرها باعتبارها متعددة الجنسيات وديمقراطية،

كما وتتمثل مصالح الفرد والمجتمع والدولة في القضاء على أساس وجود الجريمة والفساد، ووضع نظام من التدابير لقمع هذه المظاهر السلبية بفعالية. (12)

المصالح الوطنية في مجال الحياة الروحية والثقافة والعلوم تحدد إلى حد كبير مسار ونتائج الإصلاحات الجارية وان الإحياء الروحاني للمجتمع قيمها الأخلاقية تؤثر بشكل مباشر على مستوى تطور الاقتصاد وجميع مجالات المجتمع والتأكيد في المجتمع على الأخلاق العالية الإنسانية والحضارية وتطور التقاليد الروحية. ويتطلب تحقيق هذه المصلحة سياسة دولة التي تستثني الضرر الذي يلحق بالثقافة وتضمن الحفاظ على قيمها وممتلكاتها الوطنية وتطويرها والتنمية الروحية والفكرية الأخرى للمجتمع.

كما تتطلب المصالح الوطنية في المجال الدولي سياسة خارجية نشطة لتعزيزها مواقف البلاد كقوة ومن المراكز المؤثرة في العالم متعدد الأقطاب الناشئة والمكونات الرئيسية لها هي تكوين على أساس طوعي لرابطة التكامل بين الدول وتنمية علاقات الشراكة المتساوية مع القوى العظمى الأخرى ومراكز القوة الاقتصادية والعسكرية وتنمية التعاون الدولي في مكافحة الجريمة عبر الوطنية والإرهاب الدولي وتعزيز آليات الإدارة الجماعية للعمليات السياسية والاقتصادية العالمية التي تلعب الدولة فيها دوراً هاماً في المقام الأول مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وإن الأولوية غير

المشروطة للسياسة الخارجية ستكون الأنشطة لضمان حرمة الحدود والسلامة الإقليمية للدولة لحماية نظامها الدستوري من التعديلات المحتملة للدول الأخرى. ويتم تحديد تنفيذ المصالح الوطنية في المجال الدولي بشكل كبير من طبيعة العلاقات مع القوى الكبرى وجمعيات التكامل في المجتمع العالمي وإن تطوير الشراكة المتساوية معهم يتوافق مع وضع أي دولة ومصالح سياستها الخارجية وهو مصمم لتعزيز الأمن العالمي والإقليمي وصنع وبلورة ظروف مواتية لمشاركة البلاد في التجارة العالمية والتعاون العلمي والتقني والائتماني والمالي.(13) وإن تطوير الحوار والتعاون الشامل مع دول العالم يصب في المصلحة الوطنية التي هي تتطلب حماية الحياة والكرامة والحقوق والحريات المدنية المعترف بها دولياً لمواطني الدولة ومواطنيها في الخارج. وإن المصالح الوطنية في مجال الدفاع هي ضمان لأمن الفرد والمجتمع والدولة ضد العدوان العسكري من جانب الدول الأخرى لذلك يتطلب ضمان الأمن في المجال الدفاعي تركيز جهود المجتمع والدولة على البناء العسكري المخطط له بهدف الحفاظ على إمكانيات دفاعية كافية وتطويرها من شأنها منع وردع العدوان أو عكسه، وهنا لا بد أن يأخذ البناء العسكري في الحسبان ميزان القوى المتغير في الساحة العالمية ويستخدم بفعالية القدرات الاقتصادية للدولة مما يضمن استجابة كافية للتهديدات العسكرية لمصالحه الوطنية.

تحدد في مجالات المعلوماتية المصالح الوطنية الحاجة إلى تركيز جهود الدولة والمجتمع في حل مشاكل احترام الحقوق والحريات الدستورية للمواطنين في مجال تلقي وتبادل المعلومات، وحماية القيم الروحية الوطنية وتعزيز التراث الثقافي، وضمان الآداب العامة وحقوق المواطنين في الحصول على دقيقة المعلومات وتطوير وسائل الاتصال الحديثة وإن النشاط المنهجي للدولة في تنفيذ هذه المهام سيمكنها من أن تصبح واحدة من المراكز الرئيسية للتنمية العالمية ومن غير المقبول استخدام المعلومات للتلاعب بالوعي الجماهيري فمن الضروري حماية موارد المعلومات الحكومية من فقدان المعلومات السياسية والاقتصادية والعلمية والتقنية والعسكرية الهامة

كما المصالح الوطنية على المدى الطويل هي التي تحدد الأهداف الرئيسية للدولة على المسار التاريخي، وتشكل المشاكل الإستراتيجية والحالية للسياسة الداخلية والخارجية وتنفذها عبر نظام الحكم. وإن الشرط الضروري لتحقيق المصالح الوطنية هي القدرة على حل مستقل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية، بغض النظر عن نوايا ومواقف الدول ومجتمعاتها، والحفاظ على هذا المستوى من نوعية الحياة،(14) والتي من شأنها ضمان المصالحة الوطنية والاستقرار السياسي فيوضح مفهوم التهديدات الرئيسية للأمن القومي.

يتضح مما تقدم إن أزمة الاقتصاد هي التهديد الرئيسي للأمن القومي وان التهديد للأمن في المجال الاجتماعي هو نتيجة تلقائية للأزمة الاقتصادية بزيادة نسبة السكان الذين يعيشون تحت خط الفقر كما يرافقه التهديد باستنزاف الموارد الطبيعية وتدهور الوضع الإيكولوجي وتهديد القومية والنزعة الانفصالية الوطنية والإقليمية وكذلك خطر تجريم المجتمع والأنشطة الاقتصادية وخطر الإرهاب والتهديدات في مجال الدفاع كما يوضح المفهوم الاتجاهات والمهام الرئيسية لضمان الأمن القومي. وإن الأنشطة الرئيسية للدولة والمجتمع لضمان الأمن القومي تكون في التحليل الموضوعي والشامل والتنبؤ بالأخطار في جميع المجالات التي تجليها والمتمثلة بتحديد المعايير والقيم ووضع التدابير والآليات لضمانه في الاقتصاد والسياسة الخارجية والداخلية والدفاع والمعلومات والمجالات الروحية وتنظيم عمل السلطات التشريعية والتنفيذية لتنفيذ مجموعة من التدابير الرامية إلى منع أو الحد من الأخطار التي تهدد المصالح الوطنية وكذلك الحفاظ على الموارد الإستراتيجية والتعبئة اللازمة للدولة لضمان أمنها القومي، وتتمثل المهمة الرئيسية للأمن القومي في إنشاء وبلورة المحافظة على الوضع الاقتصادي والسياسي والدولي والعسكري الاستراتيجي في البلاد، والذي من شأنه أن يوجد ويبلور الظروف المواتية لتنمية الفرد والمجتمع والدولة، ويلغي خطر إضعاف دورها وأهميتها باعتبارها

موضوعا للعلاقات الدولية، وتقويض قدرة الحكومة لتحقيق مصالحهم الوطنية في الساحة الدولية.

إما أهم المهام الضامنة للأمن القومي فهي(15):

* صعود اقتصاد البلاد ، على أساس المسار الاقتصادي المستقل والموجه اجتماعياً.

* تعزيز الاستقرار الاجتماعي-السياسي في المجتمع والدولة والحكومات المحلية وتكوين علاقات عرقية متناغمة وتعزيز مصالح الأمن الدولي للبلاد من خلال شراكة متساوية مع الدول الرائدة في العالم.

* تعزيز أمن الدولة في مجال الدفاع والمعلومات.

* ضمان النشاط الحيوي للسكان في عالم أمن تكنولوجيا ونظيفة بيئياً.

بينما المبادئ الرئيسية لضمان الأمن القومي فهي تتموضع في خضوع الأنشطة لضمان الأمن القومي للدستور وقوانين الدولة وفي الوحدة والترابط والتوازن بين جميع أنواع الأمن وتغيير أولوياتها تبعاً للحالة المتغيرة وكذلك أولوية التدابير السياسية والاقتصادية والمعلوماتية لضمانه بتحديد مهام حقيقية وتنفيذ التدابير القسرية على أساس القانون الدولي وبما يتفق بدقة مع القوانين المحلية، بالإضافة إلى الجمع بين الإدارة المركزية واللامركزية للقوى ووسائل ضمان الأمن وكل ذلك يكون وفقاً لهيكل الدولة، وبهذا فإن هذا

المفهوم للدول هو بمثابة وثيقة برنامج سياسي يسمح بإنشاء نظام متوازن وحديث لضمان الأمن القومي.(16)
الخصائص النفسية والاجتماعية للأمن.

إن مشكلة ضمان الأمن القومي هي اليوم محور الأهمية الاستراتيجية لتنمية البلاد، وإن ضمانه هو إلى حد ما هدف الإصلاح الذي يجب أن يخضع مضمونه لتعزيز سيادة البلاد وسلامتها الإقليمية وصنع وبلورة ظروف داخلية وخارجية تضمن الاستقرار والتنمية المستدامة للفرد والمجتمع والدولة. وقد كشفت مشاكل الأمن عن تخلف الفكر النظري في هذا المجال مما يستوجب نطاق تدريب أخصائي النظم في هذا المجال، ومن دون فهم واضح لما هو الطبيعة الاجتماعية لمفهوم الأمن، وما هي مصادره، وما القوة الدافعة، والهدف المترجى، لا يمكن أن يتم بذل مزيد من الجهود لضمان الأمن من أجل حل مشكلة الاستقرار وتوفير مجتمع مستقر وفهم طبيعة التهديدات الأمنية، وسبل التغلب عليها.

كان السعي لتحقيق الأمن أحد الأسباب الدافعة لتوحيد الناس في المجتمع وقد ازدادت كثافة ونطاق هذه الحاجة باستمرار وكان الأمن من ولادة الحضارة هو الهدف الرئيسي لنشاط الأفراد وبالتالي المجتمع ككل والدولة، وإن الحاجة إلى الأمن الشخصي والممتلكات تجلب الحياة للدولة ، وفي هذه الحالة تجد الدولة التفسير الأكثر

أهمية لوجودها ، كما أنها تشير إلى غرض الدولة ومبتغاها وهدفها الرئيسي.(17) ويتم استخدام المفهوم الأكثر شيوعاً للأمان بالنسبة إلى العديد من العمليات الذي لا يعكس اختصاراً للعلامات المحددة لأمن الشخص المتأصل في حالة معينة ولكنه يتضمن شيئاً مشتركاً يسمح لنا باستخدام هذا المفهوم في مختلف المجالات، فالأمن هو غياب الخطر والسلامة والموثوقية ومن الواضح أن مثل هذا التفسير المبسط واللغوي البحث لمفهوم الأمن غير كاف، لأن انعدام الأمن ينطوي على إمكانية تحقيق مثل هذا الوضع ولكن في الحياة الواقعية توجد دائماً وستكون هناك مخاطر ذات طبيعة مختلفة تماماً ولذلك إن فئة الأمن ليست مطلقة لكن المعنى النسبي والهادف يتم اكتسابه فيما يتعلق بأشياء محددة أو مجال النشاط البشري والعالم المحيط به.

الأمن لا يوجد بمعزل عن النشاط العام للحياة البشرية فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بجميع جوانب الحياة البشرية والمجتمع، وتتمثل مهمته الأساسية في ضمان وجوده وتطوره وإن إدراك مثل هذه الأشياء النامية مثل الإنسان والمجتمع والدولة تجوهر وتوثق الترابط بين أهم وظيفتين للوجود الاجتماعي في التنمية والحفاظ على الذات والأمن للناس، إن التنمية والأمن هما جانبيان من جوانب حياة المجتمع، وإن عدم توافر وظيفة التنمية والأمن يرجع في المقام الأول إلى جميع عمليات النشاط البشري وإن تقسيمها إلى مجالات وفروع

واتجاهات منفصلة أمرٌ مشروط يسهل إدراك الواقع عبره، ومنذ القدي كانت لهاتين الوظيفتين الأساسيتين للإنسان والمجتمع مميزة واضحة، وإن القدرة على التنمية هي واحدة من الخصائص العالمية للمادة والوعي. يتطلب تحليل آليات تطور المجتمع دراسة عميقة لهيكله الداخلي وتنظيمه وعمله. وإن قوانين الديالكتيك كنظرية عامة للتنمية تعمل أيضا في المجتمع غير أنها محددة الإشكال ولم تدرس بشكل كاف. (18)

الشكل الاجتماعي للتنمية هو أعلى وأصعب طريقة للتطبيق من الواقع الموضوعي ويتميز في وحدة الهدف المادية والمثالية للتنمية إذ أنها عملية تكاملية متزايدة التعقيد وثراء المحتوى على مستوى المجتمع ككل وتتجلى في تراكم الثروة المادية والروحية للمجتمع وزيادة التعقيد وظهور العناصر والوظائف والعلاقات الجديدة في النظام العام. وينطوي التطور على زيادة قدرة وموارد الإنسان والمجتمع والدولة في مختلف مجالات الحياة لذا يتم توفيرها من خلال الوسائل القانونية والسياسية والاقتصادية وغيرها من الوسائل التي لا تنتهك آليات عمل وتتاسل الحياة التي وضعتها البشرية وبهذا فإن الأمن لا يفتقر من دوره وأهميته في الواقع الموضوعي. وإن الأمن الشخصي والممتلكات هو الضمان الرئيسي للتنمية البشرية وإن انعدام أمن الفرد والممتلكات يرقى إلى عدم وجود أي صلة بين الجهود الإنسانية وبين تحقيق الأهداف التي يتم القيام بها

إذ إن من دون ضمان الأمن يتبين أن جميع الأنشطة البشرية بلا هدف لذا فإن دراسة مشكلات الأمن القومي مقارنة بالمجالات الأخرى من الإدراك هي أكثر تماسكًا وتساهم في فهم المجتمع كجسم واحد متكامل مما يفسر هذا من ناحية التعقيد الهائل لفهم المشاكل الأمنية وضعف تطور العديد من جوانبها النظرية والعملية كما انه يولد اهتمامًا كبيرًا بالمشاكل الأمنية من جميع فروع العلم تقريبًا. إذ تعتبر مشكلة تطور الإنسان والمجتمع بمعزل عن المشاكل الأمنية ولا يزال التطوير والأمن قائمين في شكل اتجاهات مستقلة ومتوازية وغير متقاطعة للنشاط البشري. (19) فكثيرة هي المهام التي تواجهها في مجال التنمية الاجتماعية وفي مجال الأمن وغالبا ما تكون قريبة ومماثلة، ولربما ما يفسر الأهمية العالية لوظيفة الأمن هي حقيقة أنها تؤثر بشكل فعال على تشكيل الاتجاهات والمستويات الممكنة للتطوير في هذا أو ذاك بمجال الحياة فيتم تحديد مستوى الأمن إلى حد كبير من خلال مستوى التنمية كما يتم توفير الأمن من إجمالي الطاقة الكلية للدولة لكن هذا الاعتماد أبعد ما يكون عن الخطية والحتمية وكلما كان البلد أكثر تطوراً في اتجاهات مختلفة كلما زادت وتضاعفت قدرته على ضمان أمنه غير إن تنفيذ هذه الفرص في الواقع العملي قد يكون بعيداً عن التنفيذ الفعلي ولا يضمن ذلك مستوى أمنياً عالياً.

إما من حيث الجوهر والمضمون فإن مهام التنمية والأمن لها دائما الاتجاه المعاكس وعضويا يتطلب التطوير المستمر والتجديد والابتكار في مختلف مجالات المجتمع وإن الأمن يتطلب استقرار الوضع القائم وتقييد جميع أنواع الابتكارات، وإن العلاقة الحقيقية بين التنمية والأمن هو أكثر شخصية جدلية معقدة، واثنين من أهم وظائف المجتمع ترتبط ارتباطا وثيقا مع بعضها البعض وتقوم بشكل منفصل لأنها كانت ومن كلا الجانبين وجهين لعملة واحدة. ويبدو أن الاهتمام المتزايد بمشكلة الأمن في الوقت الحاضر ، وهو ازدهار غير مسبوق في هذا المجال يعكس الحاجة الماسة إلى المعرفة الحقيقية لمجتمعنا ككل واحد كنظام معقد، وعلى الرغم مجالات الحياة المجتمعية فقط بينما لا ينفرد في معظم بلادنا ولا حتى مركز علمي واحد في دراسة شاملة للبلد الذي يمثلته. (20)

الوضع الغريب الذي عايناه في بلادنا انه لم يكن هناك إلى حد ما أي علم في المجتمع ناهيك عن علم الافراد وقوانين وتنميته وأمنه، ووفقاً لمبادئ المادية التاريخية تم تعريف الوجود الاجتماعي على أنه مجمل العمليات الاجتماعية المادية الموجودة بشكل مستقل عن إرادة ووعي الفرد أو المجتمع ككل، كما وقد تم فصل الناس عن العمليات الاجتماعية المستقلة عنهم وعلى الرغم من كل المحاولات للاعتراف بالدور النشط للأنشطة الشعبية التي يمكنها أيضاً تغيير

هذه الظروف بفعالية. وقد كان غياب التحليل العلمي للعمل يمثل علاقة وثيقة مع محتوى العمليات الاجتماعية وحالة المجتمع كنظام اجتماعي منطور ومعقد فأدى في نهاية المطاف إلى فقدان الدول التنظيم الاجتماعي. ومفهوم الأمن باعتباره ظاهرة اجتماعية معقدة ومتعددة الوجوه لها طابع تاريخي ملموس وترتبط ارتباطا وثيقا مع جميع الأشكال والاتجاهات التفاعلية، وان الجانب الأكثر أهمية هو جانب المحتوى من التفاعلات المختلفة بين عناصر النظام المعطى إذ أنها تعكس عمليات تأثير الأشياء المختلفة على بعضها البعض ، وشروطها المتبادلة وتغيرها والانتقال المتبادل، ولذلك يحدد التفاعل تطور كل كائنات الواقع المحيط لان تفاعل الأضداد هو المصدر والأساس والسبب النهائي للحركة الذاتية والتنمية وان أكثر أشكال التفاعل تعقيداً وتميزاً هي حياة المجتمع لأنه نتاج تفاعل الناس. لذا تعتبر فئة التفاعل مهمة في عملية إدراك الظواهر الطبيعية والاجتماعية وهي أساس مقارنة منهجية لإدراك العالم والممارسة الاجتماعية في جميع مجالات الحياة بما في ذلك مجال الأمن وسلامة الحياة، وسلامة الحياة هي حماية العالم المادي والمجتمع الإنساني من التأثيرات السلبية ذات الطبيعة المختلفة، وأهدافها هي الطبيعة والإنسان والمجتمع. (21)

أمان الوجود البشري أو الأمن الشخصي والممتلكات هو حماية الشخص من التأثيرات السلبية ذات الطبيعة المختلفة القادرة على

إلحاق الضرر بجسده وممتلكاته وهذا النوع من الأمن يضمن الامتثال مع بعض الخبرة الغريزية البشرية أو المعايير المتقدمة وقواعد السلوك في النشاط الصناعي والحياة اليومية ويشمل كذلك السلامة من الحرائق وأمن النقل وسلامة العمل وما إلى ذلك. لذا فإن سلامة البيئة هي حماية الإنسان والبيئة من الآثار السلبية الطبيعية والاصطناعية التي يبتدأ توفيرها من خلال دراسة وإدراك الظواهر الطبيعية والتدابير الوقائية في حالة الكوارث الطبيعية ذات الطبيعة المختلفة. وإن هذه الأنواع من سلامة الحياة منذ ولادة الإنسان والحضارة هي التي كانت ولا تزال في مركز اهتمام الناس وإن العديد منها يتطابق تماماً مع الفئة العامة للأمن في توفير هذه الأنواع من سلامة الحياة هو مجال النشاط النظري والعملي لعدد من العلوم والمعاهد الخاصة للمجتمع والدولة، وإن الجوهر البيولوجي للإنسان له طبيعة مشروطة اجتماعياً وبالتالي فإن سلامة الإنسان ككيان اجتماعي ومجتمع بشري له أهمية خاصة ولذلك ينبغي التأكيد على أنه مع تطور البشرية وهيكل ونظام الدولة تحول نهج الأمن بشكل مستمر من فهمه كظاهرة فيزيائية إلى فئة اجتماعية لذا فإن الدور الرئيسي لتحديد ووضع النظام ينتمي إلى الأمن القومي أو أمن الأمة. والأمن القومي أو أمن الأمة هو حماية المصالح الحيوية للفرد والمجتمع والدولة في مختلف مجالات الحياة من التهديدات الداخلية والخارجية وضمان التطور التدريجي

المستدام للبلاد والقدرة على حفظ الطبيعة والإنسان والمجتمع من اليقين النوعي والقدرة على أداء وظائفه تحت تأثير العوامل السلبية وهذا لأن الأمن واحد وغير قابل للتجزئة وأن مركز جميع أنواع الأمن هو الإنسان لأنه هو الذي يعاني في المقام الأول من أي نوع من التهديدات غير انه وفي الوقت ذاته فيتم توليد هذه التهديدات في الغالب من قبل الإنسان ذاته ولذلك فإن الإنسان هو الأكثر عزلة والأكثر خطورة على نفسه وعلى المجتمع والبيئة. (22)

الأمن المحلي والدولي/

سمة هامة من سمات الحكم العالمي في تشكيل النموذج العالمي المتعدد المراكز يتمحور في التغيير الكبير في النسبة العامة للإمكانات الدولية الرائدة والمنظمات الدولية وكذلك في تآكل بعض أجزاء القانون الدولي والذي يفسره كل طرف على طريقته الخاصة ومصالحه الخاصة، فلا يتردد في استخدام القوة لتطبيقه. وقد زادت تلك السمات من القدرة على التأثير في العمليات العالمية بحجة حماية المصالح الوطنية مما يؤشر انخفاض ملحوظ في قدرات المنظمات الدولية الرامية إلى الدفاع عن مصالح المجتمع الدولي بأسره وهكذا برز وتطور نظامًا قائمًا على ميزان القوى. وان عامل توازن القوى له تأثير حاسم على صياغة وحل القضايا العالمية عبر المنافسة السياسية والاقتصادية والعسكرية الدولية وضمن الأمن

الدولي والوطني والحفاظ على الاستقرار والتنمية المستدامة، غير إن أوضاع العالم لم تستقر جراءه وذلك نتيجة لتدهور الوضع الدولي وتزايد الصراع في العالم وتأثير عوامل عدم اليقين المرتبطة بالسلوك المتمركز حول الذات لبعض الدول الكبرى وظهور جهات فاعلة عالمية غير تابعة للدول وفي مقدمتها منظمات الإرهاب الدولي وحالات تدهور البيئتين البشرية والطبيعية ومشاكل تخصيص الموارد العالمية وأساليب إدارة القضايا الاجتماعية العالمية، وإن إنشاء نظام عالمي جديد لا يقوم على توازن القوى وعلى توازن المصالح سيؤدي ذلك إلى حالاً أسوأ مما يعني التعامل بسلوك عنيف للغاية مما يعد أمراً ليس مقبولاً. وقد آثر سياقات الأمنين الوطني والدولي متناقضة جدا وخطيرة للغاية بظل التحديات والمخاطر والتهديدات لذلك لربما كان الأمر يتطلب معارضة منسقة للنماذج الحالية لهما، غير انه وعلى خلفية انخفاض مصداقية وفعالية المنظمات الدولية فإن هناك تدهورا في إمكانية إدارة العمليات في مجال الأمن الناتجة عن انعدام التوافق بين التهديدات وبين فرص المكافحة المشتركة مما يستلزم الفهم العلمي والإدراك التام لقضايا التكيف البيئية السياسية والديناميكية التحويل. (23)

منطق التكيف يجب أن يعالج مشكلة تنسيق أنشطة المنظمات الدولية العاملة في مجال الأمن المحلي والإقليمي والدولي في إطار إستراتيجية عالمية واحدة، ويعالج أيضا مشكلة تنسيق هذه

الاستراتيجيات مع الأمن القومي وإن تنفيذ النهج المقترح سيضمن القدرة على التنبؤ بتطور الأوضاع امنيا وإيجاد فرص إضافية لتخطيط الإجراءات لمنع تفاقم الأزمات، لذا يجب على مؤسسات ضمان الأمن القومي أن تتكيف مع واقع أوضاع العالم عبر تكيف وبرمجة المؤسسات الدولية مع الوقائع والتطورات المتعاقبة.

وإن العوامل المترابطة به قد تعيق التنفيذ العملي لخطوات تنظيم تفاعل نماذج لضمان الأمن المحلي والدولي كما في استيعاب وإدراك أهمية مشاكل ضمانه وحاجته إلى التعاون في سبيل حلها مما قد يؤدي إلى تطوير وثائق دولية هامة ومحفزا محاولات وضع قواعد ومعايير وممارسات مشتركة تهدف إلى ضمان الاستقرار والتنمية المستدامة وقد أدى ذلك إلى نشر تأثيره إلى ظهور بعض الاتفاقات الإطارية العالمية وإدخالها التدريجي في ممارسة العلاقات الدولية عبر توحيد طبقة المشاكل العالمية المفترض حلها لتعزيز التعاون والتفاهم المتبادل.وقد لا تتزامن في إطار هذا الهيكل استراتيجيات الأمن الدولية والوطنية ولا تتزامن حتى في العديد من القضايا ذات الطبيعة المتعارضة مما يؤدي إلى تدني التضامن بين تصرفات أعضاء المجتمعين الوطني والعالمي وحتى إلى الافتقار التام للفهم المشترك للمشاكل الرئيسية في عصرنا. وان ذلك هذا الوضع يرجع إلى التناقضات الأمنية والاستراتيجية في المجال السياسي الدولي المتسم بالصراع بين حاجة موضوعية لتعزيز

الحكم الجماعي وبين تأثير المجتمع البشري في تطور العولمة ورغبة القادة الحاليين بالاحتفاظ الصكوك التنظيمية الرئيسية في أيديهم. وإن التأثير الأمني الحاسم على استراتيجيات ضمان الأمن الوطني والدولي يجعل من الممكن تصنيف التحديات والتهديدات التي تواجه المجتمع كعامل محدد لتطوير الاستراتيجيات المناسبة، (24) وإدراكاً لذلك فإن كل الدول وائتلافاتها ليست مستعدة لعمل مشترك هادف لتعزيز وجهات النظر بشأن المساعدة الإنمائية وخصائص تأثيرها على حالة الأمن الدولي واتخاذ خطوات مشتركة للعطاء على أساس متفق عليه وإن عدم وجود استراتيجية شاملة لمواجهة المشكلات الأمنية محلياً وحتى دولياً يربك الوضع السياسي العالمي والإقليمي. كما إن التأثير القوي المزعزع للاستقرار ما هو إلا محاولات البعض للسيطرة واحتكار المجتمع الدولي من دون رقابة من جانب المجتمع الدولي ومن دون تحديد أولوية الإجراءات المعينة القائمة والمتوقعة. وتترتب على العواقب الخطيرة تصرفات أحادية من جانب بعض الدول والمنظمات في تحديد أشكال وطرق المواجهة لتصل أحياناً إلى استخدام تدابير القوة العسكرية في الرد، لذا ينبغي أن تهدف استراتيجية الضمان الأمني إلى التقيد الصارم والدقيق لقواعد السلوك المعترف بها عالمياً والملزمة على الساحة الدولية كما يجب أن تستند إلى آليات موثوقة للتأثير على تطور المواقف السياسية القائمة. (25)

الخاتمة/

لن اخفي حقيقة انه والى ألان لم يتمكن المجتمع الدولي إنشاء نماذج فعالة وموثوق بها لحل المشاكل الأمنية ولا مواجهة التهديدات والتحديات، الأمر الذي يتطلب تشكيل وتفعيل القدرة الجماعية ومضاغفة تنشيط العنصر التنافسي في أنشطة عدد من منظمات والتي تعمل في الغالب في عزلة ولا تحضا بالتنسيق السليم ولا بتكامل الجهود لمواجهة وحدة تطوير المنشآت والوحدات والمؤسسات الأمنية. وهناك اتجاه مماثل يبتكر وضعا إشكاليا، إذ إن جوهر التناقضات بين وجود نظام واسع النطاق من المنظمات الأمنية المحلية مع المنظمات الدولية هو بعدم وجود الإرادة السياسية للمجتمع الدولي وأعضائه لتحقيق عمل هادف لتحسين كفاءة المؤسسات القائمة، ولتنسيق استخدام الموارد في حل مشاكل الأمن الدولي القائمة على إستراتيجية واحدة عبر الاسترشاد في الشؤون الدولية وحسب المصالح الوطنية للوصول إلى أساس معقولا لجميع التفاعلات وفقا للتراضي والتوافق. ولذلك يتطلب حل النزاع تطوير واستخدام استراتيجيات التكيف السياسي للمصالح الوطنية وتشابكها مع مصالح المجتمع الدولي بأسره في إطار نموذج تكاملي للأمن الدولي القائم على منطق ضبط النفس والقيود، وإن الشرط الأساسي للنظام ينترجم في مثالية قدرة الدول لضبط القرار

والمجتمع الدولي ككل للحد من تصرفات بعض الجهات المحلية والإقليمية والدولية الفاعلة التي يضر سلوكها بمصالح الأمن الدولي بشكل عام. وان بعض المنظمات الدولية والدول الفردية لها ما يبرر الإعراب عن قلقها إزاء بناء الاستعدادات العسكرية ومعاملتها كتهديد للأمن الدولي أو الوطني وانتهاك للالتزامات التقييد العسكري، لذلك يمكن استخلاص استنتاجات مماثلة من الزيادة في عدد ونطاق التدريبات ، واختيار موقعها ، والزيادة الحادة في إنتاج الأسلحة والمعدات العسكرية ، والنمو في حجم مبيعات الأسلحة ولاسيما في مناطق الصراع المتزايد وبعض الخطوات الأخرى. ولمنع هذا السيناريو هناك حاجة إلى نظام متطور لتدابير المعلومات المتبادلة بشأن الأنشطة العسكرية استنادا إلى آليات موثوقة للرصد والتنبؤ، ومن الضروري إجراء تقييم شامل وعملي والتنبؤ بالعواقب المحتملة لإجراءات الدول لضمان الأمن القومي في سياق واسع عبر ربط تأثير الخطوات المتخذة في إطار التهدة في كلا من حالة الأمن الدولي وحالة الأمن الوطني. ومع ما تقدم كله فتحتاح البلاد إلى سياسة أمن قومي متوازنة مع أولوية غير مشروطة للمصالح والقيم الوطنية وتراعي في الوقت نفسه الحقائق السياسية التي تتطور في الوضع الدولي ومصالح الدول الأخرى والمنظمات الدولية، وينبغي وضع منطقتي التنسيق المصالح، بالاعتماد على مبادئ الحد منها، وضبط النفس في الأساس

لاستراتيجية الأمن الدولي، مع الأخذ بعين الاعتبار المصالح الوطنية، ومن المهم أن نجد طريقة لمطابقة أفضل السياسات المحلية مع العمليات الحقيقية في المجال الأمني، كما ومن المهم تجنب كل سياسة لينة أو موقف مرن من البلاد على حساب المصلحة الوطنية لأن المواجهة الأمامية بهدف تطوير الاتجاه العالمي ونشوء وتطور الذي لا يعود إلى المؤامرات من المعارضين والائتلافات المتنافسة والظروف الموضوعية الجديدة. وتحتاج كل دولة إلى نموذج تكاملي شامل يجمع بين مصالح المجتمع الدولي والمصالح الوطنية لها كما يجب أن يسهم النموذج في حل مجموعتين من القضايا وإنشاء أداة لدعم التأثيرات التنظيمية على الأمن الدولي واختيار الطرق المثلى للتفاعل مع منظمات الأمن الدولية لحماية المصالح الوطنية.

قائمة المصادر

- Введение в теорию, международного конфликта, Под общ. Ред, М.А.Мунтяна. М., 1996.
- Поздняков Э.А, Баланс сил в мировой политике: теория и практика. М., 1993

- Проскурин С.А, Военная сила в •
 .международных отношениях, М., 1989
- Лекарев С.В., Порк В .А. Бизнес и •
 безопасность: толковый терминологический
 .словарь
 под науч. ред. проф. А.И, Гурова, •
 .проф. Б. С. Те –терина, М., 1995
- Ожегов С .И., Шведова Н .Ю. •
 .Толковый словарь русского языка, М., 1997
- Яценко Н.Е, Толковый словарь •
 .обществоведческих терминов, СПб., 1999
- Порфирьев Б.Н, Управление в •
 чрезвычайных ситуациях: проблемы теории и
 .практики, М., 1991
- Акопов А.А, Безопасность человека: •
 .социальные и правовые основы, М., 2005
- Дзलिएв М.И., Урсул А.Д, Основы •
 обеспечения безопасности России: учеб.
 пособие., М.: Рос. гос. торгово–экон. ун–т,

НИИ проблем безопасности и устойчивого
развития, 2003

Возжеников А.В, Парадигма националь, ной
безопасности реформирующей России:
монография, М., 2000

النسب من قبل الأم

د. ثرية اقصري

مقدمة :

أثارت اهتمامي فكرة البحث في موضوع "النسب من قبل الأم" منذ أعوام خلت، حينما كنت أتصفح الجزء الثاني عشر من كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأحمد بن يحيى الونشريسي المتوفى بفاس عام 914هـ، حينما كنت أحضر رسالة الدكتوراه... حيث لفت نظري عنوان "مسألة الشرف من قبل الأم"، وحينما قرأت الموضوع تبين لي أن الشرف يورث من قبل الأم كما يورث من قبل الأب، وإذا كان الشرف يورث من قبل الأم، فلماذا لا يورث النسب أيضا؟ خاصة وأن الأدلة التي استدل بها الونشريسي لتوريث الشرف من قبل الأم صالحة للاستدلال بها على توريث النسب من قبل الأم أيضا... وقررت حينئذ تعميق البحث في هذا الموضوع حينما تسنح الفرصة بذلك بعد الانتهاء من بحث الدكتوراه؛ لكونه يعالج جانبا من إشكالية كبرى تعاني منها المرأة المسلمة، والمتمثلة في ضعف مركزها ومكانتها الاعتبارية داخل الأسرة، ومن ثم داخل المجتمع. وهذا الضعف ناتج عن عدة أسباب يمكن إدراج معظمها تحت أعراف الأسرة الأبوية؛ ويأتي على رأسها عرف عدم قدرة الأم على تمرير نسبها لأولادها، حيث ينظر إليها على أنها مجرد وعاء لحفظ نسب الآخر...

ذلك أن مسألة انتساب الأولاد إلى أبيهم دون أمهم من المسائل التي تم تأويلها وفق الأعراف السائدة حين نزول القرآن الكريم، والمتمثلة في أعراف المجتمع الذكوري التي تكاد تلغي الأنثى وتجعلها تابعة للذكر، على الرغم من أن دور الأنثى مساو لدور الذكر في تمرير المورثات للولد، وتزيد عليه تفردا

بحمل الولد في رحمها لتسعة أشهر، وتغذيته خلالها من دمها، ثم تغذيته من حليبها بعد ذلك خلال طفولته الأولى، مما يعمق العلاقة بينهما، وقد أثبتت الدراسات الحديثة بأن الجنين يتأثر بأمه وبنفعلاتها... بينما الأب لا يساهم إلا بالنظفة التي ليست بولد؛ وإنما هي جزء يتخلق منه الولد فقط. كما أن معنى الولادة ألصق بالأم؛ وفي هذا المعنى قال أحمد بن يحيى الونشريسي: "إن الولد مشتق من الولادة، وإضافتها للأم حقيقة، وإضافتها للأب باعتبار النسب مجاز، فإذا صح الانتساب إلى أبي أبيه، كان لأبي أمه أولى؛ لأنه نسب حقيقي".⁶⁸

ولأهمية دور الأم في الولادة والتربية، ذكره الله عز وجل في معرض الآيات الكريمة التي أوصت بالوالدين، وفصلت في دور الأم، وحثت على شكرهما عند قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.⁶⁹

وتكمن أهمية تمكين الأم من تمرير نسبها للطفل في رد الاعتبار لمكانة المرأة داخل الأسرة كعنصر فاعل وأساسي، والعمل بوصية الله عز وجل بها ولشكرها، والقضاء على عرف تفضيل الذكر على الأنثى من منطلق أنه هو الذي يخلد اسم العائلة، وفي هذا الإطار يعلل الشيخ محمد رشيد رضا حب الناس للذكر أكثر من حبهم للأنثى بـ "كونه في عرف الناس عمود النسب الذي

68 - أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية وأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي)، ج 12 ص 386.

69 - لقمان : 14.

تَنْصِلُ بِهِ سِلْسِلَةُ النَّسْلِ، وَيَبْقَى بِهِ مَا يَخْرُصُونَ عَلَيْهِ مِنَ الذُّكْرِ".⁷⁰ بالإضافة إلى أسباب أخرى سيتم بيانها خلال هذه الورقة البحثية.

وخلال البحث في هذا الموضوع تبين لي أن مسألة إثبات الشرف من قبل الأم حظيت بدراسات مستفيضة وطال فيها السجال، واختلفت فيها الآراء والأقوال، والذين ألفوا في الموضوع كان هدفهم الرئيسي في الغالب إثبات لمن أمه "شريفة" من نسل الحسن أو الحسين ابني فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبوه "ليس شريفاً" (المقصود ب "ليس شريفاً" هنا من ليس من نسل فاطمة الزهراء)، هل يكون "شريفاً" كأمه أم لا ؟ ومن الكتب المؤلفة في هذا الإطار :

- " - تحقق الوارد في اختصاص الشرف من الوالد، أحمد بن حسن بن قنقذ القسنطيني المالكي.
- إسماع الصم في إثبات الشرف من جهة الأم، محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد أبو عبد الله.
- إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم، الضرير المراكشي.
- ثبوت الشرف من قبل الأم، عبد الرفيح.
- طراز الكلم في تحرير إثبات الشرف من جهة الأم، عبد الرحمن تونسوي.
- إزالة اللبس والشبهات عن ثبوت الشرف من قبل الأمهات، الطالب بن سودة".⁷¹

⁷⁰ - محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990)، ج 3 ص 199.

ومن الكتب المؤلفة خلال القرن الماضي كتاب شرف الأسباط لمحمد جمال الدين القاسمي الدمشقي الذي قال : "ولا يخفى أن شرف النسب النبوي يتوارث بالآباء والأمهات، فنتال الأحماد والأسباط ما له من المزايا والخصوصيات. ولما وهم بعض الناس أن الأحماد ورثة النسب بالتعصيب، وأن الأسباط لا حظ لهم منه ولا نصيب، انتدب أعلام العلم لرد هذا الوهم، فأفتوا بمساواة الإناث للذكور في هذا الشرف المذكور، وأن الأسباط يضررون فيه بوافر سهم، فيثبت لهم الشرف الكريم من قبل الأم، وصنفوا في ذلك مؤلفات عديدة أبدوها ببراهين سديدة. وكيف لا ينال الشرف من قبل النساء وقد بدأ أصل شرف النسبة من النساء؛ أعني سيدتهن فاطمة البتول الزهراء".⁷²

وهذا السجال أفادني في كتابة هذا الموضوع؛ لأن الأدلة التي تثبت الشرف من قبل الأم هي نفسها التي تثبت النسب من قبل الأم، وقد بذل العلماء الذين ألفوا في الموضوع مجهودات مشكورة في جمع هذه الأدلة ودراستها، ولئن كان هدفهم هو إثبات الشرف من قبل الأم، فإن هدفي أكبر من ذلك وهو إثبات حق الأم في تمرير نسبها لأولادها عموماً؛ فكما يحق للمرأة تمرير "الشرف" يحق لها أيضاً تمرير "النسب" ... حيث سأتناول بالدراسة والتحليل مختلف الأدلة التي

⁷¹ - بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر العربي، مصادر الفقه المالكي «أصولاً وفروعاً في المشرق والمغرب قديماً وحديثاً»، ط 1 (بيروت، دار ابن حزم، 2008)، ص 81.

⁷² - محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، كتاب شرف الأسباط، ط 1 (دمشق، مطبعة مجلة القيمرية، 1331هـ)، ص 3 - 4.

تثبت ذلك من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة من خلال المحاور التالية

:

أولاً - تعريف النسب.

ثانياً - اختصاص الأب بالنسب من أعراف الأسرة الأبوية.

ثالثاً - تفسير آية {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ}.

رابعاً - الآيات والأحاديث التي تنسب أبناء البنت لجدهم من الأم.

خامساً - استواء الرجل والمرأة في التولد منهما وفي التكريم.

أولاً- تعريف النسب :

من الناحية اللغوية هناك من جعل النسب من قبل الأب فقط، وهناك من جعله من قبل الأم والأب معا حسب ما نقله مرتضى الزبيدي أثناء شرحه لكلمة النسب : "(النَّسَبُ، مُحَرَّكَةً) : وَاجِدُ الْأَنْسَابِ (و) قَالَ ابْنُ سَيِّدَهْ : (النُّسْبَةُ، بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ) وَالنَّسَبُ : (الْقَرَابَةُ،) أَوْ هُوَ (فِي الْأَبَاءِ خَاصَّةً) . وَقِيلَ : النَّسْبَةُ مَصْدَرُ الْإِنْتِسَابِ. وَالنُّسْبَةُ، بِالضَّمِّ : الْأِسْمُ، وَالْجَمْعُ نُسَبٌ، كَسِدْرٌ وَغُرْفٌ. وَقَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ : وَيَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْأُمِّ وَالْأَبِ. وَقَالَ اللَّيْلِيُّ، فِي شَرْحِ الْفَصِيحِ : النَّسَبُ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَنْ تَذَكَرَ الرَّجُلَ فَتَقُولَ : هُوَ فُلَانٌ بِنُ فُلَانٍ، أَوْ تَنْسِبَهُ إِلَى قَبِيلَةٍ أَوْ بَلَدٍ أَوْ صِنَاعَةٍ".⁷³

ولئن كان الفقهاء يعترفون حين شرحهم للنسب بأنه يكون من جهة الأب والأم، وكمثال على ذلك ما ذكره عبد الكريم بن محمد بن عبد العزيز اللاحم

⁷³ - مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من

المحققين، (دار الهداية، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخ الطبع)، ج 4 ص 260 - 261.

عند تعريفه للنسب بأنه : "هو القرابة، وهي اتصال بين شخصين بالاشترار في ولادة قريبة أو بعيدة".⁷⁴ وجعل "جهات النسب ثلاثة وهي :
1- جهة الأصول، وهم من ينتمي إليهم الشخص من الآباء والأمهات، والأجداد، والجدات.

2- جهة الفروع، وهم من ينتمون إلى الشخص من الأولاد وأولادهم.

3 - جهة الحواشي، وهم من ينتمون إلى أبوي الشخص وأجداده من الإخوة وأولادهم والأعمام وأولادهم".⁷⁵

إلا أنهم لا يتوانون في الجزم بأن الابن "يدعى لأبيه لا لأمه فيقال فلان بن فلان؛ قال تعالى {ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله} الأحزاب 5، والولد يتبع أمه في الحرية والرق ويتبع أباه في النسب والتسمية... ويتبع في الدين خير أبويه دينا".⁷⁶ كما أكد ابن قيم الجوزية.

وقد أشار الله عز وجل لكلمة نسب عند قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}.⁷⁷

وأحسن ما قرأته في شرح هذه الآية ما ذهب إليه الشيخ ابن عثيمين في قوله : "جعل الله تعالى الصلة بين البشر في هذين الأمرين : النسب والصهر... والأنساب هم القرابة من قبل الأب أو من قبل الأم، والأرحام كذلك هم القرابة من

⁷⁴ - عبد الكريم بن محمد بن عبد العزيز اللاحم، الفرائض، ط 1 (المملكة العربية

السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1421هـ)، ص 18.

⁷⁵ - المرجع نفسه.

⁷⁶ - ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ط

1 (دمشق، مكتبة دار البيان، 1971)، ص 135.

⁷⁷ - الفرقان : 54.

قبل الأب أو من قبل الأم . وأما أقارب الزوجين فإنهم يسمون أصهاراً لا أنساباً⁷⁸.

وبتتبع كلمة "أم" في القرآن الكريم نجدها تحمل حمولة قوية حتى في الآيات الكريمة التي لا تتحدث عن "الأم" الوالدة، لكن الغشاوة التي سببتها الأعراف والتقاليد السائدة، حالت دون إدراك أهمية دور الأم في حفظ النسب.

ومن الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة "أم" ما ذكره الله عز وجل في حق مكانة القرآن الكريم: {حَمِّهِ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَإِنَّهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ}.⁷⁹

وكقوله تعالى : {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}.⁸⁰

وقوله عز وجل في حق مكة التي هي مركز الكرة الأرضية : {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}.⁸¹

⁷⁸ - شوهده يوم 21 يناير 2019 في الموقع الإلكتروني الرسمي للشيخ محمد بن

صالح العثيمين : <http://binothaimeen.net/content/8901> - بتصريف.

⁷⁹ - الزخرف : من الآية 1 إلى الآية 4.

⁸⁰ - آل عمران : 7.

⁸¹ - الأنعام : 92.

وبذلك يبرز المعنى المركزي لكلمة "أم" في القرآن الكريم وفي اللغة العربية، ومع ذلك فيما يتعلق بنسبة الأولاد لأبويهما، تم التركيز في العرف على النسبة للأب، وإهمال دور الأم في الغالب؛ ذكر جواد علي في هذا الإطار: "النسب هو جرثومة العصبية وأساسها؛ ولهذا حرص العربي على حفظ نسبه، ولا يزال يحرص عليه، فيروي لك شجرة نسبه حفظاً ويرفعها إلى جملة أجداد... ويبدأ النسب بالأب في الغالب، و"الأم" في الأقل في حالات تتغلب فيها شهرة الأم على شهرة الأب، ويكون "البيت" إذن جرثومة النسب، وحين ينسب إنسان يقول: إنه "ابن فلان". ويشمل نسب البيت الأب والأولاد البنات والزوجة أو الزوجات، وهم أكثر الناس التصاقاً بالأب، وقد يقال: إنه من "بيت فلان" تعبيراً عن الانتساب إلى رئيس ذلك البيت... والبيت هو بيت أب. ولما كان المجتمع مجتمع بيوت، صار النظام فيه نظاماً أبوياً، السلطة العليا فيه للأب، إليه يُنتسب وهو المسئول قانوناً عن العائلة، يتساوى في ذلك مجتمع الحضر ومجتمع أهل الوبر".⁸²

ثانياً - اختصاص الأب بالنسب من أعراف الأسرة الأبوية :

قبل البدء في بسط الأدلة التي تثبت استحقاق الأم لانتساب أولادها إليها، لا بأس من الإشارة إلى أن المجتمع الأموي القديم كان أكثر علمية ممن تلاه من المجتمعات فيما يتعلق بهذا الموضوع، بحيث كان الأولاد ينسبون إلى أمهاتهم؛ بناء على ملاحظة بديهية؛ وهي أن الأم هي من تلدهم. إلا أنه مع ظهور المجتمع الأبوي، وانتشار أعراف الأسرة الأبوية، أصبحت المرأة "مأسورة، منفية في ظلمة الخدر حيث تحرسها غيرة الزوج، وفقدت معظم امتيازاتها من جراء هذا

⁸² - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 4 (دار الساقى، 2001)،

ج 7 ص 353 - 354.

التَّحْوَلُ".⁸³ وأصبح الأولاد ينسبون إلى الآباء دون الأمهات... وبما أن هذه الأعراف هي التي كان سائدة حين نزول القرآن الكريم، فقد تأثر الفقهاء بذلك ونسب الأولاد للآباء دون الأمهات على الرغم من أنه لا يوجد ما يثبت هذا الاختصاص، والكتب المؤلفة في موضوع "الشرف من قبل الأم" تؤكد ذلك.

ومن الأمثلة على تأثر الفقهاء بأعراف الأسرة الأبوية التي تفضل الذكور على الإناث حين تفسيرهم لآيات القرآن الكريم؛ ما قاله عبد العزيز بن عبد السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَرْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مِّبْتَأً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾⁸⁴؛ حيث قال: "خصوا به الذكور، لأنهم خدم الأوثان، أو فضلهم على الإناث، والذَّكَرُ مأخوذ من الشرف، لأنه أشرف من الأنثى، أو من الذَّكَرِ، لأنه أذكر وأبين في الناس".⁸⁵

ومن أمثلة ذلك أيضا ما قاله محمد رشيد رضا خلال تفسيره للآية الكريمة: *لُذِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ*⁸⁶، حيث ذهب إلى أنه تم ذكر حب البنين لكونه أقوى من حب

⁸³ - مونيك بيتر Monique Pietre، المرأة عبر التاريخ: تطوّر الوضع النسوي

من بداية الحضارة إلى يومنا هذا، ترجمة هرنبيت عبودي، ط 1 (بيروت، دار

الطليعة، 1979)، ص 22.

⁸⁴ - الأنعام: 139.

⁸⁵ - العز بن عبد السلام، تفسير القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي،

ط 1 (بيروت، دار ابن حزم، 1996)، ج 1 ص 465.

⁸⁶ - آل عمران: 14.

البنات لأسباب عددها، كلها نتاج لأعراف الأسرة الأبوية حيث ذكر :
 "أَمَّا كَوْنُ حُبِّ الْبَنِينَ أَقْوَى وَالْتَّمَعُ بِهِ أَعْظَمَ فَلَهُ سَبَابٌ :
 مِنْهَا : الْأَمَلُ فِي نُصْرَةِ الذَّكَرِ وَكَفَالَتِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِي الضَّعْفِ وَالْكَبَرِ ...
 وَمِنْهَا : أَنَّهُ يُرْجَى بِهِ مِنَ الشَّرَفِ مَا لَا يُرْجَى مِنَ الْأُنْثَى، كَقِيَادَةِ الْجَيْشِ
 وَرِعَايَةِ الْقَوْمِ وَالنُّبُوغِ فِي الْعُلُومِ وَالْأَعْمَالِ.
 وَمِنْهَا : مَا مَضَى بِهِ الْعُرْفُ مِنْ اعْتِبَارِ نَقْصِ الْأُنْثَى وَخُرُوجِهَا عَنِ الصِّيَانَةِ
 مُجْلِبَةً لِأَكْبَرِ الْعَارِ، وَتَوَقُّعِ ذَلِكَ أَوْ تَصَوُّرِ احْتِمَالِهِ يُذْهِبُ بِشَيْءٍ مِنْ غَضَاضَةِ
 الْحُبِّ فَيَلْحَقُهُ الذُّبُولُ أَوْ الذُّوْيُ.
 وَمِنْهَا : الشُّعُورُ بِأَنَّ الْأُنْثَى إِثْمًا تُرَبِّي لِتَنْفِصِلَ مِنْ بَيْتِهَا وَعَشِيرَتِهَا وَتَتَّصِلَ
 بِبَيْتٍ آخَرَ تَكُونُ عُضْوًا مِنْ عَشِيرَتِهِ، فَمَا يُنْفِقُ عَلَيْهَا وَمَا تُعْطَاهُ يُشْبِهُ الْعَرْمَ
 وَخِدْمَةَ الْغُرَبَاءِ".⁸⁷

ولئن كانت معظم هذه التعليقات سقطت في وقتنا الراهن في المجتمعات التي
 نالت فيها المرأة حظوظها كاملة في الولوج إلى التعليم وفي التمكن من حقوقها
 المدنية والاقتصادية والسياسية... إلا أن هناك مجتمعات أخرى ما زالت المرأة
 تعاني فيها من التهميش والهشاشة ومازالت تصدق عليها مثل هذه الأقوال...
 ثالثاً - تفسير الآية الكريمة {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ} :

أقوى دليل استند إليه من يقولون بأن النسب من قبل الأب فقط يتمثل في
 قول الله عز وجل : {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ
 الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ. ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا

⁸⁷ - رشيد رضا، مرجع سابق، ج 3 ص 199.

آبَاءَهُمْ فَأَخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} .⁸⁸

وسياق الآية يفيد بأن الهدف من هذه الآيات هو إبطال عادة التبني بالطريقة التي كانت معروفة في الجاهلية، بحيث كان إذا تبني شخص ابنا للغير يصبح كأنه ابنه حقيقة يتوارثان فيما بينهما، ولا يحق للمتبني الزواج بطليقة المتبني... وليس تخصيص الأب بالنسب دون الأم. فلا يلزم من ثبوت النسبة للأب أن لا يكون منسوبا للأُم أيضا؛ خاصة وأن كلمة "الآباء" وكلمة "الأبوين" حينما تذكر في القرآن الكريم تشمل الأب والأم معا. لذلك نقل أبو العباس البسيلي في شرح قوله تعالى {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ} : "صيغة "افعل" هنا للجوب؛ لرجوع ذلك لحفظ الأنساب، وهو أحد الكليات الخمس. وقول الفخر هي للإرشاد، يُردُّ بأنَّه في اصطلاح الأصوليين خاصٌّ بالأُمور الدنيوية، حسبما قرَّره ابن التَّمساني. ولمَّا كان "ادعوهم" بمعنى انسبُوهم، تعدَّى باللام. ولفظُ الآية في الذكور والإناث، وهو عمومٌ خرج على سبب، وفيه خلاف".⁸⁹

وما يؤكد بأن الهدف من هذه الآيات هو إبطال عادة التبني بالطريقة التي كانت معروفة في الجاهلية، ما ذكر في سبب نزول الآية؛ حيث أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها : "تَبَّئِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا، وَكَانَ مَنْ تَبَّئِي رَجُلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ دَعَاهُ النَّاسُ إِلَيْهِ وَوَرِثَ مِنْ مِيرَاثِهِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ

88 - الأحزاب : 4 - 5 .

89 - أبو العباس البسيلي التونسي، نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، تقديم وتحقيق محمد الطبراني، ط 1 (الدار البيضاء، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، مطبعة النجاح الجديدة، 2008)، ج 2 ص 390.

{ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ} إِلَى قَوْلِهِ {وَمَوَالِكُمْ} فَرُدُّوْا إِلَى آبَائِهِمْ، فَمَنْ لَمْ يُعْلَمْ لَهُ
أَبٌ، كَانَ مَوْلَى وَأَخًا فِي الدِّينِ".⁹⁰

وما أخرجہ الإمام مسلم عن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : " مَا
كُنَّا نَدْعُو زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ
هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ}"⁹¹.

ومما يؤكد الدعوة لإبطال عادة عدم الزواج بطليقة الدعي قوله تعالى : { وَإِذْ
تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي
نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا
وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا
مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا }⁹².

وكما أسلفت، كلمة الآباء تشمل الأمهات أيضا في القرآن الكريم كما في قوله
تعالى : {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ}⁹³،
فالمقصود بالأبوين هنا آدم وحواء عليهما السلام.

⁹⁰ - أخرجہ البخاري في صحيحه في كتاب النكاح بَابُ الْأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ رَقْمَ الْحَدِيثِ
5088. وعلق محمد ناصر الدين الألباني على الحديث في صحيح أبي داود - الأم،
ط 1 (مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 2002)، ج 6 ص 302 بقوله :
"إسناده صحيح على شرط البخاري، وصححه الحافظ".

⁹¹ - أخرجہ مسلم في صحيحه في كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بَابُ
فَضَائِلِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَقْمَ الْحَدِيثِ 2425. وعلق
محمد ناصر الدين الألباني على الحديث في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان،
ط 1 (جدة، دار باوزير للنشر والتوزيع، 2003)، ج 10 ص 149 بقوله : "صحيح".

⁹² - الأحزاب : من الآية 36 إلى الآية 39 .

⁹³ - الأعراف : جزء من الآية 27.

وكما في قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾. 94

وقوله عز وجل : ﴿وَأَمَّا الْغُلَامَ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾. 95

ولو كانت النسبة للأُم حراما لما نسب بعض الأنبياء لأمهاتهم كعيسى بن مريم ويونس بن متى، والرسول صلى الله عليه وسلم كان ينسب إلى أبيه كما ينسب إلى أمه؛ فيقال محمد بن عبد الله ومحمد بن آمنه، وفي هذا الإطار قال الونشريسي : "إن بعض العلماء المؤرخين ذكروا أنه عليه السلام أفضل الناس حسبا وأشرفهم نسبا من أبيه وأمه، فقد نسيوه عليه السلام إلى نسب أمه، كما نسيوه إلى نسب أبيه". 96

كما نادى هارون أخاه موسى عليهما السلام بقوله "ابن أم" عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ

94 - النساء : 11.

95 - الكهف : 80.

96 - الونشريسي، مرجع سابق، ج 12 ص 388.

اسْتَضَعُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}." 97.

وكذا نسب الرسول عليه الصلاة والسلام بعض الصحابة إلى أمهاتهم كقوله في عبد الله بن مسعود "ابن أم عبد" في الحديث التالي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو الذي سمع رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "افْرَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ : مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ وَمِنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَمِنْ سَالِمٍ، وَمَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَمِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ". 98.

وقوله في عبد الله بن قيس : "فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُنَادِيَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ". 99.

كما أن الصحابة كانوا ينسبون الناس لأمهاتهم كما ورد في بعض الأحاديث منها ما رواه أَبُو قَتَادَةَ : "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ

97 - الأعراف : 150 - 151.

98 - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُمِّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا رقم الحديث 2464. وعلق محمد ناصر الدين الألباني على الحديث في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ج 10 ص 205 بقوله : "صحيح".

99 - أخرجه ابن حبان في صحيحه في باب السحور في ذِكْرِ الْأَمْرِ بِأَكْلِ السُّحُورِ لِمَنْ يَسْمَعُ الْأَذَانَ لِلصَّبْحِ بِاللَّيْلِ رقم الحديث 3469. وعلق محمد ناصر الدين الألباني على الحديث في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ج 5 ص 319 بقوله : "صحيح".

حَامِلٌ أَمَامَةً بِنْتِ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَبِي الْعَاصِ بْنِ
الرَّبِيعِ، فَإِذَا قَامَ حَمَلُهَا وَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا".¹⁰⁰

رابعاً - الآيات والأحاديث التي تنسب أبناء البنت لجدهم من الأم :

من الأدلة على أن الأم يمكن أن تمرر النسب لأبنائها قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سَبَبِي
وَنَسَبِي".¹⁰¹

ومن المعلوم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلف بنات وبنين، إلا أن كل
أبنائه الذكور ماتوا خلال مرحلة الطفولة، ولم يبلغ أي أحد منهم مبلغ الرجال؛
قال الله تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾¹⁰².

وبالتالي فإن نسب نبينا الكريم حفظ عن طريق النساء فقط في جيله الأول،
وخاصة عن طريق فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم عن طريق ولديها الحسن

¹⁰⁰ - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابِ جَوَازِ حَمَلِ

الصُّبْيَانِ فِي الصَّلَاةِ، رقم الحديث 543. وعلق محمد ناصر الدين الألباني على

الحديث في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ج 2 ص 381 بقوله : "صحيح".

¹⁰¹ - أخرجه البيهقي في سننه الكبرى في جماع أبواب ما خصَّ به رسولُ الله صَلَّى

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ غَيْرِهِ مِمَّا أُبِيحَ لَهُ وَحُظِرَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ بَابِ الْأَنْسَابِ كُلِّهَا مُنْقَطِعَةٌ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا نَسَبُهُ رقم الحديث 13394، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعلق محمد ناصر الدين الألباني على الحديث في صحيح الجامع الصغير وزياداته،

(المكتبة الإسلامي، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخ الطبع)، ج 2 ص 832 بقوله :

"صحيح".

¹⁰² - الأحزاب : 40.

والحسين بعد ذلك. ذكر بكر بن عبد الله : "إن النبي صلى الله عليه وسلم، كان له أربع بنات : زينب وتزوجها رجل من الصحابة مذكور اسمه في السير، وولدت ابنة سُمِّيَتْ أُمَامَةَ، وولداً اسمه عليّ، فأُمَامَةُ تزوجها عليّ بن أبي طالب بعد موت فاطمة، ومات عنها ولم يُولد له منها ولد، فلم يكن لها ذرية، ولا لأخيها عليّ، والبنات الثانية والثالثة : رقية وأم كلثوم، تزوجهما عثمان وماتتا في حياة والدهما. وقد ولدت إحداهما لعثمان ولداً اسمه عبد الله، مات صغيراً من نقرة ديك في عينه. وكانت فاطمة أصغر أخواتها، تزوجها عليّ بن أبي طالب، فولد له منها الحسن والحسين".¹⁰³

ومما يؤكد كون نسب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باقٍ سورة الكوثر التي ورد فيها : {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}.¹⁰⁴

فمما ذكر في نزول السورة : "أخرج الزبير بن بكار وابن عساکر عن جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : تَوَفَّى الْقَاسِمُ ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ. فَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ آتٍ مِنْ جَنَازَتِهِ عَلَى الْعَاصِي بْنِ وَايِلَ وَابْنِهِ عَمْرُو. فَقَالَ حِينَ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي لِأَشْنُوهُ. فَقَالَ الْعَاصِي بْنُ وَايِلَ : لَا جَرَمَ لَقَدْ أَصْبَحَ أَبْتَرٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ {إِنْ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}... وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ السَّدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَتْ فُرَيْشٌ تَقُولُ إِذَا مَاتَ ذُكُورَ الرَّجُلِ : بَتْرَ فَلَانَ فَلَمَّا مَاتَ وَلَدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْعَاصِي بْنُ وَايِلَ : بَتْرَ وَالْأَبْتَرُ الْفَرْدُ.

¹⁰³ - بكر بن عبد الله، معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، ط 3 (الرياض،

دار العاصمة للنشر والتوزيع، 1996)، ص 300.

¹⁰⁴ - الكوثر : من الآية 1 إلى الآية 3.

وأخرج ابن المُنذر وابن جرير وعبد الرَّزَّاق وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما {إن شانتك} يقول : عدوك...
وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن شهر بن عطية عن إبراهيم قال : كان عقبة بن أبي معيط يقول : إنه لا يبقى للنبي صلى الله عليه وسلم ولد وهو أبت. فأُنزل الله فيه {إن شانتك هو الأبت}." 105

ومن الأدلة التي استدلت بها على أن الأم ينتسب إليها الأولاد أيضا قوله تعالى : { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّن الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} 106.

قال الكيا الهراسي : "كما جعل الله عيسى من ذرية إبراهيم... وإنما نسبته إليه من جهة أمه لأنه لا أب له". 107

وفي نفس المعنى نقل محمد جمال الدين القاسمي : "قال الحافظ ابن كثير : في ذكر عيسى عليه السلام، في ذرية إبراهيم أو نوح (على القول الآخر) دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجل، لأن انتساب عيسى ليس إلا من جهة

105 - جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت، دار

الفكر)، ج 8 ص 653.

106 - الأنعام : من الآية 83 إلى الآية 87.

107 - الكيا الهراسي، أحكام القرآن تحقيق موسى محمد علي وعزة عبد عطية، ط 2

(بيروت، دار الكتب العلمية، 1405 هـ)، ج 2 ص 287.

أمه مريم عليهما السلام، وقد روى ابن أبي حاتم أن الحجاج أرسل إلى يحيى بن يعمر فقال : بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم، تجده في كتاب الله وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده ؟ ! قال : أليس قرأ سورة الأنعام وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ... حتى بلغ : وَيَحْيَى وَعِيسَى قال : بلى ! قال : أليس من ذرية إبراهيم، وليس له أب ؟ قال : صدقت !¹⁰⁸.

وهذه الحكاية نقلها فخر الدين الرازي : "عَنِ الشَّعْبِيِّ كُنْتُ عِنْدَ الْحَجَّاجِ فَاتَيْتِ بِيَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ فَقِيهِ خُرَاسَانَ مَعَ بَلْخِ مَكْبَلًا بِالْحَدِيدِ فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ أَنْتَ زَعَمْتَ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : بَلَى فَقَالَ : الْحَجَّاجُ لَتَأْتِيَنِي بِهَا وَاضِحَةً بَيِّنَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ لَأَقْطَعَنَّكَ عُضْوًا عُضْوًا. فَقَالَ آتِيكَ بِهَا وَاضِحَةً بَيِّنَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يَا حَجَّاجُ قَالَ : فَتَعَجَّبْتُ مِنْ جُرْأَتِهِ بِقَوْلِهِ يَا حَجَّاجُ. فَقَالَ لَهُ وَلَا تَأْتِيَنِي بِهِذِهِ الْآيَةِ [نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ]. فَقَالَ : آتِيكَ بِهَا وَاضِحَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَهُوَ قَوْلُهُ : [وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ] إِلَى قَوْلِهِ : [وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى]، فمن كان أبو عيسى وقد أحرق بذرية نوح ؟ قال : فَأَطْرَقَ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ : كَأَنِّي لَمْ أَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ حُلُوًّا وَثَاقَهُ وَأَعْطُوهُ مِنَ الْمَالِ كَذَا"¹⁰⁹.

وذكر ابن رشد الجد في الرد على من ذهب إلى القول بأن الله تبارك وتعالى جعل عيسى من ذرية إبراهيم أو نوح لكونه لا أب له، فقامت له الأم مقام الأب

¹⁰⁸ - محمد جمال الدين الفاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود،

ط 1 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1418 هـ)، ج 4 ص 418 - 419.

¹⁰⁹ - فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط 3 (بيروت، دار إحياء

التراث العربي، 1420 هـ)، ج 2 ص 412.

والأم، بخلاف غيره ممن له أب : "وهذا غير صحيح، لأن عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا كان من ذرية جده للأُم من جهة أمه خاصة إذ لم يكن له أب، فغيره من الناس هو من ذرية جده للأُم من جهة أمه، ومن ذرية أبيه وجده لأبيه من جهة أبيه؛ إذ له أب، لأن كون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مخلوقاً في بطن أمه من غير مباشرة ذكر، لا يزيدُها مزية في الاختصاص به على من خلق الله ولدها في بطنها بمباشرة ذكر على ما أجرى به العادة، ولا ينتفي أن يكون من ذرية جده لأُم من جهة حمل أمه إياه ووضعها، بكونه من ذرية أبيه وجده لأبيه إذا كان له أب".¹¹⁰

ومما استدل به على أن أبناء البنت ينسبون إلى جدهم من الأم قول الله عز وجل : {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ. فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}.¹¹¹

ذكر ابن العربي في سببِ نُزُولِهَا : "رَوَى الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاطَرَ أَهْلَ نَجْرَانَ حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِمُ بِالذَّلِيلِ وَالْحُجَّةِ، فَأَبَوْا الْإِثْقَادَ وَالْإِسْلَامَ؛

110 - محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، المقدمات الممهدة، تحقيق محمد حجي، ط

1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988)، ج 2 ص 437.

111 - آل عمران : من الآية 59 إلى الآية 61.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ، فَدَعَا حَبِيبُذِ فَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، ثُمَّ دَعَا النَّصَارَى إِلَى الْمُبَاهَلَةِ".¹¹²

وقال القرطبي في تفسيرها : "فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ : الْأُولَى - قَوْلُهُ تَعَالَى . {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ} أَي جَادَلَكَ وَخَاصَمَكَ يَا مُحَمَّدٌ " فِيهِ" ، أَي فِي عَيْسَى لِمَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ {بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ} . {فَقُلْ تَعَالَوْا} أَي أَقْبِلُوا . وَضَع لِمَنْ لَهُ جَلَالَةٌ وَرِفْعَةٌ ثُمَّ صَارَ فِي الْإِسْتِعْمَالِ لِكُلِّ دَاعٍ إِلَى الْإِقْبَالِ ... {نُدْعُ} فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ . {أَبْنَاءَنَا} دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَبْنَاءَ النَّبَاتِ يُسَمَّوْنَ أَبْنَاءً ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَفَاطِمَةَ تَمْشِي خَلْفَهُ وَعَلِيٌّ خَلْفَهَا وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ : {إِنَّ أَنَا دَعَوْتُ فَأَمَّنُوا} ".¹¹³

ومما استدل به على أن الانتساب يكون من جهة الآباء والأمهات الآيات التالية : {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا} . حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}.¹¹⁴

112 - محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد عبد القادر عطا، ط 3 (بيروت، دار الكتب العلمية، 2003)، ج 1 ص 360.

113 - محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط 2 (القاهرة، دار الكتب المصرية، 1964)، ج 4 ص 104.

114 - النساء : 22 - 23.

حيث يحرم على الرجل الزواج من أمهاته وجداته سواء كن من جهة الأم أم كن من جهة الأب. وكذا يحرم عليه الزواج من بناته وإن نزلن سواء كن من جهة الإناث أم من جهة الذكور. مما يفيد بأنه ينتسب إلى أمهاته وجداته، وبناته وحفيداته وسبطاته ينتسبن إليه.

وكذا "لا خلاف أيضا في عدم جواز نكاح الرجل لزوجة ابن ابنته؛ وما ذاك إلا لكونهما أبا وابنا حقيقة".¹¹⁵

وقال محمد جمال الدين القاسمي في تعليقه على قوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا}: "لا خلاف في شمول النهي لولد البنت؛ أي تحريم زوجة جده من الأم عليه، وذلك لاستواء الجد للأب وللأم في الانتساب إليهما، وإطلاق الأب عليهما، وإطلاق الولدية والبنوة والذرية والنسب والعقب على كل من انتسب إليهما".¹¹⁶

خامسا - استواء الرجل والمرأة في التولد منهما وفي التكريم :

من الأدلة العامة التي يمكن الاستدلال بها في هذا المقام قول الله عز وجل :
{لِيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}¹¹⁷. فهذا البث الذي كان من الزوجين يقتضي نسبة الناس إليهما معا.

ومن الأدلة التي استدلت بها أحمد بن يحيى الونشريسي على أن النسبة من جهة الأم أولى : قال بعض العلماء الجنين خلقت أعضاؤه من مني أبيه وأمه،

115 - القاسمي، كتاب، مرجع سابق، ص 9 - بتصرف.

116 - المرجع نفسه.

117 - النساء : 1.

ولحمه من دم أمه، فخلقته من جهة أمه أكثر. فإذا جاز أن ينسب إلى أبي أبيه من جهة أبيه، كانت نسبته إلى أبي أمه أولى، ولهذا قال بعض العلماء إن للأم ثلثي البر".¹¹⁸

واستدل على ذلك بالحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! من أحق بحسن صحابتي؟ قال: "أُمُّكَ"، قال: ثم من؟ قال: "أُمُّكَ"، قال: ثم من؟ قال: "أُمُّكَ"، قال: ثم من؟ قال: "ثُمَّ أَبُوكَ".¹¹⁹

وكذا تكريم الله عز وجل للناس جميعا رجالا ونساء في قوله: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}.¹²⁰ وهذا التكريم يقتضي الاعتراف للناس جميعا بكافة الحقوق دون تمييز بين النساء والرجال، بما في ذلك الاعتراف بالحق في تمرير النسب للأولاد.

ومن الأدلة التي استدل بها أحمد بن يحيى الونشريسي أيضا على أن النسب يكون من جهة الأم كذلك: "أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى على أهل مصر

118 - الونشريسي، مرجع سابق، ج 12 ص 386.

119 - أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن الصحبة؟ رقم الحديث 2305. كما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب باب بر الوالدين وأتتهما أحق به عن فضيلة بن سعيد بن جميل بن طريف النقفى، وزهير بن حرب، رقم الحديث 2548. وعلق محمد ناصر الدين الألباني على الحديث في غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، ط 3 (المكتب الإسلامي - بيروت، 1405)، ص 169 بقوله: "صحيح".

120 - الإسراء: 70.

فقال : "لهم نسب وصهر". قال بعض العلماء نسبه أن أم إسماعيل من مصر،
واسمها هاجر...".¹²¹

لم أفف على هذا الحديث الذي استدل به الونشريسي هنا بلفظه، ووقفت على
حديث في نفس المعنى نقله عبد الملك بن هشام : "قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي
مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهَابِ الزُّهْرِيِّ : أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ، ثُمَّ السُّلَمِيِّ، حَدَّثَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : "إِذَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ زِمَةً وَرَحِمًا". فَقُلْتُ
لِمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ الزُّهْرِيِّ : مَا الرَّجْمُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَهُمْ ؟ فَقَالَ : كَانَتْ هَاجِرٌ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ".¹²²

خاتمة

يتبين من مختلف النصوص التي تناولتها بالدراسة والتحليل من خلال هذا
البحث؛ سواء تعلق الأمر بالآيات القرآنية الكريمة، أو بالأحاديث النبوية
الشريفة، أو بأقوال بعض العلماء، أن النسب يكون من جهة الأم، كما يكون من
جهة الأب...

وقول الله عز وجل : ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ
يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ. ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
أَبَاءَهُمْ فَاخْرُؤْهُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا

121 - الونشريسي، مرجع سابق، ج 12 ص 388.

122 - عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (شركة

الطباعة الفنية المتحدة، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخ الطبع)، ج 1 ص 8.

تَعَمَدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا¹²³ ، الذي اعتمده معظم الفقهاء لجعل النسب خاصا بالأبَاء الذكور، يخالف سياق النص القرآني الذي يفيد أن الهدف من هذه الآيات إبطال عادة التبني كما كانت معروفة في الجاهلية، وليس تخصيص الأبَاء بالنسب دون الإناث؛ لأن لفظ الأبَاء في القرآن الكريم يشمل الأب والأم معا...

كما أن النسب يكون بسبب الولادة، وهو في الأم حقيقة وفي الأب مجاز، ومن ثم لا يمكن إلغاء الحقيقة والأخذ بالمجاز فقط...

ومن ثم فلا غرابة في "أن أرياب التاريخ وغيرهم ينسبون الإنسان إلى أبي أمه وأبائه كما ينسبونه إلى أبي أبيه، وأن العرب والعجم وغيرهما يتفاخرون بأبَاء أمهاتهم كما يتفاخرون بأبَاء آبائهم، وهذا لا مرأى فيه"¹²⁴.

وكل الأدلة المذكورة في هذه الورقة البحثية تجعلني أدعو إلى أن يحمل الأولاد الأسماء العائلية لأمهاتهم وأبائهم على حد سواء، حتى تستعيد الأمهات مكانتهن الاعتبارية داخل الأسرة.

¹²³ - الأحزاب : 4 - 5 .

¹²⁴ - الونشريسي، مرجع سابق، ج 12 ص 388.

فهرس المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2 - ابن حبان، محمد، صحيح ابن حبان، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرنؤوط، ط 1 (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988).
- 3 - ابن الحجاج، مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- 4 - ابن رشد، محمد بن أحمد، المقدمات الممهدات، تحقيق : محمد جحي، ط 1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988).
- 5 - ابن عبد السلام، عبد العزيز، تفسير القرآن، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط 1 (بيروت، دار ابن حزم، 1996).
- 6 - ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه : محمد عبد القادر عطا، ط 3 (بيروت، دار الكتب العلمية، 2003).
- 7 - ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، (شركة الطباعة الفنية المتحدة).
- 8 - الألباني، محمد ناصر الدين، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ط 1 (جدة، دار با وزير للنشر والتوزيع، 2003).
- 9 - الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح أبي داود - الأم، ط 1 (مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، 2002).
- 10 - الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (المكتب الإسلامي، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخ الطبع).

- 11 - الألباني، محمد ناصر الدين، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، ط 3 (المكتب الإسلامي - بيروت، 1405).
- 12 - البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، ط 1 (دار طوق النجاة، 1422 هـ).
- 13 - البسيلي، أبو العباس، نكت وتنبهات في تفسير القرآن المجيد، تقديم وتحقيق محمد الطبراني، ط 1 (الدار البيضاء، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، مطبعة النجاح الجديدة، 2008).
- 14 - بكر بن عبد الله، معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، ط 3 (الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع، 1996).
- 15 - البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط 3 (بيروت، دار الكتب العلمية، 2003).
- 16- بييتر، مونيكا، المرأة عبر التاريخ : تطوّر الوضع النسوي من بداية الحضارة إلى يومنا هذا، ترجمة هرنيبب عبودي، ط 1 (بيروت، دار الطليعة، 1979).
- 17 - الجوزية، محمد ابن قيم، تحفة المودود بأحكام المولود، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ط 1 (دمشق، مكتبة دار البيان، 1971).
- 18 - الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط 3 (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ).

- 19 - رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،
(الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990).
- 20 - الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق
مجموعة من المحققين، (دار الهداية، دون ذكر رقم الطبعة وتاريخ
الطبع).
- 21 - السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور،
(بيروت، دار الفكر).
- 22 - العربي، بشير ضيف، مصادر الفقه المالكي «أصولاً وفروعاً
في المشرق والمغرب قديماً وحديثاً»، ط 1 (بيروت، دار ابن حزم،
2008).
- 23 - علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 4
(دار الساقى، 2001).
- 24 - القاسمي، محمد جمال الدين، كتاب شرف الأسباب، ط 1
(دمشق، مطبعة مجلة القيمية، 1331هـ).
- 25 - القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق محمد
باسل عيون السود، ط 1 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1418 هـ).
- 26 - القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد
البردوني وإبراهيم أطفيش، ط 2 (القاهرة، دار الكتب المصرية،
1964).
- 27 - اللاحم، عبد الكريم، الفرائض، ط 1 (المملكة العربية
السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،
1421هـ).

- 28 - الهراسي، الكيا، أحكام القرآن تحقيق موسى محمد علي وعزة عبد عطية، ط 2 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1405 هـ).
- 29 - الونشريسي، أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجة جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي).
- 30- العثيمين، محمد بن صالح شوهده يوم 21 يناير 2019 في الموقع الإلكتروني الرسمي :

<http://binothaimeen.net/content/8901>

العلوم الإنسانية وسياسيولوجيا العلم المعاصر

أ.د. قاسم المحبشي

تمهيد:

شهد العالم المعاصر منذ منتصف القرن العشرين أحداثاً عاصفة ومتغيرات متسارعة على مختلف الأصعدة (الحضارية والثقافية والمدنية)، متغيرات لم يشهد لها التاريخ مثيلاً من حيث جدتها وسرعتها وأثرها وقوتها الصادمة، ووسط تلك الأحداث والمتغيرات العاصفة أخذ العلماء والمفكرون يبحثون عن تفسير معقول لما يعتمل في الواقع ويدور في عالم جُنْ جنونه وأصاب الناس جميعاً بالدهشة والذهول⁽¹²⁵⁾. ولما كان العلم بكل مستوياته وتجلياته الاستمولوجية، والسوسيولوجية، يعد الظاهرة الأبرز في العصر، عصر العولمة والعلم والثورة العلمية بامتياز، فقد استقطب العلم جلَّ اهتمام الفلاسفة والعلماء وأثار دهشتهم ودفعهم إلى إعادة التأمل والتفكير والتساؤل فيه بوصفه موضوعاً كلياً لعدد واسع من أنساق الاستيمولوجيا المعاصرة (فلسفة العلم، وتاريخ العلم، وسوسيولوجيا العلم، والانثربولوجيا الثقافية، وعلم نفس العلم، والعلم المقارن، والميثودولوجيا (علم المناهج)، وفلسفة اللغة، والهرمونطيقا، والسبرناتيك، وأخلاقيات العلم. فضلاً عن أنساق المعرفة الجديدة الأخرى ومنها، الدراسات الثقافية والنقد الثقافي والدراسات النسوية في فلسفة العلم وتأنيث العلم، وأدب الخيال العلمي ... إلخ.

قاسم المحبشي، العولمة: مقارنة أولية للفهم، ندوة نظمها المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، فرع: (125) ينظر عدن، بتاريخ 11/12/1999م.

ما العلم؟ وما منهجه؟ وما تاريخ العلم؟ وكيف يمكن فهم وتفسير بنيته وديناميته وصيرورته؟ وما علاقة العلوم الطبيعية بالعلوم الإنسانية والاجتماعية؟ وما مكانة العلوم الإنسانية ووظيفتها وقيمتها وأهميتها ومستقبلها؟ وما هي المؤسسة العلمية؟ ومن هو العالم؟ وما الأدوار الاجتماعية التي يمارسها العلماء؟ وما هي محددات الجماعة العلمية؟ وكيف يمارس العلماء نشاطهم؟ وما هي أنماط علاقاتهم؟ وما المعايير التي يلتزمون بها؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تضعنا في قلب المشكلة التي واجهتها العلوم الإنسانية والاجتماعية وما زالت تواجهها في سياق سوسيوولوجيا العلم المعاصرة، بوصفها منظوراً جديداً في بحث ودراسة الخطاب العلمي بما ينطوي عليه من أنساق، وعناصر، وأفعال وتفاعلات، وعلاقات، وممارسات، وأدوار والتزامات، وقيم وقواعد، ومؤثرات، وبنيات، مادية ورمزية، داخلية وخارجية، فالعلم وفق هذا المنظور ليس مجموعة معارف ولا تقنيات وممارسات ... إلخ، بل هو مؤسسة بالمعنى الفوكوي للكلمة (نسبة إلى ميشيل فوكو)⁽¹²⁶⁾، ذلك هو السؤال المشكل الذي نحاول مقارنته هنا.

(126) ميشيل فوكو ، فيلسوف فرنسي معاصر توفي عام 1984 م أشتهر بعدد واسع من الكتب أهمها : الكلمات الأشياء ، تاريخ الجنون ، حفريات المعرفة ، ميلاد العيادة ، الاهتمام بالذات ، تولد الذات ، وغيرها ، وقد درس تطور المجتمع الحديث من منظور القطعية الاستيمولوجية ، إذ تحدث عن ثلاث مراحل ابستمية ، ينظر أوبردريفوس ، ميشيل فوكو مسيرة فلسفية، ترجمة جورج ابي صالح، مركز الانماء القومي، بيروت، بدون تاريخ.

وتأتي أهمية موضوعنا، بما ينطوي عليه من راهنية أبستمولوجية، وقيمة منهجية، بوصفه محاولة لتسليط الضوء على وضع العلوم الإنسانية والاجتماعية اليوم والإحاطة بأبعادها وألياتها الداخلية والخارجية من زاوية نظر سوسيولوجية نقدية، بهدف تعيينها في خارطة الإبستمولوجيا المعاصرة، والتوفر على فهم أوضح لطبيعة التحديات التي تجابهها والإحاطة الممكنة بمشكلاتها الحيوية واستشراف مستقبلها.

وذلك انطلاقاً من الفرضية التي ترى: أن مسألة نمو وتقدم العلوم الإنسانية والاجتماعية هي مسألة ليست إبستمولوجية أو مهنية خالصة فحسب، بل مسألة سوسيولوجيا، حضارية ثقافية عامة، مرهونة بسياق مجتمعا المتعين وصحته وقدراته وفرصه وممكناته الواقعية والافتراضية التي من شأنها أن توفر وتؤمن البيئة الحاضنة والراعية والدافعة لنموها وازدهارها أو العكس.

منهجية البحث:

وسوف نقارب موضوعنا من منظور منهجي سوسيولوجي نقدي يستلهم أدوات منهج سوسيولوجيا العلم: الأسس الثقافية للخطاب العلمي، والدور الاجتماعي للعالم، ومعايير العلم، والجماعة العلمية أو المؤسسة العلمية وغيرها، بالاستفادة من منهجية الممارسة الانعكاسية، تمكنا من إحداث قطعة فكرية بين عواطفنا ومواقفنا، واتجاهاتنا وانتماءاتنا المهنية وتخصصاتنا الأكاديمية، ورؤيتنا لموضوع بحثنا الذي ليس له من هدف غير معرفة الحقيقة المحتملة على الدوام. في ضوء المفاهيم المفتاحية (العلم، المنهج العلمي، العلوم الإنسانية، سوسيولوجية العلم المعاصر، المؤسسة الأكاديمية، الدور الاجتماعي للعلماء، وغير ذلك من المفاهيم المساعدة).

الإطار المرجعي:

على مدى السنوات الماضية حظي العلم والمعرفة العلمية عامة والعلوم الإنسانية والاجتماعية خاصة باهتمام مضطرد من قبل عدد واسع من الباحثين، وهذا ما أفضى إلى تراكم تراث زاخر من الدراسات والإصدارات المتنوعة يمكن الإشارة إلى بعضها: كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، وعقم المذهب التاريخي، مناهج العلوم الاجتماعية، والمجتمع المفتوح وأعداؤه، وأسطورة الإطار. وجوستاف باشلار، الفكر العلمي الجديد، والعقلانية التطبيقية. وبول ريكور: الخيال الاجتماعي بين الأيديولوجيا واليوتوبيا. و ج . كراوثر، موجز لتاريخ العلم. وجون ديزموند برنال، العلم في التاريخ. وبرسلوماكينوفسكي، السحر والعلم والدين. وجوزيف نيدهام، العلم والحضارة في الصين. وروبرت ميرتون، العلم والتكنولوجيا والمجتمع في بريطانيا في القرن السابع عشر، وخليقة العلم. وجوزيف بن دافيد، دور العالم في المجتمع. وهربرت بارفيل، أصول العلم الحديث. وألفن جولدنر، الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي. وروي ياسكر، العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية: الاتجاه الواقعي. وجيوفاني بوسينو، نقد المعرفة في علم الاجتماع. وكارل منهايم، الأيديولوجيا واليوتوبيا. وأنطوني جبدنز، قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع. وكاستورياديس: تأسيس المجتمع تخليقياً. وبول فيين، أزمة المعرفة التاريخية : فوكو وثورة في المنهج. وأيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس. وفراسو اليوتار، الوضع ما بعد الحداثة: تقرير عن المعرفة. وتوبي أ . هف، فجر العلم الحديث: الغرب والإسلام والصين. وبيير بورديو، بعبارة أخرى محاولة باتجاه سوسيولوجيا انعكاسية. ويان سبوك، أي مستقبل لعلم الاجتماع؟: في سبيل البحث عن معنى وفهم العالم الاجتماعي. ويورجن هابرماس، المعرفة والمصلحة. ويمنى طريف الخولين مشكلة العلوم الاجتماعية: تقنينها وإمكانية حلها. وميليسا هاينز، جنوسة الدماغ، وأنثوية العلم. وجيروم كيغان، الثقافات الثلاث: العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في القرن الحادي والعشرين. وجيمس تريفيل، لماذا

العلم؟. وإبراهيم عبد الرحمن رجب، العلوم الاجتماعية الوضع الراهن وآفاق المستقبل. وتقارير اليونسكو عن الفجوة المعرفية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وغير ذلك من الإصدارات.

- تحديد المفاهيم وتعريفها .
- العلوم الإنسانية والابستمولوجيا الفلسفية .
- أزمة العلوم الإنسانية وسوسيولوجيا العلم المعاصر .
- المنظور السوسيولوجي النقدي والعلوم الإنسانية.
- الخاتمة.

أولاً: تحديد المفاهيم وتعريفها.

تحديد المفاهيم وتعريفها هو الخطوة المنهجية الأولى في الدراسات الإنسانية والاجتماعية؛ ذلك كونها مفاهيم ملتبسة وغامضة على الدوام، لأن موضوعها ذاته متحرك ومتغير باستمرار، "وأشد الأخطار هو خطر الكلمات التي تستثير في أذهاننا جواهر أو ماهيات فكرية مشخصة زائفة تملأ التاريخ كائنات من الأسماء الكلية المختلفة لا وجود لها في الواقع"⁽¹⁾. إذ أن المفاهيم لا توجد في فلك الأفكار ومدونات اللغات وحسب، بل هي كائنات تاريخية شديدة الارتباط بسياقاتها الاجتماعية الثقافية المشخصة، ولكل مفهوم مكان وزمان ولادة، وسياق نمو وتجربة وخبرة ممارسة، وعلاقات قوة، ونظام خطاب ومدونة لغة، وفضاء فكر وحساسية ثقافة، وحقل تأويل وشفرة معنى وأفق تلقى .. إلخ.

مفهوم العلم Science:

مازال مفهوم العلم محاطاً بكثير من اللبس والغموض والتشويش، وذلك بسبب الخلط المضطرب بين الاستعمالات المختلفة للكلمة. يورد ابن منظور، "علم: من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلام .. والعلم نقيض الجهل، علم علماً، ورجل عالم وعليم من قوم علماء"⁽¹²⁷⁾. والعلم بمعنى (الفقه والتفقه)، فالعلم بالشيء هو الفقه فيه. والعلم بمعنى (اليقين)، وهكذا تعددت معاني كلمة (علم) في الثقافة العربية الإسلامية لتشمل حقولاً كثيرة ودلالات مختلفة، منها: العلم بمعنى التأويل والإيمان،

⁽¹²⁷⁾ ابن منظور، لسان العرب، حرف العين، جز 10، دار صادر، بيروت، 2003 ط5.

وقد ألمح ابن خلدون في تصنيفه للعلوم إلى "أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين: العلوم الشرعية العقلية والعلوم العقلية" (128). ورغم ما تضمنه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من إشارات إلى العلوم العقلية؛ مثل (تعليم الله آدمَ الأسماء كلها)، وتعليم (سيدنا داؤود استعمال الحديد)، وحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تأبير النخيل (أنتم أعلم بأمر دنياكم)؛ إلا أن توبي أ. هف، ذهب إلى "أن بنية الفكر والعواطف في الإسلام في القرون الوسطى بشكل عام كانت ذات طبيعة جعلت طلب العلوم العقلية وعلوم الأولين أمراً يثير الشكوك" (129). وفي عصرنا الراهن مازال الجدل محتتماً بشأن كلمات (العلم والعالم والعلماء) التي نطلقها على كثير من أنماط المعرفة لا يشملها مفهوم (Science) العلم بالمعنى المتواضع عليه في الابستيمولوجيا المعاصرة. كتب ريموند وليامز: "قد تبدو كلمة (Science) علم - الآن - بسيطة جداً، ولكنها خضعت لمسار تاريخي واجتماعي طويل حتى استقر معناها منذ منتصف القرن التاسع عشر حينما صرّح عالم الكيمياء الإنجليزي هول عام 1840 معرباً عن قلقه بشأن معنى العلم والعلماء، قائلاً: "نحن في أمس الحاجة إلى اسم يصف من يدعي العلم Science بشكل عام بما يجعلنا نصفه بالاسم scientist عالم"، ويضيف وليامز: "بحلول عام 1867 تم العثور على الوصفة الواثقة الواعية المستوعبة

(128) ابن خلدون ، المقدمة ، دار العودة ، بيروت ، 1981، ص 432.

(129) توني أ. هف ، فجر العلم الحديث ، الإسلام - الصين الغرب ، ترجمة محمد عصفور مجلة عالم المعرفة الكويتية ، العدد 260، أغسطس 2000 م ، ص134.

لجدة الاستعمال والمعنى الذي منحه إياها الإنجليز بمعنى علم مادي وتجريبي مستبعداً الثيولوجيا والميتافيزيقا⁽¹³⁰⁾. على هذا النحو اكتسب مفهوم العلم مساراً متعرجاً في تحولات المفهوم وسياقات المعنى؛ ففي بواكير العصر الوسيط "كانت الكلمة (scientia) تطلق على المعرفة النسقية المكتسبة بالدراسة المنتظمة، وقد استخدمها فرنسيس بيكون بمعنى المعرفة التي تضم التاريخ والفلسفة ومبادئ الأخلاق واللاهوت⁽¹³¹⁾، تمييزاً لها عن كلمة (art) التي تعني فن بمعنى مهارة وحرفة. وقد ظلت الكلمة تطلق على حقل الدراسة النظرية النظامية حتى أواخر القرن التاسع عشر؛ إذ جرى استبعاد مجالات معرفية أساسية وأصيلة مثل الفلسفة والأدب والتاريخ واللاهوت لينحصر معنى الكلمة على العلوم الطبيعية التجريبية (الفيزياء والكيمياء والأحياء) وهذا هو ما حفز عالم الاجتماع الفرنسي أوجست كونت إلى محاولة تأسيس علم اجتماع وضعي يستلهم منهج العلوم الطبيعية. وهكذا تم تصنيف العلوم في الابستمولوجيا المعاصرة إلى: العلوم الطبيعية البحتة بوصفها علوماً حقيقية، والعلوم الإنسانية الاجتماعية وتأتي في المرتبة الثانية في سعيها إلى اكتساب جدارة المعرفة العلمية، والعلم هو نوع من المعرفة، لكن ليس كل معرفة علماً. ويذهب روبرت موتون إلى "أنه إذا كان مصطلح (علم) يعبر عن حقائق مختلفة للغاية، فإن علم اجتماع العلم يهتم بالصيغة التي ترى العلم بوصفه مجموعة قيم ثقافية تؤثر

⁽¹³⁰⁾ ريموند وليامز، الكلمات المفتاحية: معجم ثقافي ومجتمعي، ترجمة، نعيمان عثمان،

المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة 980، القاهرة، 2005، ط1، ص 348.

⁽¹³¹⁾ طوني بينيت وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم مصطلحات الثقافة

والمجتمع، ترجمة، سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية،

بيروت، 2010 ط1، ص 504.

في النشاطات المعرفية أو (المصنفة) علمية" (132). وفي قاموس أكسفورد المختصر جاء: "العلم هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بنسق مترابط من الحقائق المبرهنة، بصيغة قوانين عامة، ومسلمات مستخلصة عبر طرق ومناهج موثوق بها، لاكتشاف الحقائق الجديدة في ذات التخصص" (133).

في ضوء ما تقدم ولأغراض هذا البحث يمكن تعريف العلم : بمنظومة الأفعال والأقوال التي يمارسها العلماء في بحث ودراسة الظواهر الطبيعية والإنسانية ومحاولة تفسيرها وفهمها والكشف عن حقائقها المحتملة على الدوام، وذلك باستعمال مجموعة من الطرق والأدوات المنهجية التجريبية والاستدلالية العقلانية بالتزام قيم معيارية موضوعية ومجردة قابلة للقياس والنقد والتقييم.

مفهوم العلوم الإنسانية Human Science:

مصطلح العلوم الإنسانية يتضمن العلوم الاجتماعية "الكثيرون وعلى رأسهم كلود ليفي شتراوس، يطابقون بين مصطلحي (Human Science و Social Sciences). وترى يمنى طريف الخولي أن مصطلح العلوم الإنسانية الذي بدأ يسود في السنوات الأخيرة يبدو أصوب؛ لأن الإنسان هو المحور لهذا النمط

(132) ميشال دويوا، مدخل إلى علم اجتماع العلوم، ترجمة، سعود المولى، المنظمة العربية

للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ط1، ص54.

(133) ابن منظور، لسان العرب، حرف النون ج6، ص4554.

(133) أيان كريب ، النظريات الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، ترجمة محمد

حسين علوم ، مجلة عالم المعرفة الكويتية العدد 244 أبريل 1999 ص 25.

من الدراسات (134). وربما بدأ التمييز بين العلوم الاجتماعية والإنسانية على نحو جاد في السنوات الأخيرة، وهذا هو ما فعله عالم النفس الأمريكي جيروم كيغان في، الثقافات الثلاث؛ إذ حاول تحديد نطاق كل من العلوم الثلاثة: الطبيعية والاجتماعية والإنسانية في جملة من المحددات والسمات في قائمة بيانية أسماها (مقارنة الثقافات الثلاث من خلال تسعة من النطاقات). إذ حدد العلوم الاجتماعية بعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وعلوم اللغة وعلم السياسة وعلم الاقتصاد، أما العلوم الإنسانية فهي بحسب زعمه تضم الفلسفة والتاريخ والنقد الأدبي والجمالي والدراسات النسوية وعلم الأخلاق والدراسات الثقافية (135). تجدر الإشارة إلى أن جيروم صنف العلوم من منظور علاقاتها بالمنهج العلمي؛ إذ "يتفاوت العلماء في درجة اعتمادهم على ثلاثة أنماط من الهياكل العقلية حال وصفهم أو تفسيرهم للظواهر أيًا كانت: المفاهيم والمعادلات الرياضية، وشبكات التعبير اللغوي، والوصف القائم على تنظيم المدركات الحسية" (136)، وتلك هي الأدوات المنهجية التي يستعملها كل من أراد أن يشتغل بأحد العلوم الثلاثة.

(134) ينظر: يمى طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية: تقنينها وإمكانية حلها، دار

الثقافة، القاهرة، 1990 ط1، ص10.

(135) جيروم كيغان، الثقافات الثلاث: العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانيات في

القرن الحادي والعشرين، ترجمة: صديق محمد جوهر، سلسلة عالم المعرفة

الكويتية العدد 408، يناير، 2014 ص 21.

(136) جيروم كيغان، المرجع السابق، ص 169.

في الواقع لا توجد حدود قطعية بين أنساق المعرفة العلمية الثلاثة، فجميع العلوم هي إنسانية في آخر المطاف بمعنى أنها من إبداع الإنسان ومن أجل سعادته، وربما كان التمييز بينها يأتي لضرورة منهجية.

وبالخلاصة يمكن تعريف العلوم الإنسانية بأنها: تلك العلوم التي تهتم بدراسة الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً وتضم العلوم الاجتماعية والنفسية والتربوية والاقتصادية، فضلا عن الفلسفة والأنثروبولوجيا والتاريخ والسياسة والقيم واللغة والعلم والدين والأدب والثقافة عامة .

مصطلح سوسيوولوجيا العلم المعاصر:

مصطلح سوسيوولوجيا العلم أو علم اجتماع العلم، تطور في الثلث الأخير من القرن العشرين عما كان يعرف بالإبستمولوجيا وذلك أثر الثورة المفاهيمية التي شهدتها مطلع السبعينيات. ويعد روبرت مرتون المؤسس الضمني لهذا النسق المعرفي الحديث في كتابه (البنية المعيارية للعلوم) 1942⁽¹³⁷⁾. هذا فضلا عن الآفاق الجديدة التي تفتحت على أيدي فلاسفة العلم ما بعد الوضعية ، أمثال كارل بوبر وتوماس كون وإمري لاکاتوش وياول فيرايند؛ إذ شكل هؤلاء الأربعة معا بصياغات متنوعة معالم فلسفة العلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، وهذا ما أفضى إلى تغيير ثوري في النظرة إلى العلم بوصفه صنعة إنسانية وإبداعاً إنسانياً، ونشاطاً إنسانياً، وفعالية إنسانية، ومغامرة إنسانية، أو كما أكد مارجوليس في كتابه، علم بغير وحدة : إصلاح ذات البين للعلوم الإنسانية والطبيعة "أن مشاريع العلم هي بصورة حاسمة إنجازات إنسانية، والصفة الجذرية للعلم بعد كل شيء أنه نشاط إنساني .. لذلك فكل

⁽¹³⁷⁾ ميشال دوبوا، المرجع السابق، ص26.

العلوم هي علوم إنسانية من زاوية إنجازها الفعلي، فلا يمكن تعيين خصائصها بمعزل عن ملامح الثقافة الإنسانية والتاريخ الإنساني واللغة الإنسانية والخبرة الإنسانية والاحتياجات والاهتمامات الإنسانية" (138).

إن تأكيد البعد السيوسولوجي للعلم، ونسبية الحقائق العلمية، ومبدأ الكشف، وقوة الخيال والمغامرة، وأسبقية الفروض الحدسية وحيويتها قد أفضى إلى إعادة الاعتبار للعلوم الإنسانية والاجتماعية. وقرر بيير بورديو بفضل الأفكار التي طرحها توماس كون، بقوله: إنني أنسب الفضل لتوماس كون، في أهم جزء قدمته فيما يتعلق بمنطق الممارسة والديناميات التي تحتويها. ويقدم توماس كون نظرية في الممارسة العلمية تثير أكثر الأسئلة إشكالية بالنسبة لسوسيولوجيا العلم، والمتعلقة بالتغير، كيف يحدث وما هي آلياته، وما هي الشروط التي ينشأ فيها العلم الجديد أو النموذج الجديد، وما هي التأثيرات الخارجية المفروضة على المجال العلمي (139).

في ضوء ذلك يمكن لنا استخلاص تعريف علم اجتماع العلوم: بأنه ذلك الفرع المعرفي الجديد في الإبتيمولوجيا المعاصرة الذي يهتم بدراسة العلم بوصفه كلية مركبة من منظومة الفاعلين العلميين ونشاطاتهم وأدوارهم وعلاقاتهم وقواعد عملهم ومعاييرهم وقيمهم، وصراعاتهم وغاياتهم والعوامل

(138) يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين (الأصول - الحصاد - الآفاق المستقبلية، مجلة عالم المعرفة الكويتية العدد 264، ديسمبر 2000 م ص 18.

(139) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، جوجل.

المؤثرة في طبيعة نشاطاتهم؛ أي بكلمة واحدة: العلم بعده مؤسسة اجتماعية مستقلة.

العلوم الإنسانية والإستيمولوجيا الفلسفية:

يصعب دراسة وتعيين العلوم الإنسانية والاجتماعية في الحقل الإبستمولوجي الراهن بمعزل عن السياق التاريخي الثقافي لصيرورتها المعرفية الداخلية والمؤثرات والعوامل السوسولوجية الخارجية، وربما كان النظر في تاريخ العلاقة العضوية بين العلوم الإنسانية وفلسفة العلم المعاصرة يوفر المزيد من الضوء لفهم واقع العلوم الإنسانية وأزمتهما الراهنة، وهذا هو مراننا من هذا المدخل الجينولوجي الحفري في مقارنة المسألة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً : نشأت فلسفة العلم بمعناها الأنضج على يد عالم الاجتماع الفرنسي أوغست كونت (1798- 1857) وكتابه (دروس في الفلسفة الوضعية) الذي حاول فيه تحرير العلم من اللاهوت والميتافيزيقا وتأملاتها المجردة؛ ومن هنا جاءت دعوته إلى تأسيس (فيزياء اجتماعية) أي علم اجتماع وضعي يدرس المجتمع والظواهر الاجتماعية في حركتها وسكونها دراسة اختبارية وصفية كما هو الحال في العلوم الطبيعية (140).

ثانياً : تطور الاتجاه الوضعي في الفلسفة عبر مسارين متوازيين: الوضعية التجريبية على يد فلاسفة العلم امثال: هنري بوانكاريه وإرنست ماخ وغيرهما حتى بداية القرن العشرين، وهو اتجاه يرى أن المعرفة الجديرة بالقيمة والأهمية هي تلك المستمدة من التجربة الحسية التي يمكن اختبارها واقعا بالملاحظة

الجامعية المؤسسة ، أدهم سامي ، ترجمة ، العلوم و الفلسفة تكون ، ماشيري (140) بيار ط 1. ص 36.1994 بيروت والنشر - للدراسات

والتحقق. والوضعية المنطقية، على يد موريس شيلك وفنجنشتين وكارناب وغيرهم، ويذهب إلى تصنيف المعرفة في صنفين: الأول يتضمن مقولات قد تكون صحيحة أو خاطئة اعتماداً على أشكالها المنطقية أو معناها، وتسمى (تحليلية قبلية)، والثاني يتضمن مقولات يمكن التحقق من صحتها أو خطأها فقط من خلال التجربة وتسمى (تركيبية بعدية) (141).

أما على صعيد العلوم الإنسانية والاجتماعية فقد اكتسبت وضعية كونت تطورها اللاحق على يد بعض علماء الاجتماع، أمثال دوركايم في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع، ومن سار على نهجه فيما عرف بالمدرسة الوضعية، ويرى يان سبروك "أن سيطرة النزعة الوضعية في علم الاجتماع الفرنسي تجد تفسيرها ببساطة في تاريخ العلاقة بين علم الاجتماع والدولة الفرنسية" (142). وفي أمريكا ازدهرت النزعة الوضعية في علم النفس، لاسيما المدرسة السلوكية وعلم الاقتصاد وعلم الأنثروبولوجيا التجريبي... إلخ.

ثالثاً : أفضت الدعوة إلى تأسيس علم اجتماع وضعي، إلى تعميق الهوة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، وجعل هذه الأخيرة تشعر بعقدة نقص وعدم ثقة بذاتها. كتب عالم الاجتماع الإنجليزي أيان كريب: "إن السواد الأعظم منا -يقصد المشتغلين في العلوم الاجتماعية - لا يعرف إلا القليل عن العلوم الطبيعية، ولكننا مع ذلك نعتبر أن علم الطبيعة النظري شيء جيد؛ إذ يبدو أن

(141) ينظر: ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم ج 2، المشكلات المعرفية،

دار النهضة العربية بيروت ط1، 1984 ص. 30-19.

(142) يان سبروك، أي مستقبل لعلم الاجتماع؟ في سبيل البحث عن معنى وفهم العالم

الاجتماعي، ترجمة، حسن منصور الحاج، دار كلمة والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،

ابو ظبي _بيروت 2009 ط1، ص 14.

لهذا العلم نتائج عملية وحتى لو علمنا سلفاً أننا لا نستطيع استيعاب هذا العلم، فإننا نشجع أولئك القادرين عليه، وبالمقابل ننظر إلى العلوم الاجتماعية كما لو أنها ليس لها أي نتائج عملية، والأسوأ من ذلك الاعتقاد بأنها نتناول موضوعات نعرفها معرفة وثيقة هي حياتنا الاجتماعية وتحولها إلى هراء لا يفهم" (143).

رابعاً: في النصف الثاني من القرن العشرين شهدت فلسفة العلم باتجاهاتها (مابعد الوضعية) ثورة منهجية نقدية كبرى، وذلك في إثر الانتصار الذي أحرزته النظرية النسبية والكوانتم في الفيزياء، كان أبرز ممثليها كارل بوبر وتوماس كون وأمرى لاكاتوش وفيرابند. وعلى الرغم من نقاط الاختلاف بينهم فإنهم جميعاً اتفقوا على نقد الوضعية التقليدية ونزعتها العلمية المنطرفة، وأكدوا خطأ الفصل والتمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية فيما يتصل بالمنهج والجدارة والأهلية المعرفية فضلاً عن القيمة والأهمية الاجتماعية. هكذا كتب كارل بوبر "منذ سنوات عديدة وأنا ناقد لما يسمى علم اجتماع المعرفة...ومن بين ما تصديت له معتقد مانهايم بأن ثمة اختلافاً جوهرياً بين العالم الاجتماعي والعالم الطبيعي أو بين دراسة المجتمع ودراسة الطبيعة فيما يتعلق بالموضوعية... وفي مواجهة هذا شددت على أن الموضوعية في العلوم الطبيعية والاجتماعية لا تقوم على حالة الحياد العقلي لدى العلماء بل فقط على واقعة هي عمومية وتنافسية المشروع العلمي، ومن ثم على جوانب اجتماعية معينة له؛ إذ إن ما يغيب عن علم اجتماع المعرفة هو سوسولوجية

(143) أيان كريب ، النظريات الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ، المعطيات السابقة، ص 23 .

المعرفة، السمة الإنسانية أو العمومية للعلم، أن الموضوعية تقوم على النقد العقلاني المتبادل، وليس علماء العلوم الطبيعية ذوي عقول أكثر موضوعية من عقول علماء الاجتماع ولاهم نقديون أكثر منهم ... ويضيف أن أصل هذا الخطأ ناجم عن تصور خاطئ لمناهج العلوم الطبيعية، وحالما نظفر بتفهم سليم لمناهج العلوم الطبيعية نستطيع أن نرى مساحة واسعة من التشارك بينها وبين مناهج العلوم الاجتماعية" (144).

وهذا ما كان قد أدركه سابقاً الفيلسوف الألماني فيلهلم دلتاي (ت1911)؛ إذ أشار إلى "أن العلوم الإنسانية مازالت تفتقر إلى تصور واضح ومتفق عليه عن أهدافها ومناهجها المشتركة والعلاقات بينها ... في حين أن العلوم الطبيعية تزداد منزلتها ومكانتها نمواً واطراداً بما نمطها في الرأي العام مثلاً أعلى للمعرفة العلمية ليس بمقدور العلوم الإنسانية بلوغه" (145).

خامساً: تميزت الحقبة المعاصرة بتزايد الوعي بأن العلم هو محاولات في مواجهة المشكلات والبحث عن حلول لها، وليس بمقدور منهج علمي واحد معالجة المشكلات التي تجابه الإنسان في حياته، بل إن طبيعة المشكلة هي التي تستدعي المنهج المناسب، وإذا كان منهج العلوم الطبيعية يعتمد (التفسير) منهجاً في بحث ودراسة موضوعاته فإن العلوم الإنسانية تتوسل نموذج (الفهم)،

(144) كارل بوبر ، أسطورة الإطار ، تحرير مارك أنوتونو ، ترجمة يماني طريف الخولي ، مجلة المعرفة الكويتية العدد 292 مايو 2001 م. 96 أيضاً قاسم المحبشي ومطلق مسعد، المنهج الفرضي عند كارل بوبر، مجلة كلية الآداب، جامعة عدن، العدد 5، يناير 2014 .

(145) ينظر: نادر العساوي، مبادئ فلسفة الفهم، أسس العلوم الإنسانية عند دالتاي، النت ، جوجل.

كما اقترح عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر "نموذج منهج الفهم بدلاً عن التفسير في دراسة الظاهرة الاجتماعية"⁽¹⁴⁶⁾ ، هذا النموذج ازدهر في ألمانيا عند دلتاي وسميل ومدرسة فرانكفورت النقدية وفي البنيوية الفرنسية والماركسية الجديدة إلى نظرية التفاعلية الرمزية المعاصرة⁽¹⁴⁷⁾.

كما هو واضح أفضت المنظورات النقدية الجديدة في فلسفة العلوم إلى تغيير النظرة الكلية بشأن الظاهرة العلمية عامة والعلوم الإنسانية خاصة، وإذا كانت أعمال بوبو قد لعبت دوراً محورياً فذلك لكونها مهدت السبيل لانطلاق إسهامات متعددة جاءت في أعقابها، وهذا ما أشار إليه أنطوني جدنز بقوله: "إن المناقشات في مجال فلسفة العلوم الطبيعية كان لها دلالتها المباشرة بالنسبة للمشكلات الابدستيمولوجية في مجال العلوم الاجتماعية"⁽¹⁴⁸⁾.

وربما كان توماس كون هو أكثر الفلاسفة أثراً في العلوم الإنسانية والاجتماعية المعاصرة؛ إذ "إن ما هو مشترك اليوم هو الإشارة إلى التأثير الفكري لتوماس كون في عملية تتويع توجهات هذا الفرع - نقصد (فرع سوسيولوجية العلم المعاصر) - إذ ظهر كتاب بنية الثورات العلمية 1962م وتحول بسرعة إلى موضوع لمجادلات كثيرة. وقد تحمس له مرتون في رسالة إلى توماس كون في 13 ديسمبر 1962 يُطري فيها عمله قائلاً: "إنك تجمع المعنى العميق لطبيعة

⁽¹⁴⁶⁾ جوليان فروند ، علم الاجتماع عند ماكس فيبر ، ترجمة تيسير شيخ الأرض ، وزارة الثقافة دمشق 1976 ، ط1، ص 57 .

⁽¹⁴⁷⁾ ينظر: بيير بورديو، بعبارة أخرى: محاولة باتجاه سوسيولوجيا انعكاسية، ترجمة أحمد حسان، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة ، 202، ط1، ص20.

الدين محي محمد ترجمة ، الاجتماع علم في لمنهج جديدة قواعد جينز⁽¹⁴⁸⁾ انتوني
2000، ط1، ص75. ، للثقافة الأعلى المجلس

العمل العلمي، وأشكال التطور التاريخي للعلم، والعمليات السوسولوجية المؤثرة تأثيراً مباشراً في هذا التطور" (149).

ولما كان علماء الاجتماع والإنسانيات يعتقدون - عن حق - بأنهم يمارسون العلم، وأنهم ينتمون إلى (شريحة العلماء)، وأن مناهجهم ونظرياتهم ونتائجهم ومعاييرهم ليست فقااعات صابون، بل ثمرة لجهود مضمّنية من الدرس والتعلم والتأمل والبحث والتقصي. نقول لما كانوا يعون ذاتهم على هذا النحو فمن المؤكد أن قراءتهم توماس كون وغيره من فلاسفة العلم قد أدخلهم في أتون أزمة نفسية ومعرفية عميقة؛ إذ راحوا يطرحون الأسئلة من جديد عن طبيعة عملهم وطائفتهم، ومناهجهم، وحقائقهم، وعن كل شيء يتصل بوضعهم. وهذا هو ما ألمح إليه ألفن جولدنر في كتابه، الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي، إذ أشار إلى أن توماس كون فتح أبصار العلماء على رؤية أنساقهم المألوفة ومسلّماتهم وعاداتهم ومفاهيمهم في ضوء نموذج جديد وأطر إدراكية مختلفة؛ إذ جعلهم يستيقظون من سباتهم المدرسي وأخذوا ينظرون إلى عوالمهم بعيون وبصيرة نقدية جديدة" (150).

في السياق ذاته يذهب فيلسوف العلم ميشيل بولاني إلى تأكيد الطابع الشخصي للمعرفة العلمية، "فصحيح أن العلم الطبيعي يبحث في عالم فيزيقي لا شخصي، إلا أنه ذاته نشاط ذو سمة شخصية، فلا يمكن تتبع نمو المعرفة العلمية إلا كسلسلة من أفعال أشخاص معينين وإنجازاتهم وأحكامهم وكشوفهم وخيالاتهم

(149) ميشال دوبوا، المرجع السابق، ص 71 .

(150) أيان كريب، المرجع السابق، ص. 65.

وحدوسهم، والعلم لا يعمل في فراغ مطلق، بل يفلح أرضاً مهدتها الثقافة السائدة أو تركتها صعيداً بلقاً⁽¹⁵¹⁾.

على هذا النحو يمكن لنا تتبع تيار الاتجاه النقدي في الاستيمولوجيا المعاصرة الذي أخذ يشق طريقه باضطراد منذ كارل بوبر حتى بلغ أقصى مدياته مع فيلسوف العلم الأمريكي باول فيرابند في كتابه المثير للجدل (ضد المنهج : مخطط تمهيدي لنظرية فوضوية في المعرفة) إذ أكد "أن العلم لم يكن أبداً أسير منهج واحد محدد، بل هو مشروع حر لا يخضع لأي سلطة، وكل المناهج يمكن أن تجدي فيه، العلم ليس نظاماً معرفياً مقدساً يستلزم الكفر بكل ما عداه أو خالفه؛ إنه نظام عقلائي يجب أن ينمو ويزدهر وسط الأنظمة المعرفية الأخرى بدون قيد أو شرط، وينتهي فيرابند إلى أنه لا فرق بين مناهج العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية"⁽¹⁵²⁾.

هكذا أفضت النظرة النقدية إلى تأكيد البعد السيوسولوجي للمعرفة العلمية، ونسبيتها وطبيعتها الإنسانية ، فضلاً عن كونها أعادت الاعتبار للعلوم الاجتماعية والإنسانية بوصفها علوماً جديرة بالقيمة والثقة والتقدم⁽¹⁵³⁾.

في ضوء ما تقدم يمكن إجمال الموقف بالنقاط الآتية:

أولاً: النزعة النقدية الجذرية لكل المطلقات والمقدسات والمسلمات والبيدهيات الحداثية التتويرية، والتشكيك بكل المفاهيم والقيم والمؤسسات التي قامت عليها

⁽¹⁵¹⁾ يمى طريف الخولى، المرجع السابق، ص450.

⁽¹⁵²⁾ يمى طريف الخولى ، المرجع السابق، ص458 .

⁽¹⁵³⁾ تريفور بنش ، دور الجماعات العلمية في تنمية العلوم ، ترجمة محمد أمين

سليمان ، مجلة العلم والمجتمع ، اليونسكو فبراير 1990م ص37.

الحدائثة: مفاهيم العقل، والعلم، والنقد، والنظام، والتاريخ، والقومية، والدولة، والقانون الحتمية، واليقين، والحقيقة، والموضوعية، والذات والموضوع والكم والكيف... إلخ.

ثانياً: هدم الثنائيات الكلاسيكية (الذات - الموضوع العلم - اللاعلم، المنهج - النظرية، الدال - المدلول، العقل - الانفعال، المادي - المثالي، الواقعي - الافتراضي، الأنا - الآخر... إلخ) فأحلت النسبية محل الحتمية، والشك محل الوثوق، واللايقين محل اليقين، والتعددية محل الواحدية، والحكايات الصغرى محل الحكايات الكبرى، والوسائل محل الغايات، والتمثيل محل الواقع، والرغبات محل الضرورات، والملاذات الحسية الفورية محل القيم العقلانية، والتفكيك محل التنسيق، والصورة محل الأصل... إلخ (154).

ثالثاً: ظهور أنماط جديدة من الظواهر والمشكلات الإنسانية والاجتماعية، وسرعة تحولها إلى مشكلات عالمية، كمشكلة سباق التسلح والحروب والأمن والسلام الدوليين، ومشكلات البيئة الأرضية والأوزون، وصدام وحوار الحضارات، ومشاكل الاقتصاد والتجارة والمال والأعمال العابرة للقارات. ومشاكل الفقر والصحة والمرضى، والتطرف والإرهاب والعنف، ومشاكل الهويات والتعددية الثقافية، والأقليات والتمييز والتعصب والاستبعاد الاجتماعي، والهجرة غير الشرعية، والمخدرات والبطالة والفقر والحركات الاجتماعية، والمرأة والطفل والشباب، وكل ما يتصل بحقوق الإنسان، ومشاكل السياسة والنظم السياسية والعدالة والحرية والديمقراطية والمجتمع المدني. والمشكلات الأخلاقية للعلم؛ كالاستنساخ، وزراعة الأعضاء، ومنع الحمل، ومشاكل الفضاء السبيرنتي

(154) ينظر: ديفيد هوكس، الإيديولوجية، إبراهيم فتحي (مترجم) (القاهرة: المجلس الأعلى

للتقافة، القاهرة 2000 ط1) ص5.

والأقمار الاصطناعية والوسائط الإعلامية والتواصلية ومشاكل التربية والتعليم
والجودة والاعتماد الأكاديمي..إلخ.

كل تلك المتغيرات والتحويلات التي طالت كل مناحي الحياة الإنسانية
والاجتماعية للعالم الراهن أفضت إلى إدخال الإبيستيمولوجيا الإنسانية في حالة
أزمة منهجية ونظرية وتحديات حاسمة. وهذا هو ما سوف نعالجه لتونا.

أزمة العلوم الإنسانية وسوسيولوجيا العلم المعاصر:

واجهت العلوم الإنسانية والاجتماعية ومازلت، تحديات وأسئلة لم تشهد
مثيلاً لها في تاريخها الطويل، وهذا ما يشف عنه القلق المتزايد الذي أخذ ينتاب
علماء الإنسانيات والاجتماع في المجتمعات الغربية، بعد أن أحسوا بعجزهم إزاء
ما يشهدونه من تحولات وظواهر جديدة لا عهد لهم بها، وليس بمقدور نماذجهم
المعرفية التقليدية الإحاطة بها وفهم دلالاتها. كتب الفرنسي جوفاني بوسينو:

"إذا كان من الواجب تمييز علم الاجتماع في الأربعين سنة الأخيرة بكلمة واحدة
فإن (كلمة) انقلاب هي التي تفرض نفسها بالتأكيد، فمنذ أواخر سبعينيات القرن
العشرين بدأت الوظيفية ومعتقدات وتأكيدات أخرى تتمزق، وبدت كل التحليلات
والتنبؤات المتعلقة بالواقع التاريخي الاجتماعي التي غدت تفكيرنا ووجهت بحوثنا
حينذاك حشوية وخادعة، وأدى عجزنا عن تفهم وتفسير انبثاق الجديد والمختلف
والمغاير والآخر... وبات وجودنا ونشاطنا من الآن فصاعد باطلاً وغير مفيد
.. ويدون جدوى؛ إذ تحطمت فكرة الجماعة التي كانت تمنحنا هويتنا المهنية،
ودورنا ومقاييسنا العلمية وآمالنا ومشاريعنا ... وأدركنا أن مجرى التحويلات
الجديدة والتغيرات السريعة قد جردتنا من كل أدواتنا وأطرنا المرجعية التقليدية.
ويخلص بوسينو إلى التساؤل: (هل هو إفلاس العلوم الاجتماعية وموت علم
الاجتماع وبطلان كل نماذج معرفتنا للشأن الاجتماعي؟) مجيباً: إنني لا أعرف

الإجابة وكل ما أعرفه أن العقل الغربي هزته أزمة عميقة، يصعب تحديد طبيعتها وعمقها ومداهها ونتائجها" (155).

وفي السياق ذاته جاءت صرخة بول فيين؛ إذ كتب تحت عنوان فرعي، (توعك السوسولوجيا) قائلاً " ليس سراً على أحد أن السوسولوجيا تعيش اليوم متوعكة، وأن أفضل رجالها بل ومعظمهم لا يأخذون على محمل الجد إلا العمل الامبريقي التجريبي ... وبإيجاز فالسوسولوجيا ليست ككلمة إجناساً (اتفاق الحروف واختلاف المعنى) وأن كتابة تاريخ السوسولوجيا من كونت ودوركايم إلى فيير وبارسونز ولازار سفلد، ليست بمثابة كتابة تاريخ فرع متخصص من العلوم ، بل تاريخ كلمة، فلا وجود بين أحد هؤلاء المؤلفين والآخر أي استمرار في الأسس والمنطلقات والموضوعات والمقاصد أو المناهج ، فليست السوسولوجيا بالتعريف فرعاً علمياً متخصصاً، فرعاً متطوراً ، ولا وجود لاستمراريتها إلا بواسطة اسمها الذي يقيم صلة لفظية بحتة بين أنشطة عقلية لا صلة بينها" (156) .

في الواقع لقد طالت الأزمة أنساق العلوم الإنسانية الغربية كلها، وانتشرت كالنار في الهشيم في مختلف الدوائر الفكرية والأكاديمية الأورأمريكية، فعلى صعيد الدراسات التاريخية كتب المؤرخ الإنجليزي جفري باراكلاف من جامعة أكسفورد تحت تأثير الإحساس العميق بالأزمة: "إننا مهاجمون بإحساس من عدم

(155) جيوفاني بوسينو ، نقد المعرفة في علم الاجتماع ، ترجمة محمد عزب صاصيلا ، المؤسسة الجامعية للدراسات ببيروت ، 1995 ، ط1، ص18.

(156) بول فيين ، أزمة المعرفة التاريخية ، فوكو و ثورة في المنهج ترجمة ، إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات القاهرة، 1993، ط1، ص 194.

الثقة، بسبب شعورنا بأننا نقف على عتبة عصر جديد لا تزودنا فيه تجاربنا السابقة بدليل أمين لسلوك دروبه، وإن أحد نتائج هذا الموقف الجديد هو أن التاريخ ذاته يفقد - إن لم يكن قد فقد - سلطته التقليدية ولم يعد بمقدوره تزويدنا بخبرات سابقة في مواجهة المشكلات الجديدة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً منذ آدم حتى اليوم" (157).

وقد بلغ هذا الموقف المتشكك بلا جدوى التاريخ والمعرفة التاريخية عند المؤرخ الأمريكي دافيد رونالد، من جامعة هارفارد، حد الاستفزاز والتحدي في كتابه، تاريخنا بلا أهمية، أعلن فيه "أن التاريخ يظهر مقدار ضعفنا في مواجهة الحاضر وأننا لا نتعلم من أخطاء الماضي، وما أقل تأثيرنا في ما ينزل بنا من أحداث، وما أشد عجزنا في قبضة قوى أساسية هي التي تشكل الوجود الإنساني" (158).

(157) تيدور هيومور، تأملات حول التاريخ والمؤرخين عرض وتحليل مصطفى العبادي، مجلة عالم الفكر الكويتية - المجلد العشرون.. العدد 1 يونيو 1989، ص 260.

(158) تيدور هيومور، المرجع السابق ص 261. وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى ما كتبه الفيلسوف الفرنسي هنري لوفيفر، في كتابه (نهاية التاريخ) إذ أكد "إن النزعة الماضوية تفقد معناها والرجوع إلى الوراء أمر ممتنع... والرغبة في استعادة نموذج ما للعالم لم تعد هدرًا للوقت فحسب بل تتطوي أيضاً على مخاطر كبيرة.. لقد تغير العالم كثيراً وفقد التاريخ (بالحرف الكبير) هالته الخرافية واضحى صورة من صور اللامعقول" ينظر هنري لوفيفر، نهاية التاريخ، ترجمة د. فاطمة الجبوشي، دمشق وزارة الثقافة، 2002 ط 1، ص 7.

ويمكننا تتبع هذا الإحساس الفلق بحالة الأزمة عند عدد واسع من علماء
الإنسانيات من مختلف الأنساق المعرفية، فهذا عالم الاجتماع التربوي مالكهولم
تويلز يقر بذلك حيث يقول: "إننا نعيش في زمن تتسارع فيه التحولات
الاجتماعية وتتغير فيه المعارف بسرعة مضطردة، بحيث غالباً ما تصبح فيه
الكتب قديمة قبل خروجها من المطبعة، وبات من الضروري إعادة النظر في
استراتيجيات التربية والتعليم وأهدافها بما يتواءم مع تلك المعطيات الجديدة"
(159).

تكشف تلك النصوص طبيعة الأزمة وقوة أثرها الصادم عند علماء
الإنسانيات الغربيين وكيفية تعاملهم وفهمهم لها؛ إذ رغم إقرارهم بوجودها فإنهم
يختلفون في تأويلها، فهذا أولفين توفلر يقر بوجود الأزمة إلا أنه يرى فيها بشارة
ميلاد جديد لحضارة جديدة، إذ كتب: "إن التغيرات السريعة التي نلاحظها في
عالم اليوم ليست بهذه الدرجة من الفوضوية والعرضية، التي يهيوئنا لتصديقها،
بل إن وراء الأحداث المعروضة بعناوين كبيرة، جملة من البنى ليست ملحوظة
وحسب، بل هناك قوى يمكن تحديدها وهي التي تتحكم في تلك البنى وتهبها
صورتها... اليوم تواجه البشرية قفزة هائلة إلى الأمام، تواجه أعمق فورانا
اجتماعيا، وأشمل عملية إعادة بناء في التاريخ، ونحن اليوم مندمجون في بناء
حضارة جديدة متميزة بدءاً من البداية، وإن كنا غير واعين تماماً لهذه الحقيقة
وهذا ما نعنيه بحضارة الموجة الثالثة" (160).

(159) ينظر: أوليفيه ربول، فلسفة التربية، ترجمة، جيهان نعمان، دار عويدات، بيروت _

باريس، 1986، ط3، ص30.

(160) أولفين توفلر فيلسوف أمريكي ولد في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي في

ولاية بنسلفانيا، اشتهر بكتاباتاته: صدمة المستقبل و الموجة الثالثة و تحول السلطة،

بغض النظر عن تأويلات الأزمة، يهمننا التأكيد أن ثمة اتفاقاً بين معظم الفلاسفة والعلماء على أن المجتمع الإنساني الراهن يعيش لحظة تحول سريعة ومضطربة تصيب الإنسان بالذهول وتتحدى قدراته على الفهم والحكم والتمييز "إذ سرعان ما تأنكل الكلمات في محاولة التعبير عن هذا العالم المنبثق حيث الحركة هي القانون والرجوع إلى الماضي لا يسعف كثيراً في فهم هذا الزمان، فهناك كثير من المستجدات التي توهن العزم على الاستعانة بالمماثلة وأن المشكلات التي تراكمت في أواخر القرن العشرين جعلت العالم يبدو للإنسان وكأنه تيه" (161) .

وسط هذه الأزمة العاصفة وقف علماء الإنسانيات أمام خيارين لا ثالث لهما: إما التشاؤم والقنوط واليأس والعجز، وإما التفاؤل والتفكير والمبادرة باتخاذ موقف نقدي جذري من كل شيء؛ نقد الذات ونقد التصورات ونقد التاريخ والتراث والمجتمع والحياة ونقد نظرياتهم ومناهجهم وأدواتهم وتصحيحها في ضوء المتغيرات وما تحمله من معطيات وممكنات سوسيوولوجية وإبستيمولوجية جديدة . وهذا ما تم فعلاً؛ إذ مثّلت سنوات الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي لحظة تحول حرجة للعلوم الإنسانية والاجتماعية في مواجهة السؤال الجوهري:

وبناء حضارة جديدة، وخرائط المستقبل. ينظر: قاسم المحبشي، اولفين توفلر وحضارة الموجة الثالثة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، الصادرة عن جامعة عدن العدد 13، اكتوبر 2008م.

(161) جورج بالاندييه، في الطريق إلى القرن الواحد والعشرين .. التيه، ترجمة، محمد حسن

إبراهيم، دمشق وزارة الثقافة، دراسات فكرية 6، 2000م، ط1 ص3 .

"كيف يمكن جعل مرحلتنا المفصلية بين مجتمع الأمس الآخذ بالزوال وبين المجتمع الآخذ في الانتثاق قابلة للتعتل والإدراك؟" (162).

وإذا ما حاولنا رصد ابرز ملامح أزمة العلوم الإنسانية ومخاضات تحولاتها في الإيستيمولوجيا المعاصرة فيمكننا اجمالها بالنقاط الآتية:

أولاً: شهدت الإيستيمولوجيا الإنسانية أكبر ثورة نقدية في تاريخها؛ إذ لأول مرة في تاريخها ينسب الإنسان ومشكلاته الاجتماعية موضوعاً كلياً ومحورياً للفلسفة والعلوم الإنسانية؛ إذ شكل الإنسان سؤالاً رئيساً لمعظم المدارس والاتجاهات الفلسفية المعاصرة (الفينومولوجية والوجودية والشخصانية والحيوية والماركسية الجديدة والتحليل النفسي والهرمنوطيقا، والأنثربولوجيا والتفكيكية، والسومولوجيا وفلسفة اللغة وفلسفة الجسد .. الخ. (163)

ثانياً: شهدت المعرفة الإنسانية والاجتماعية فيضاً غنياً من الرؤى والأفكار النقدية في سلسلة مضطربة من البحوث والدراسات النظرية النقدية، فضلاً عن اتساعها الأفقي في ارتياد مجالات وحقول وموضوعات جديدة لم تألفها في ماضيها الكلاسيكي من ذلك: الدراسات الثقافية والنقد الثقافي التي تتضوي على طيف واسع وشديد التنوع من المواضيع والمشكلات (دراسات المرأة والهيمنة وما بعد الكونيالية وسوسولوجيا الصحة والمرض، وسوسولوجيا الإعلام والتواصل والاتصال وأخلاقيات العلم والتكنولوجيا، والأنثربولوجيا الثقافية والتعددية والهوية، و قضايا حقوق الإنسان وغير ذلك).

(162) يان سبورك، أي مستقبل لعلم الاجتماع؟ المرجع السابق، ص 12.

(163) ينظر: قاسم المحبشي، الوجود والماهية عند جان بول سارتر، رسالة ماجستير، قسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة عدن، 1995، ص 25.

ثالثاً: الحضور المتزايد لخطاب العلوم الإنسانية والاجتماعية على الصعيد العالمي واتساع نطاق انتشارها وتمكينها وتوطينها أكاديمياً وثقافياً وإعلامياً في مختلف المجتمعات والبلدان وتخصيبتها بـ(الخطابات البديلة) التي أخذت تنتشر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، عبر فتح المزيد من المؤسسات الأكاديمية ومراكز الأبحاث والدراسات المتخصصة الرسمية والمدنية. (164) فضلاً عن قيام الهيئة العامة للأمم المتحدة (اليونسكو) بإصدار العديد من القرارات والتوصيات والتقارير التي شددت على ضرورة نشر العلوم الإنسانية والاجتماعية وتمييزها في جميع الدول الأعضاء لأهميتها الحيوية في التصدي للمشكلات النوعية المتزايدة. "لا يزال للعلوم الاجتماعية الغربية أكبر تأثير على المستوى العالمي. لكن نطاق هذا المجال يتسع بسرعة في آسيا وأمريكا اللاتينية، لاسيما في الصين والبرازيل. وفي إطار أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، ينتج العلماء الاجتماعيون في جنوب أفريقيا ونيجيريا وكينيا 75% من المنشورات الأكاديمية. ويحتل مجال العلوم الاجتماعية ككل مرتبة متدنية في سلم الأولويات في جنوب آسيا، باستثناء عدد من مراكز الامتياز في الهند" (165).

رابعاً: إعادة تعريف وتصنيف العلوم الإنسانية تعريفاً نقدياً جديداً في ضوء المداخل السوسيولوجية المعاصرة بما فتحت من آفاق منهجية واستبصارات نقدية بالغة الأهمية في دراسة وفهم العلم عامة والعلوم الإنسانية تحديداً، إذ شهد

(164) ينظر: سيد فريد عطاس، تعريف الخطابات البديلة وأنواعها، مجلة إضافات، العدد

التاسع، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، شتاء 2010، بيروت، ص14.

(165) ينظر: غودموند هيرنز وآخرون، الفجوات المعرفية: تقرير اليونسكو العالمي للعلوم

الاجتماعية لعام 2010، النت، جوجل، موقع منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.

التاريخ الداخلي (الابستمولوجي) في العلوم الإنسانية والاجتماعية أعمق ثورة نقدية في تاريخها، وهذا ما أفضى إلى إعادة تنظيمها، بنيوياً ووظيفياً أفقياً وعمودياً، إذ لم بات العلم الإنساني يتفرع إلى عدد لا يحصى من الانساق التخصصية، ولم يعد من الممكن اليوم الحديث عن علم النفس بوصفه فرعاً علمياً واحداً، بل تفرع إلى مئات التخصصات النفسية الدقيقة، وهذا هو الحال في علم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم السياسة وعلم الثقافة وعلم الفلسفة... الخ. كتب ايان سبورك قائلاً: " من أجل فهم التعددية السوسيولوجية المعاصرة يتم التمييز بين أربعة نماذج لعلماء الاجتماع : المتدّهن أو المنظر، والأكاديمي الرسمي، وعالم الاجتماع الاستعراضى الإعلامى وأخيراً الخبير" (166) مع التشديد المتزايد على ضرورة ردم الهوة بينها وبين العلوم الطبيعية.

المنظور السوسيولوجي النقدي والعلوم الإنسانية:

على مدى السنوات الماضية تم تطوير عدد من المنظورات النقدية الجديدة في سوسيولوجيا العلم المعاصر، بوصفها أدوات منهجية فاعلة في دراسة وبحث الظاهرة العلمية، ولما كان موضوع بحثنا هو تعيين (راهن العلوم الإنسانية واستشراف مستقبلها) فمن المهم التعرف على أهم مداخل السوسيولوجيا النقدية في دراسة موضوعنا وفهمه، بالاستفادة من بعض النماذج المنجزة في سوسيولوجيا العلم المقارن، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: مدخل الباراداييم (167) أو نموذج الرؤية الكلية : وهذا هو المنظور الذي صاغه توماس كون والذي أثبت من خلاله أن مسألة نمو العلم وتقدمه وازدهاره

(166) ايان سبورك، المرجع السابق، ص 136.

(167) مفهوم الباراداييم صاغه فيلسوف العلم المعاصر، توماس صموئيل كون في كتابه

1- : منها تعريفاً الثلاثين تفوق ودلالات الشهيرب (بنية الثورات العلمية) واستعمله بمعاني

ليست مسألة علمية بل تتعين في تلك المجالات الواقعة خارج العلم حيث يتأمل البشر طبيعة الكون والإنسان بأعمق معانيها وأشدها غموضاً، وحيث يخلق الخيال الإنساني المؤسسات التي تسمح للأفراد بالاستمتاع على الدوام بالفضاءات المحايدة أو الأطر الميتافيزيقية والثقافية الأوسع التي تجري ضمنها أنماط العلاقات والممارسات والخطابات التي تتشكل في سياقها تصورات الإنسان عن ذاته وعن عالمه وعن الآخرين تشكيلاً عميقاً، وهذا هو معنى الثقافة بعدها منظومة كلية مركبة من كل ما ن فكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه أو نفضله كأعضاء في المجتمع، فالثقافة السائدة في حضارة ما بوصفها نموذجاً إرشادياً (باراديم) إما أنها تدعم قوى الإنسان العقلية والإبداعية أو تحد منها وتضيق فرص نموها وازدهارها.⁽¹⁶⁸⁾ و" كلمة ثقافة تطلق مجازاً على الجهد المبذول في سبيل تحسين العلوم والفنون وتنمية القدرات الفكرية ومواهب العقل

حلولاً للمشكلات بوصفه - 3 العلماء بين أجماعاً بوصفه-2 أدراكياً مخططاً بوصفه الباراديم ينظر، توماس كون ، بنية الثورات العلمية، مسابقة.. الخ. قناعات و مفاهيم بوصفه -4 ترجمة، حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، لبنان، 2007م ط1 ، ص 75.

والذكاء" (169) وهي بهذا المعنى تتميز بجملة من السمات منها: 1- التهيؤ كما هو الحال بالتربية البدنية التي تهتم ليس بتمرين عضو معين من أعضاء الجسم، بل بتمرين وتهيئة الجسم كله وإكسابه اللياقة اللازمة، والثقافة بوصفها استراتيجية للتنمية العقلانية المستدامة، تمنح الأفراد القدرة على استعمال جميع المعارف والمهارات المكتسبة لمجابهة الأوضاع المختلفة وحل المشكلات الجديدة؛ أي (الذكاء العاطفي) إذ (هي ما يبقى بعد نسيان كل شيء). 2- الاستيعاب بمعنى استخدام المعرفة وتجريبها ذاتياً؛ لأن المرء لا يستطيع أن يتصرف بمعرفة ما إلا عندما يستوعبها ويجسدها في لغته وذهنه وخبراته. 3- الشمول، القدرة على الربط العميق بين المعارف المستوعبة والموضوعات والقضايا التي تبدو متباعدة، والنظر إليها برؤية كلية. 4- الحكم، القدرة على التجريد واتساع الأفق الذي يعني في العلم (الحلم) وفي الفن (الذوق) وفي الأخلاق (الضمير) وفي الحياة (الفهم). وهذا هو (كل) ما يمكن انتزاعه من الثقافة، وبدون هذا (الكل) لا وجود لشيء جدير بالقيمة والاعتبار (170).

على هذا النحو يمكن فهم أهمية ودور الثقافة في تخصيص وإنجاب وتنمية التفكير العلمي وتمكينه في المجتمع ، وربما كان ماكس فيبر يقصد هذا المعنى حينما أشار إلى "إن الاعتقاد بقيمة الحقيقة العلمية لا يستمد من طبيعة العلم ذاته ، بل هو نتاج سياقات ثقافية واجتماعية تاريخية متعينة ".

(169) ينظر: شاتلية، فرانسوا، ايدولوجية الحرب والسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 1981.

(170) ينظر: اولفيه ربول، المرجع السابق ، ص6 .

ثانياً: مدخل الدور الاجتماعي للعالم: يرى بعض العلماء أن النقطة المركزية في دراسة نمو العلم تتصل بوجود دور العالم المعترف به والمقدر تقديراً إيجابياً في ثقافة المجتمع المعني، وهذا معناه أن المشتغلين في العلم ليسوا أشخاصاً معزولين عن مجتمعهم، بل هم فاعلون ثقافيون يعتمد وجودهم واستمرار نشاطهم على شبكة واسعة من الدعم والإسناد المؤسسي على شكل فرص للتعليم والبحث العلمي وقنوات لمناقشة نتائج أبحاثهم ونشرها، والتقبل والاعتراف الاجتماعي الضمني بهم بصفتهم علماء يحظون بالقيمة والتقدير الإيجابي في مجتمعهم. وأخيراً الجزاءات التي ينالونها مقابل القيام بأدوارهم المتعددة، دور المعلم أو الأستاذ ودور الباحث العلمي ودور العضو في القسم العلمي ودور المدير أو العميد الإداري، ودور المناقش أو المحكم العلمي في ريادة الأبحاث والأطاريح العلمية أو حارس البوابة. يعد مدخل الدور الاجتماعي للعالم من أهم الانساق المفتاحية في سوسيولوجيا العلم المعاصر، انطلاقاً من الفكرة الأساسية التي نقول: بأن لا سلطة اجتماعية إلا بوظيفة ولا دور اجتماعي إلا بسلطة. إذ "أن استمرار نشاط اجتماعي ما على مدى فترات زمنية طويلة، بغض النظر عن تغيير ممارسي هذا النشاط، يعتمد على ظهور أدوار اجتماعية لتمكين استمرار وترسيخ ذلك النشاط، وعلى فهم فئة اجتماعية لهذه الأدوار وتقييم المجتمع الإيجابي لها أي منحها مشروعية وقيمة مقدرة خبير تقدير" (171)، ومعنى الدور هو "ما يتوقع من شخص أو عدة أشخاص بوصفهم (جماعة منظمة) القيام به مؤسسيا بصفتهم أعضاء فاعلين داخل الأنساق المختلفة للمؤسسة المعنية ، وبهذا المعنى يختلف (الدور) عن (الوضع) كما

(171) ينظر: توبي أ. هف ، المرجع السابق، ص31.

ذهب جوزيف بن دافيد في كتابه (دور العالم في المجتمع)؛ إذ إن الوضع يشير إلى الجزاءات التي ينالها هولاء الفاعلون لقاء القيام بأدوارهم، وهكذا فإن مصطلح (دور) يحدد الوظيفة ومصطلح (وضع) يحدد الموقع التراتبي لوحدة ما في نسق اجتماعي" (172). ويرى زنانيكي أن الشخص الذي يقدر له إنتاج المعرفة يمارس أدواراً متعددة ومتكاملة منها: "دور الباحث، ودور المدرس، ودور الإداري، ودور المشرف العلمي، أو (حارس البوابة)، ولكل دور من هذه الأدوار قيمه ومعايره المحددة بشفافية" (173).

وهكذا يصف الدور الاجتماعي للعالم : مجموع الوظائف النسقية المعترف بها اجتماعياً بوصفها وظائف وأدواراً مشروعة ومقدرة اجتماعياً خول لفئة من أفراد المجتمع النهوض بها، والتي بفضلها منحوا اسمهم وصفتهم المهنية (علماء) لقاء ممارستهم نشاطاتهم وفق معاييرها وقيمها المهنية الخاصة بصفتهن جماعة أو مؤسسة علمية، والتي لا يكون المرء عالماً إلا بها.

وربما كان غياب هذا الدور في الثقافة العربية الإسلامية سبباً من أسباب تخلف الإنسان والمجتمع ومن ثم تخلف العلم عامة والعلوم الإنسانية خاصة، ومن منظور العلاقة الجدلية بين المعرفة والسلطة، فمن المحتمل أن غياب دور العلماء وتهميش قيمتهم ومكانتهم الاجتماعية في المجتمعات العربية الإسلامية التقليدية بالقياس إلى الحضور الطاعي لفئات اجتماعية أخرى أمثال: المشتغلين بالسياسة والسلطة، والفقهاء ووعاظ السلاطين والعسكريين وغيرهم من النخب التقليدية الذين مازالوا يشغلون ادوارا اجتماعية بالغة التأثير والنفوذ ويتمتعون بقيمة ومكانة اجتماعية عالية ومقدرة خير تقدير، في حين ان

(172) ميشال دويوا، المرجع السابق، ص93.

(173) ميشال دويوا، المرجع السابق، ص127.

المشتغلين بالمعرفة العلمية والمؤسسات الأكاديمية مازالوا يعانون من عدم الاعتراف بدورهم الاجتماعي والمهني. وهذا يعبر عن تدني الوعي العام بقيمة الإنسان وحقوقه الأساسية بوصفه معياراً وهدفاً وغاية للتنمية المستدامة، كما أشار امارتيا صن "أن حرية الإنسان هي الغاية والهدف الأسمى لكل تنمية ممكنة، ذلك أن الحرية تعني المقدرة على الفعل والاختيار و التفكير والإبداع"⁽¹⁷⁴⁾. وحينما يصبح العلم مؤسسة اجتماعية مستقلة كما كانت ((الجمعية الملكية للعلوم التي تأسست في لندن عام 1645م وهي أول مؤسسة علمية رسمية و((أكاديمية العلوم في باريس)) عام 1662م فضلا عن المؤسسات الجامعية فهذا معناه مرحلة حاسمة في نشوء وازدهار الدور الاجتماعي للنشاط العلمي.

ثالثاً: مدخل مؤسسة العلم، مع مأسسة العلم ظهر مفهوم الجماعة العلمية بصفقتها وحدة معيارية؛ إذ لا يكفي أن ندعي أننا علماء حتى يتم الاعتراف بنا بصفقتنا علماء. أن تكون عالماً يعني أن تنتمي إلى إطار اجتماعي متشكل من مجموع الفاعلين المشتغلين في النشاط العلمي؛ أي (الجماعة العلمية) بمعنى الانتماء إلى (نسق اجتماعي): مؤسسة محددة، يمكن تمييزها عن بقية المؤسسات الاجتماعية. ويعني ثانياً أن يتم اختيارك وإدماجك في نسق

(174) ينظر: امارتيا صن، التنمية الحرة، مؤسسات حرة وإنسان متحرر من الجهل والمرض و الفقر، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، العدد 312 ص 45.

يقيم فاعلوه علاقات ترابط وفق طرائق تتوافق مع مبادئ مهنية معيارية مخصوصة، وهو يعني أخيراً أنك موضوع لمراقبة اجتماعية، داخل المؤسسة، وأن عليك إتقان الدور الاجتماعي المقدر إيجابياً في الجماعة العـلـ. وقد ترسخت المهنة الأكاديمية منذ أن تحولت إلى مؤسسة اعتبارية مستقلة فيما عرف بـ(الجامعة)؛ إذ اعتبرت المؤسسة المتحدة Universities من الناحية القانونية جماعة لها شخصية قانونية تختلف عن أعضائها فرادى، إذ كانت الجامعات منذ نشأتها في العصر الوسيط تتمتع بقدر كبير من الحرية والاستقلالية القانونية والمالية والإدارية، وكانت الحرية الأكاديمية هي السمة المميزة للجامعات، وهذا ما جعلها تتمتع (بحرمة) شبه مقدسة من الانتهاكات والح ويؤكد جينز بوست "أن العلماء في جامعة باريس كانوا مع حلول سنة 1215م على أبعد تقدير، قد تبلور وجودهم على شكل هيئة تدعى (هيئة الأساتذة والعلماء بوسعها أن تضع القوانين وأن تنفذ الالتزام بها)"⁽¹⁷⁵⁾. أن تكون عالمًا يعني أن تنتمي إلى إطار اجتماعي متشكل من مجموع الفاعلين المشتغلين في النشاط العلمي؛ أي (الجماعة العلمية) بمعنى الانتماء إلى مؤسسة محددة، يمكن تمييزها عن بقية المؤسسات الاجتماعية هذا أولاً، ويعني ثانياً؛ أن يتم اختياريك وإدماجك في نسق يقيم فاعلوه علاقات ترابط وفق طرائق تتوافق مع مبادئ مهنية معيارية مخصوصة، وهو يعني ثالثاً؛ أنك موضوع لمراقبة مهنية اجتماعية داخل المؤسسة وأن عليك إتقان دورك الاجتماعي المهني المقدر إيجابياً في الجماعة العلمية⁽¹⁷⁶⁾. ويعني اجمالاً؛ اعتراف المجتمع بالوظيفة الخاصة للنشاط العلمي

⁽¹⁷⁵⁾ ينظر: توبي أ. هف ، فجر العلم الحديث، ص 157.

⁽¹⁷⁶⁾ ميشال دوبوا، المرجع السابق ص113

وبقيمتها الاجتماعية ، وموافقة المجتمع تشكيل مجال مهني لضبط أدوار الفاعلين بما يحقق غايات ذلك النشاط ويصون استقلاليتهم.

و الأكاديمية تعني حرية التفكير والتعبير والاختلاف والتعليم وأن هيئة التدريس في الجامعة تتمتع بحق تدريس ما تعتبره صحيحاً وأنه ليس هناك قيود على ما يقوله الأستاذ أو يكتبه أو ينشره. ويرتكز هذا الحق على قدسية الحقيقة العلمية، من ناحية، ومسؤولية المدرس في معرفة هذه الحقيقة وحقه في نقدها أو مناقشتها، دون إي قيود، من ناحية أخرى. ونعتبر حرية الجامعة واستغلالها من التقاليد التي ورثتها الجامعات الحديث والمعاصرة عن جامعات العصر الوسيط إذ أن الحرية هي الشرط الجوهرى لنمو العلم والفكر العلمى، " وحاجة العلم إلى الحرية، مثل حاجة النباتات التي تنمو في البيوت الزجاجية إلى الشمس والأكسجين، أما إذا طليت النوافذ بالسواد كما في الحروب، فلا تنمو إلا الأعشاب الطفيلية الضارة، والإبداع العلمى يتبيس في البيئات الاستبدادية والتسلطية" (177).

رابعاً: معايير المجال العلمى أو (خليفة العلم) حسب بوتون، ويعنى ذلك النسق المركب من القيم والمعايير التى يلتزم بها الفاعلون العلميون بعدها أمور محظورة أو مفضلة أو مسموح بها، فهى تكتسب مشروعيتها من القيم المؤسسية وتتعزيز بتشجيع السلوك النموذجى والمثل العليا للتميز والجدارة والجودة . ويعود الفضل إلى عالم الاجتماع الأمريكى روبرت ميرتون بصياغة أربعة مقومات أساسية للمعرفة العلمىة هى: 1- العالمية، بمعنى أن الاكتشافات والنظريات

(177) ماكس بيروتييز، ضرورة العلم : دراسة فى العلم والعلماء، ترجمة وائل أناسى، سلسلة عالم المعرفة الكويتية 245، مايو 1999، ص7.

العلمية يجب أن يحكم عليها بمعايير إنسانية عالمية محايدة، بمعزل عن المرجعيات الهوياتية الشخصية والجمعية للعلماء الذين يجب أن يسمح لهم بممارسة الخطاب العلمي بحرية وشفافية تامتين دون أية إكراهات أو ضغوط واقعية أو رمزية، سياسية أو اجتماعية أو دينية.. الخ. 2- الجماعة، يجب أن تكون مكتشفات البحث العلمي ملكاً للإنسانية كلها، وأن يتم تأمين نشر المعلومات والنتائج وتبادلها بسلاسة وإنسيابية وشفافية كاملة. 3- التجرد، بمعنى متابعة البحث عن الحقيقة العلمية لذاتها ومن أجل ذاتها دون التأثير بالأهواء الشخصية أو المواقف والاتجاهات و الغايات الإيديولوجية أو المصالح السياسية أو غيرها. 4- الشك المنظم، بمعنى عدم التسليم بأية حقائق أو معتقدات مسبقة، وإخضاع كل شيء للنقد والتمحيص⁽¹⁷⁸⁾، بما فيها تلك الدعاوى الخاصة التي تصدر عن مؤسسات تحظى بالاحترام والإجلال ، فالعلم عدو كل السلطات بما في ذلك سلطة المؤسسة العلمية ذاتها، "إذ لا حاجة لأن تكون مهذباً في العلم ، بل أن كل ما عليك فيه أن تكون على حق"⁽¹⁷⁹⁾.

بالنظر إلى تلك المداخل النقدية ، يمكننا تعيين واقع العلوم الإنسانية ومآلاتها المستقبلية ولعله من المهم الإشارة إلى كتاب توني أ. هب، بعنوان: فجر العلم الجديد: الإسلام - الغرب والصين، بوصفه مثلاً معبراً عن الاتجاه النقدي الجديد في سوسيولوجيا العلم المعاصرة، فضلاً عن كونه يتصل بالمسألة التي تهمننا هنا أقصد مسألة العلم وسبل نموه وتقدمه، والسؤال الذي ناقشه، هب هو: لماذا ازدهر العلم الحديث في الغرب وأخفق في الإسلام والصين؟ مستلهما مداخل المنظور السوسيولوجيا الجديد في مقارنته الإجابة.

⁽¹⁷⁸⁾ ينظر: ميشال دويوا، المرجع السابق، ص 134.

⁽¹⁷⁹⁾ ماكس بيروتي، المرجع السابق، ص 5.

كتب هب، تحت عنوان (مشكلة العلم العربي) مايلي: " لمشكلة العلم العربي بعدان على الأقل ، يتصل أحدهما بعجزه عن إنجاب العلم الحديث، ويتصل الثاني باضمحلال الفكر والممارسة العلميين في الحضارة العربية الإسلامية بعد القرن الثالث عشر. وعلى الرغم من أن تراجع الحياة الفكرية بعد العصر الذهبي مسألة ذات أهمية كبيرة لسكان الشرق الأوسط في أيامنا هذه فإنها تقع خارج حدود هذه الدراسة التي تهتم بالعلم العربي من القرن الثامن حتى آخر القرن الرابع عشر الميلادي. ربما كان أرقى علم في العالم متفوقاً بذلك على العلم في الغرب والصين. كان العرب في كل حقول العلم .. في طليعة التقدم العلمي... إذ أن ما حققه العرب يثير الإعجاب إلى حد يدعو للتساؤل عن السبب الذي منعه من اتخاذ الخطوة الأخيرة باتجاه الثورة العلمية الحديثة؟ ويضيف "كان العرب قد وصلوا إلى حافة أعظم ثورة فكرية حدثت في التاريخ، ولكنهم رفضوا الانتقال من العالم المغلق إلى الكون اللانهائي (حسب تعبير Koyre كويري). وبما أنهم عجزوا عن اتخاذ هذه الخطوة الخطيرة في بداية العصر الحديث، فإن البلاد الإسلامية لا تزال تتمسك بالتقاويم القمرية" (180).

وفي سياق تناوله للبنى الثقافية والمؤسسية التي حالت دون مقدرة العلم العربي على اتخاذ تلك الوثبة الحاسمة من الباراديم التقليدي المغلق إلى الباراديم الحديث الجديد توصل هب إلى نتائج بالغة الخطورة والأهمية اليكم بعضها:

1- لم يكن لعلماء الطبيعة العرب دور معترف به اجتماعياً وثقافياً وسياسياً يوازي دور الفقهاء من حيث السلطة والنفوذ، بل كانت بنية الفكر والعواطف في الإسلام في القرون الوسطى بشكل عام ذات طبيعة جعلت طلب العلوم الوضعية

(180) توني أ. هب ، المرجع السابق، ص 65.

والعقلية وعلوم الأولين أمراً يثير الشكوك ويجلب لأصحابها كثيراً من المتاعب والتهم الخطيرة على حياتهم (181).

2- كانت سلطة الفقهاء وسطوتهم شاملة بحيث لم يتركوا شيئاً للعلماء والفلاسفة ليقولوه، بل إن الفلاسفة وعلماء الإنسانيات لم يكن لهم وظيفة ودور معترف بهما في المجتمع، ومن ثم لم تكن لهم حماية، إذا ما أردوا التعبير عن آرائهم بشأن القضايا الفكرية بحرية، كمسألة خلق العالم، والعلية الطبيعية، والحرية الإنسانية، وما إذا كان بإمكان الإنسان الوصول إلى المبادئ الأخلاقية عن طريق الرؤية العقلية بعبارة توماس كون. (182)

3- غياب البنية المؤسسية القانونية؛ أي عدم وجود الجماعات ذات الشخصية القانونية الاعتبارية المستقلة في الحضارات العربية الإسلامية؛ إذ لم تكن مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي مؤسسات قانونية مستقلة، بل كانت المدارس ملحقة بالمساجد، وكانت المدارس مكرسة لتعليم علوم الدين والحساب، وتستبعد العلوم الطبيعية، فضلاً عن أن المدارس كانت مؤسسات خيرية وفقاً

(181) توني أ. هب، المرجع السابق، ص73.

(182) من المعروف أن الفقه الإسلامي حين ذلك كان قد تنامي وتكامل وصار الفقيه مريباً وخبيراً اقتصادياً وضابط لقواعد الصحية العامة وآداب السلوك والكلام وكل صغيرة وكبيرة فضلاً عن سلطته التشريعية الشاملة فما الذي أبقى كتاب الفقه في الإسلام لكتب العلوم العقلية والوضعية من أبواب وفصول بما يمس الحياة والكون والقيم والتربية والسياسية والاقتصادية و الالتزام والمسؤولية والجزاء والثواب والعقاب وفي جميع دقائق العادات والقوانين والتقاليد والأعراف؟ ينظر، توني أ. هب، المرجع السابق، ص86..

دينيًا تنفذ رغبات وأهداف أصحابها الدينية وغير الدينية، كما أن نظام التعليم كان يعتمد على الصفة الشخصية، وكان الشيخ أو الفقيه هو الذي يمنح الإجازة لتلاميذه، ولم تكن الشهادة أو الإجازة تمنح من قبل جماعة أو مؤسسة مستقلة لا شأن لها بالأمور الشخصية كما كان عليه النظام في الجامعات الأوربية القروسطية. ولما كان التعليم في حقل العلوم الطبيعية يجري خارج المدارس الرسمية، فقد كان التخصص في علم من العلوم الأجنبية يقتضي السفر مسافات شاسعة بحثاً عن علماء متخصصين في علوم الأولين غير المرغوب فيها طبعاً

إن البنية الشخصية المهيمنة في مختلف مجالات حياة المجتمع العربي الإسلامي قد عاقت نمو فكرة المؤسسة المستقلة وعرقلت نشوء معايير العلم الموضوعية والشمولية والعالمية والتراكمية، بل عرقلت نشوء الجامعة بوصفها مؤسسة حرة ومستقلة، يقول (هف): "إن الولايات القانونية في العالم الإسلامي لم تنشأ مطلقاً لأن المسلمين كلهم أعضاء في الأمة الواحدة ولا يجوز فصل المسلمين إلى جماعات يتميز بعضها عن بعض شرعاً"⁽¹⁸³⁾

4- غياب فكرة العقل والعقلانية؛ إذ إن مصادر الشرع هي القرآن الكريم، والسنة، والإجماع، والقياس، وهذا ما أفضى إلى التخلص من العقل بوصفه مصدرًا من مصادر التشريع، وقد أدى التضييق على العقل إلى إنكار النظرة العقلانية إلى الطبيعية؛ أي دراستها بوصفها موضوعاً قابلاً للفهم والسيطرة، كما أن مفهوم العقل الذي شاع عند المسلمين ليس العقل الفعال عند أرسطو، ولا (النور الداخلي) عند فلاسفة النهضة، بل يطلقون كلمة العقل على الأفكار التي

(183) توني . هب ، المرجع السابق، ص 129 .

يؤمن بها عامة الناس. ويرى فضل الرحمن أن "اللاهوت احتكر في نهاية المطاف حقل الميتافيزيقيا كله وأنكر على الفكر الخالص حق النظر نظرة عقلانية في طبيعة الكون وطبيعة الإنسان، لكن العلم الحديث لم يكن له أن يظهر ويزدهر دون توافر أطر ميتافيزيقية عامة ومعترف بها تقوم على فرضيات عن انتظام العالم الطبيعي وخضوعه لقوانين معينة وعلى الإيمان بقدرة الإنسان على فهم البنية الكامنة في الطبيعة وفهم القوانين التي تتحكم في الكون والحياة والإنسان واستيعابها والتنبؤ بنتائجها والسيطرة عليها، وربما هذا هو ما قصده ماكس بيرونتر بقوله: "أنه لا يزال هناك ما يقال بشأن اكتشاف السبب في أن هناك آخرين عميت بصيرتهم عن النقاط ما حاولت الطبيعة أن تقوله لهم، على الرغم من أنهم في الظاهر كانوا قادرين على ذلك"⁽¹⁸⁴⁾

ويخلص (هف) إلى القول: "لقد ضيق مهندسو الشريعة واللاهوت في الحضارة العربية الإسلامية القدرات العقلية عند الإنسان ورفضوا فكرة الفاعلية العقلية التي يتميز بها جميع بني البشر لصالح الرأي القائل إن على الإنسان أن يسير على نهج السلف وأن يتبع التقليد، وإن الأسلاف لم يتركوا شيئاً للأخلاق. أما الأوربيون القروسطيون فقد وضعوا تصوراً للإنسان والطبيعة كان فيه من العقل والعقلانية ما جعل النظرات الفلسفية واللاهوتية مجالات مدهشة من مجالات البحث التي كانت نتائجها لا هي بالمتوقعة ولا بالتقليدية"⁽¹⁸⁵⁾.

⁽¹⁸⁴⁾ ماكس بيرونتر، ضرورة العلم، المرجع السابق، ص 57.

⁽¹⁸⁵⁾ كان عصر النهضة يتطلب عمالقة فأنجبهم، عمالقة في قوة الفكر "والاندفاع

والطبع" أمثال: كوبرنيكوس 1473-1543، وكبلر 1571-1630، وجاليلو 1564-

1642، وجبلر 1540-1603م، في المغناطيس وريبرت بويل 1627-1691م في

وهكذا ينبغي أن نفهم أن أهمية العلم لا تمكن في جانبه المعرفي فحسب، بل وفيما يفعله من تغيرات جوهرية في حياة الناس الاجتماعية الثقافية ، وليس بمقدور أحد إنكار " أن العلم غير أنماط علاقاتنا ومعارفنا ومواقفنا من سلوك الإنسان وأحل بالتدرج الرؤية والعقل محل القسوة والتحامل والخرافة، وقد نما هذا التغيير نمواً بطيئاً جعله بحاجة إلى أن يعلمه كل جيل للجيل الذي يليه بوصفه قيماً وتقاليداً ثقافية يجب أن تتوارث وتتهذب إنسانياً عبر تعاقب الأجيال ومن دون ذلك تكون أجسام الناس وحدها هي التي تتطلق بالطائرات والصواريخ أما عقولهم فترتد إلى العصور الوسطى. (186)

إن إشارتنا إلى قراءة توني هب وتأويله لمشكلة العلم والتفكير العلمي في الحضارة العربية الإسلامية لا تعني بأي حال من الأحوال أننا نتفق معه، بل تهدف إلى تفعيل النقاش والنظر في ما ذهب إليه الرجل في إطار محاولاتنا المضنية لفهم الأسباب العميقة التي حالت وماتزال دون نمو وتقدم الإبيستمولوجيا

الكيمياء، وليفنهوك 1723-2632م، مكتشف الحيوانات المنوية وإسحاق نيوتن

1642-1727م، مكتشف قانون الجاذبية وقوانين الحركة الديناميكية، لقد عززت

الاكتشافات العلمية من ثقة الإنسان بقدراته يقول الشاعر: "لقد كانت الطبيعية وقوانينها

محبوبة في الليل" فقال الله لنيوتن كن: فتحول كل شي إلى نور" ينظر : قاسم عبد

المحشي، فلسفة التاريخ في الفكر الغربي المعاصر: أرنولد توينبي موضوعا، الهيئة

العامة للكتاب، صنعاء، 2006م ط1، ص 76.

(186) ينظر: ماكس بيرونتز، ضرورة العلم ، المرجع السابق، ص 15.

العلمية في المجتمعات العربية ، إذ رغم وجود أكثر من (300) جامعة عربية اليوم فضلا عن (600) كلية للدراسات الجامعية ومراكز الأبحاث والدراسات التخصصية، إلا أن أثرها في تغيير ثقافة المجتمع وتنميته وتنويره ثقافياً يكاد يكون غائباً، لا سيما في ظل ما تواجهه المؤسسات الأكاديمية من تحديات حاسمة ورهانات عسيرة، إذ لأول مرة أصبح تقييم الجامعات وتصنيفها أكاديمياً على المستوى العالمي من حيث جودة المدخلات والمخرجات والعمليات والبحث العلمي مضماراً للتنافس المحتدم بين الدول والجامعات المصنفة عالمياً والبالغ عددها قرابة (10000) حسب اليونسكو منها (1460) جامعة إسلامية اشتمل عليها (مركز أنقرة) في تركيا، بما فيها بعض مؤسسات التعليم العالي العربية من دول أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي عام 2006م. يختار منها (2000) مؤسسة أكاديمية للمنافسة، وقد أظهرت نتائج قياسات الجودة العالمية للجامعات في السنوات الماضية غياب أسماء الجامعات العربية في مصنف أفضل (500) جامعة عالمية تمكنت من الفوز باختيار معهد التعليم العالي في جامعة (شانغهاي جياوتونغ) المستقل. بينما سجلت إسرائيل (7) جامعات، لم تتمكن الدول العربية مجتمعة من تسجيل الحضور عدا جامعة القاهرة بدرجة (509) لحصول بعض خريجها على جائزة نوبل . وفي تصنيف مختبر القياس الافتراضي التابع للمركز الأعلى للبحث العلمي في اسبانيا لعام 2007م حصلت (15) جامعة عربية على مراتب في تصنيف الحضور العلمي ولكنها مراتب متواضعة.

ونزعم أنه يصعب الحديث عن معايير الجودة والتميز والأداء الأكاديمي والقيم المهنية بمعزل عن المؤثرات السوسيو ثقافية التي تأتي من

خارج أسوار الجامعة⁽¹⁸⁷⁾ فالجامعة بحكم حداثة ميلادها في بيئتنا الثقافية العربية التقليدية ما برحت عرضة لشتى أنواع الاختراقات والانتهاكات من مجالات الحياة الأخرى وقواها الاجتماعية الفاعلة في نسق العلاقات والممارسات والعادات والمعتقدات الاجتماعية المادية والمعنوية بطابعها التقليدي في مجتمعنا العربي الإسلامي الراهن, إذ "إن الالتزام بأنماط معينة للعلاقات الاجتماعية يولد طريقة معينة في النظر إلى العالم, كما أن رؤية العالم بطريقة معينة تبرز نموذجاً منسجماً معها للعلاقات الاجتماعية"⁽¹⁸⁸⁾. فالقوى التقليدية بمؤسساتها الراسخة لم تمهد السبيل المفترض لنمو وتقدم العلم والمؤسسة الأكاديمية الحديثة, بل ما زالت تكبلها وتعيق حرية حركتها بدون وعي أو بوعي أحياناً, وهذه هي سنة الحياة الاجتماعية؛ أنه الصراع الأبدي بين القديم والحديث بين التقليد والتجديد بين المألوف وغير المألوف بين المعروف والمجهول بين الطبع والتطبع, بين العادات التي شكلتنا والعادات التي نريد أن نشكلها, إذ إننا (نشكّل مؤسساتنا ثم نقوم هي بتشكيلنا) حسب تشرشل, والأفراد يأتون ويذهبون , أما المؤسسات فهي وحدها التي قد تدوم دواماً نسبياً إذ ما تم الحفاظ على قيمها

⁽¹⁸⁷⁾ ينظر: جون برينان تارلاشاه, إدارة الجودة في التعليم العالي. منظور دولي

عن التقويم المؤسسي, ترجمة دلال بنت منزل النصير - معهد الإدارة العامة, السعودية الرياض 2007م, ط1, ص 45.

⁽¹⁸⁸⁾ ينظر: ميشيل تومبسون وآخرون, نظرية الثقافة, ترجمة, علي سعيد الصاوي, سلسلة عالم المعرفة الكويتية, عدد 223, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت, يوليو 1997م, ص 31.

وتقاليدها ومعاييرها عبر الممارسات اليومية لمنسبها الذين يحملون هويتها المهنية، فكيف ما كانت مؤسساتنا نكون (189)

الخاتمة:

بحمد الله تعالى وتوفيقه أوشكت هذه الرحلة الفكرية المضنية والممتعة معاً على الانتهاء، وكل ما نرجوه هنا والآن هو أن نكون قد استطعنا إثارة اهتمام الزملاء والزميلات الكرام بشأن مشكلة العلوم الإنسانية وسوسولوجيا العلم المعاصر، التي لا ندعي الإحاطة الشاملة بأبعادها المتشعبة. ونجمل الخلاصة بالآتية:

_ أن نمو وتقدم العلوم الإنسانية يكتسب صيغا ومستويات مختلفة في السياقات الثقافية والاجتماعية المتغيرة، وهذا ما يستدعي معالجة المسألة من منظور سوسولوجيا العلم المقارن.

_ أن حجم ونوعية المشكلات الإنسانية والاجتماعية التي أفرزتها المتغيرات التاريخية والحضارية العالمية المتسارعة اليوم، تستدعي الحاجة الملحة إلى ردم الهوة الشاسعة بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، والنظر إلى المشكلات ومواجهتها وبحثها بصيغة تكاملية ورؤية عقلانية نقدية.

_ أن التعرف على حقيقة وضعنا العلمي المهني والأكاديمي لا يمكن له أن يكون ممكناً بدون معرفة المثل العليا والنماذج المعيارية للمؤسسات المشابهة المعترف بها عالمياً، إذ لا وجود لمعايير محلية أو خاصة لقياس وتقييم جودة العلم ومؤسساته.

(189) ينظر: امحمد صبور، المعرفة والسلطة في المجتمع العربي: الأكاديميون العرب والسلطة، سلسلة أطروحات الدكتوراه 18، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، اكتوبر 2001، ط2.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. السنة النبوية الشريفة
3. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار العودة، بيروت، 1981.
4. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، جز 10، دار صادر، بيروت، 2003 ط5.
5. صن، امارتيا، التنمية الحرة: مؤسسات حرة وإنسان متحرر من الجهل والمرض والفقر، مجلة عالم المعرفة الكويتية، العدد 312 .
6. صبور، امحمد، المعرفة والسلطة في المجتمع العربي: الأكاديميون العرب والسلطة، سلسلة اطروحات الدكتوراه 18، مركز دراسات الوجدة العربية، بيروت، اكتوبر 2001، ط2.
7. جيدنز، انتوني، قواعد جديدة لمنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمد محي الدين المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ط1.
8. ربول، اوليفيه، فلسفة التربية، ترجمة، جيهان نعمان، دار عويدات، بيروت _ باريس، 1986، ط3.

9. أيان كريب ، النظريات الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ،
ترجمة محمد حسين علوم ، مجلة عالم المعرفة الكويتية العدد
244 أبريل 1999 .
10. فيين ، بول ، أزمة المعرفة التاريخية : فوكو و ثورة في
المنهج ترجمة ، إبراهيم فتحي، دار الفكر للدراسات القاهرة،
1993، ط1.
11. بورديو ، بيير ، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني،
مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت ، 2009م ط1 .
12. ماشيري ،بيار ، كونت الفلسفة و العلوم ، ترجمة ، سامي
أدهم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت 1994 ط 1.
13. بورديو، بيير ، بعبارة أخرى: محاولة باتجاه سوسولوجيا
انعكاسية، ترجمة أحمد حسان، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة
، 202، ط1.
14. تريفور بنش ، دور الجماعات العلمية في تنمية العلوم ،
ترجمة محمد أمين سليمان ، مجلة العلم والمجتمع ، اليونسكو
فبراير 1990..
15. كون ،توماس ، بنية الثورات العلمية، ترجمة: حيدر حاج
اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية،
بيروت ، لبنان، 2007م ط1.

16. هف، توني، فجر العلم الحديث ، الإسلام - الصين
الغرب ، ترجمة محمد عصفور مجلة عالم المعرفة الكويتية ،
العدد 260، أغسطس 2000 م .
17. هيمور ، تيدور ، تأملات حول التاريخ والمؤرخين عرض
وتحليل مصطفى العبادي، مجلة عالم الفكر الكويتية المجلد
العشرون.. العدد 1 يونيو 1989.
18. بالانديية ،جورج ، في الطريق إلى القرن الواحد والعشرين
.. التيه، ترجمة، محمد حسن إبراهيم، دمشق وزارة الثقافة ، دراسات
فكرية 6، 2000م ،ط1.
19. فروند ، جوليان ، علم الاجتماع عند ماكس فيبر ، ترجمة
تيسير شيخ الأرض ، وزارة الثقافة دمشق 1976 ،ط1.
20. تارلاشاه ،جون برينان ،إدارة الجودة في التعليم
العالي.منظور دولي عن التقويم المؤسسي،ترجمة دلال بنت منزل
النصير - معهد الإدارة العامة،السعودية الرياض 2007م،ط1.
21. دلوز ، جيل، المعرفة والسلطة، مدخل لقراءة فوكو -
ترجمة، سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1987ط1.
22. بوسينو ، جيوفاني ، نقد المعرفة في علم الاجتماع ،
ترجمة محمد عزب صاصيلا ، المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت ،
1995 ،ط1.

23. هوكس ،ديفيد ، الإيديولوجية، إبراهيم فتحى(مترجم)
(القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2000 ط1.
24. وليامز ، ريموند ، الكلمات المفتاحية : معجم ثقافي
ومجتمعي، ترجمة، نعيان عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع
القومي للترجمة 980، القاهرة، 2005، ط1.
25. هاسكنز ،س.ه.د.نشأة الجامعات في العصور
الوسطى،ترجمة جوزيف نسيم يوسف، الإسكندرية،مؤسسة شباب
الجامعة1984م ط1.
26. عطاس ،سيد فريد ، تعريف الخطابات البديلة وأنواعها ،
مجلة إضافات، العدد التاسع ، الجمعية العربية لعلم الاجتماع،
شباط 2010 ، بيروت.
27. فرانسوا ،شاتلية ، ايديولوجية الحرب والسلام ، المؤسسة
الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 1981.
28. بينيت ،طوني واخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة: معجم
مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة، سعيد الغانمي، المنظمة
العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010 ط1.
29. هيرنز ،غودموند واخرون ،الفجوات المعرفية: تقرير
اليونسكو العالمي للعلوم الاجتماعية لعام 2010، النت، جوجل،
موقع منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة.

30. المحبشي ،قاسم عبد, فلسفة التاريخ في الفكر الغربي المعاصر: أرنولد توينبي موضوعا, الهيئة العامة للكتاب, صنعاء, 2006م ط1.
31. بوير، كارل ، أسطورة الإطار ، تحرير مارك أنوتونو ، ترجمة يماني طريف الخولي ، مجلة المعرفة الكويتية العدد 292 مايو 2001.
32. ماكس بيروتييز ، ضرورة العلم : دراسة في العلم والعلماء، ترجمة وائل أتابسي، سلسلة عالم المعرفة الكويتية 245، مايو 1999.
33. ماهر عبد القادر محمد علي ، فلسفة العلوم ج 2، المشكلات المعرفية ، دأر النهضة العربية بيروت ط1، 1984 .
34. ميشال دويوا، مدخل إلى علم اجتماع العلوم، ترجمة، سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ط1.
35. ميشيل تومبسون وآخرون، نظرية الثقافة، ترجمة، علي سعيد الصاوي، سلسلة عالم المعرفة الكويتية، عدد 223، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو 1997م.
36. نادر العساوي، مبادئ فلسفة الفهم، أسس العلوم الإنسانية عند دالتاي، النت ، جوجل.
37. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، جوجل.

38. يان سبورك، أي مستقبل لعلم الاجتماع؟ في سبيل
البحث عن معنى وفهم العالم الاجتماعي، ترجمة، حسن منصور
الحاج، دار كلمة والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ابو ظبي
بيروت 2009 ط1
39. يمني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول -
الحصاد - الآفاق المستقبلية، مجلة عالم المعرفة الكويتية العدد
264، ديسمبر 2000 م.
40. يمني طريف الخولي، مشكلة العلوم الإنسانية: تقنيها وإمكانية
حلها، دار الثقافة، القاهرة، 1990 ط1.

التخطيط اللغوي وتنمية

اللغة العربية

د. بوجمعة وعلي

التخطيط اللغوي وتنمية اللغة العربية

يعد التخطيط اللغوي من أهم الوسائل التي تعتمد عليها الدول والمؤسسات في بناء سياسات لغوية وتعليمية علمية ووطنية، وتنظيم المجال اللغوي، وتحديد وظائف كل لغة في المجتمعات المتعددة اللغات بما يضمن التكامل بدل الصراع.

فالتخطيط اللغوي يساهم في حماية اللغات الوطنية وتحديد وظائفها وتطويرها من خلال العمل على معالجة مشاكلها الداخلية وتوفيراً لشروط الموضوعية لتنميتها، من خلال ضمان استعمالها في كل الفضاءات العامة وخاصة في مجال التعليم والبحث العلمي. في هذه المقالة سنحاول تعريف التخطيط اللغوي والشروط التاريخية لظهوره وأنواعه ومركزاته وعلاقته بالسياسة اللغوية والتعليمية ودوره في حماية اللغات الوطنية وتنمية اللغة العربية.

Language planning and Arabic language
development

Language planning is one of the most important means adopted by states and institutions in building linguistic, scientific and national policies, organizing the linguistic field and defining the functions of each language in multilingual societies to ensure complementarity rather than conflict

Linguistic planning contributes to the protection and the development of national languages and to the identification of their functions through the treatment of their internal problems and the provision of objective conditions necessary to their development by ensuring their use in all public spaces, especially in the field of education. In this article we will try to define the linguistic planning, the historical conditions of its appearance, its types and its foundations, its relation to language and educational policy, its role in the protection of national languages, and the development of the Arabic language

.

مقدمة

يعد التخطيط اللغوي فرعاً من علوم اللسانيات الاجتماعية، يهتم بدراسة المشكلات التي تواجه اللغة، سواء أكانت ذات طبيعة لغوية محضة، مثل توليد المفردات وتحديثها، ونحت المصطلحات وتوحيدها، أو مشكلات غير لغوية مرتبطة بالاستعمالات الخارجية للغة.

1 - مفهوم التخطيط اللغوي

التخطيط اللغوي هو العلم اللغوي الاجتماعي التطبيقي؛ الذي يقوم على التدخل الواعي والمدروس في اللغة، بناء على خطة ممتدة على المدى المتوسط والبعيد، وذلك من أجل متابعة ومسايرة وتوجيه التغيير الحاصل في اللغة، الاتجاه الملبى لحاجات المتكلم في إطار الشرعية المتمثلة في حق اتخاذ القرار وتطبيقه أو العمل على تطبيقه، بواسطة جهاز حكومي، أو تنفيذي رسمي، أو شبه رسمي أو غيره، أو هو كل تدخل من جهة وطنية أو دولية أو فاعل اجتماعي بهدف تحديد وظائف أو وضع لغة أو عدة لغات متنافسة في تراب، أو فضاء معطى (تخطيط الوضع)، أو إجراء لغة، أو عدة لغات (جعلها أداتية) حتى تؤدي الوظائف الموكلة لها (تخطيط المتن) في إطار سياسة لغوية محددة سلفاً. وهو أيضاً عمل منهجي ينظم مجموعة من الجهود المقصودة والمصممة بصورة منسقة لإحداث تغيير في النظام اللغوي (التصحيح اللغوي)، أو في

الاستعمال اللغوي (وضع لغة مكان لغة) أو لإحداث نظام لغوي وطني أو قومي أو عالمي. وهناك من يراه سيرورة بمثابة ضبط متمركز ومخطط للغة الأكثر أو الأقل وعيا، وهذه السيرورة تتطلب قرارا- من قبل المخططين- بخصوص وجهة التحول اللغوي المرغوب فيها.

فالتخطيط اللغوي تدخل موجه في اللغة بهدف التأثير فيها وفي استعمالها، بحيث يكون هناك اختيار واع ومدروس يدعم ويؤكد التوجه السوسيولساني للعشيرة اللغوية أو يتوق لضبطها، وهو قائم على فكرة متابعة التغييرات التي تطرأ على اللغة الإنسانية من الناحية اللغوية والاجتماعية التطبيقية.

وعليه، فإن التخطيط اللغوي تصور نظري يستوجب جملة من الإجراءات والتدابير العملية الكفيلة بإيجاد الحلول للمشاكل اللغوية، التي تتخبط فيها المجتمعات خاصة المتخلفة منها.

2- التخطيط اللغوي: رصد تاريخي

ظهر مفهوم التخطيط على يد الباحث اللساني الأمريكي النرويجي الأصل إينار هوجن (1906-1994م) (Einar Haugen)) سنة 1959م، حينما قدم تعريفا هو عبارة عن خلاصة للمجهود الذي طوره في النرويج لتحديث وتعزيز اللغة الوطنية. وهناك من يقول بأن هذا المصطلح استقاه هوغن من مقالة للباحث اللساني الأمريكي إرييلوينريش (1926-1967م) (Urielwienriech)،

كتبها سنة 1953م، حيث كان يقصد به آنذاك إيجاد قاعدة إملائية ونحوية ومعجمية لترشيد الاستعمال الكتابي والشفهي للغة داخل مجموعة لغوية غير متجانسة (ثنائية أو متعددة اللغات)، ومن أجل إيجاد حلول لمشاكل لغوية اعتمادا على نموذج من أربعة عناصر:

أ - اختيار المعيار.

ب - تقعيد المعيار.

ج - ترسيخ المعيار ونشره داخل المجموعة اللغوية (الاستعمال).

د - تحديث اللغة وتطويرها وتنميتها.

3- أهمية التخطيط اللغوي

إن اللغة باعتبارها رمزا لوحدة المجتمع وقيمه الثقافية والعقائدية والتعبيرية والجمالية، في حاجة إلى التدخل في شؤونها والعمل على حمايتها وضبطها وتعديلها وتنميتها، وعلاج المشاكل والمعوقات التي تواجهها، لأن في ذلك حفظا لها، وللقيم التي ترمز إليها، وللوحدة التي تقوم على أساسها. فالأمم المتحضرة تبذل جهودا كبيرة وتتفق أموالا طائلة لتنتج سياسات ومشاريع من أجل الحفاظ على لغاتها الوطنية، وحمايتها من الأخطار أو التأثيرات السلبية التي يمكن أن تتحرف بها عن مساراتها الصحيحة أو تضعفها وتشوه ملامحها، وتمنع ظهورها بكيانها المستقل وهويتها المتميزة. ومن بين الأدوات الأساسية التي يمكن الحفاظ بها على اللغة

وتطويرها وتميمتها وتنظيم استعمالها نجد التخطيط اللغوي الذي يحدد الوسائل والآليات والتدابير التي من خلالها يتم تحقيق الأهداف المرجوة من السياسة اللغوية لكل بلد. فالتخطيط اللغوي يتضمن الإجراءات الضرورية والعملية التي تجعل وضع اللغة/اللغات موافقا لما هو مطلوب أو مرغوب من السياسات اللغوية. فهو يسمح بالتعامل الموضوعي مع كل المستجدات اللغوية، كما يحيل إلى البحث والدراسة العلمية القضايا والمواضيع التالية:

- نتائج التجارب اللغوية السابقة.
- سن اكتساب اللغة الثانية، وعلاقته بالوضعية الاجتماعية وبالسياسات اللغوية.
- ربط الوضع اللغوي بالواقع الاجتماعي والتوجهات السياسية.
- تجديد الدرس اللغوي الخاص باللغات الوطنية واللغات الأجنبية.
- دور اللغات الوطنية في التفاهم والتلاؤم الوطني.
- ترسيم ودسترة اللغات الوطنية في إطار الحفاظ عليها وحمايتها.
- تطوير وتنمية اللغات الوطنية لاستيعاب العلوم والمعارف والتكنولوجيا الحديثة.
- تكوين الأطر اللغوية ذات الكفاءة العالية.
- الحفاظ على اللغات الوطنية في إطارها التاريخي والاجتماعي والعلمي.

فالتخطيط اللغوي يتطلب، أولاً، تحديد اللغة/اللغات المراد التدخل فيها على سبيل الأولوية، وتلك التي يمكن أن تخضع لتدخلات بسيطة، وتلك التي لن تخضع لأي تدخل، إما لأنها ليست في حاجة إلى ذلك، بحكم وضعيتها المريحة والقوية، وإما لأنه لا توجد ضرورة لإعطاء وضع خاص لهذه اللغات، فيكون من الأفضل ترك تلك اللغات إلى مصيرها تفعل فيها قوى الطبيعة والإنسان ما تشاء. وقد يقود التخطيط اللغوي إلى وضع المساواة بين اللغات في تراب معين أو إلى سلمية هرمية وفقاً لمعايير مختلفة. كما أنه يسهم في فهم واستيعاب وعلاج العديد من القضايا والإشكالات التي ساد الاعتقاد قبل ذلك بأنها محسومة أو أن الخوض فيها من باب ترديد مقولات غير مجدية وغير مفيدة للغة والمتكلم بها، من قبيل: اللغة المعيارية، اللغات العامية، لغة التدريس والعلوم والفنون، الترجمة ووسائل الإعلام وعلاقتها باللغة إلخ.

4 - أنواع التخطيط اللغوي

يؤكد اللغويون أن التخطيط اللغوي له طبيعة مزدوجة تتعلق بالمظهرين اللساني والاجتماعي:

أ - تخطيط المتن: ويحيل على كل الأعمال الهادفة إلى تعديل طبيعة اللغة في حد ذاتها، أو وصف دقيق للغة من حيث المعجم

والتركيب والصوارة ومعيرتها، بتوفير نظام الكتابة للغة/اللغات المتداولة شفاهيا فقط أو توحيد الاصطلاح وتبسيط اللغة.

ب - تخطيط الوضع: ويهتم بما إذا كان الوضع الاجتماعي ينبغي أن يكون متدنيا أو عالميا.

5 - مرتكزات التخطيط اللغوي

ينطلق التخطيط اللغوي العلمي من التشخيص الدقيق والشامل لواقع اللغة، من حيث أنظمتها، ووظائفها الداخلية والخارجية، والبيئات والسياقات المختلفة التي تحيا فيها، وتقييم السياسات اللغوية المتبعة، حتى يتسنى قياس الفرق بين الوضع القائم والوضع المرتقب، ورسم خطط عمل التدخل الكفيلة بتجاوز المشكلات التي تعترضها.

فالتخطيط اللغوي يقوم على جملة من المبادئ والمرتكزات الأساسية نذكر منها:

- تخطيط المتن وتخطيط الوضع.
- ثنائية الشخصية والبيئة.
- الأمان اللغوي/ الأمن اللغوي.
- الهيمنة اللغوية.
- الثنائية والازدواجية اللغوية وتدبيرهما.
- اللغة المشتركة واللغة الخالصة.
- السياسة اللغوية العفوية والسياسة اللغوية المخبرية.
- المنظور السياسي والثقافي للغة.

- التوحيد اللغوي.
 - التقعيد والمعييرة.
 - نقاوة وسلامة اللغة.
 - جودة اللغة.
 - حرب اللغات.
- كما يرتكز التخطيط اللغوي أيضا على:
- إصدار القوانين التي تحمي اللغة/اللغات الوطنية وتحافظ عليها وتتميها.
 - التوعية اللغوية بمختلف الأساليب والأدوات.
 - إصدار قرارات وقوانين ومراسيم تقضي باستعمال اللغة/اللغات المرغوب فيها في مؤسسات الدولة ومرافقها، ومحاسبة المخالفين لها.
 - إصدار قرارات وقوانين تمنع استعمال العاميات واللغات الأجنبية في الإعلانات التجارية واللوحات الإشهارية ومعاقبة المخالفين لها.
 - إصدار قوانين تحمي حقوق المترجمين وتشجيع الترجمة وتدعمها.
 - دعم حرفة التأليف والنشر باللغة المرغوب فيها (جوائز/ نشر/ تسويق...).
 - الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية، لأن إتقان اللغات الأجنبية يخدم اللغات الوطنية ويغنيها عن طريق الترجمة.

6 - التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية

يهتم التخطيط اللغوي بجرد حقائق ووقائع المجتمع، من أجل وضع استراتيجية واضحة للسياسة اللغوية من منطلق الوعي المبني على تصور قيمة لغة/لغات المجتمع، وهذا يتطلب وضع أطلس لغوي شامل يحدد التداول اللغوي على الساحة الوطنية وفي جميع الجهات والمناطق.

إن التخطيط اللغوي يسمح بتدبير معقلن للسياسة اللغوية، إذ يقوم على إعطاء أهمية قصوى لتداول اللغات الوطنية انطلاقا من حقيقة علمية، مفادها أن أي نوع من التنمية لأي بلد يصعب تحقيقها ما لم ترتبط بلغة متكلميها. وهذه المقولة أصبحت تفكيرا مشتركا بين علماء اللغة وعلماء الاقتصاد وخبراء التنمية، مما يفرض على كل دولة من الدول أن تضع لها تخطيطا لغويا ضمن خططها التنموية، لأن هناك تأثيرا متزايدا بين التنمية اللغوية، التي يتوخاها التخطيط اللغوي، وبين التنمية البشرية الشاملة، التي تتوخاها الشعوب والأمم، وتعمل حكومات الدول على تحقيقها.

فالسياسة اللغوية في كل دول العالم المتحضر تدخل في دقائق الخطط التنموية الشاملة، كما أنها تركز على التعليم وضرورة تغطية كل مراحلها، وتعليم المواد الدراسية باللغة الوطنية، لأنها أساس وسر تقدم وتطور الأمم. فاللغة الإنجليزية مثلا، وعلى الرغم من تطور أهلها علميا وثقافيا، لم ينتظم سيرها ويتسع مدى انتشارها

وتنفذ وتغلغل في كل العالم بهذا الشكل الذي نراه، لولا الجهود الكبيرة التي بذلت في التخطيط لها، ورسم السياسات التي تعمل على تطويرها ورعايتها ونشرها في مختلف المجالات والأمصار وتعليمها وتعلمها، باعتبارها أداة فعالة للإبداع والتطور والبناء الفكري والاقتصادي والسياسي، ووسيلة للهيمنة وبسط النفوذ على الشعوب الأخرى. لذلك، يتم دعمها بالدراسات والأبحاث التي تسهم في تمهيتها وإغناء ممتها وتبسيط قواعدها وتسهيل طرق تعلمها وتدريبها كلغة وطنية أولاً وكلغة أجنبية ثانياً، حتى وصلت إلى العالمية.

فالدول والمجتمعات الغربية تدرك تماماً أهمية وضرورة التخطيط لأي مشروع اجتماعي أو اقتصادي أو ثقافي أو سياسي أو تربيوي متطور وناجح، وضرورة اقترانه بتخطيط لغوي علمي ومنهجي متكامل ومتوازن، لأن اللغة متداخلة ومرتبطة أشد الارتباط بكل هذه المجالات.

7 - التخطيط اللغوي وتنمية اللغة العربية

إن اللغات مثل الأسر والمدن، تحتاج إلى تخطيط. والتخطيط اللغوي ضروري وأساسي لكل دولة عصرية، لا يمكن أن تشتغل بدونه. فالتشريعات تحدد (أحياناً بالتفصيل) أين؟ وكيف؟ يتم استعمال لغة أو لغات ما. وهذه ممارسة كونية تترتب عنها نتائج كبيرة في التربية والتعليم والإعلام على وجه الخصوص.

فالخطوة الأساسية في أي تخطيط لغوي علمي يستهدف النهوض باللغة العربية يبدأ من التشخيص الموضوعي الدقيق والشامل لواقع هذه اللغة، في أنظمتها ووظائفها الداخلية، وتشخيص واقعها والسياقات التي تعيش فيها، وتقييم السياسات المتبعة في شأنها حتى يتسنى قياس الفرق بين الوضع القائم والوضع المأمول، ورسم خطط التي تسعى إلى النهوض بها وجعلها لغة حية ومتطورة وجذابة وذات حضور عالمي. ولن يكون ذلك ممكناً إلا من خلال العمل على معالجة المشكلات والمعوقات التي تعترض مسيرة هذه اللغة، ومن أهم ما يصبو إليه التخطيط اللغوي على مستوى اللغة العربية ما يلي:

- ترقية اللغة من العناصر الدخيلة، التي تؤدي إلى قصور وظائفها أو تراجع مكانتها أو الخروج عن مسارها السليم.
- تقييدها في مجالات الاستعمال الرسمي الإعلامي والتعليمي والإداري والاقتصادي.
- توسيع مجالات الدعم السياسي لها قولاً وفعلاً، بما يوفر رعايتها وتطويرها وحمايتها وتنفيذ القرارات المتعلقة بها.
- تطوير وتحديث مناهجها وطرق تدريسها.
- تبسيط قواعدها نحوها وصرفها بالقدر الذي ييسر تعلمها وتعليمها.
- تطوير متنها وإغناء رصيدها من المصطلحات الحديثة.

- تهيئة وتيسير السبل والوسائل لتنمية رصيد أفراد المجتمع من مفرداتها وصيغها.

وقد أدخل العرب الأوائل إلى لغتهم العربية الآلاف من المصطلحات الأجنبية، أثروها بها، وسعوا نطاقها ونطاق استيعابها لمستجدات ومتطلبات العصر، دون أن يكونوا مضطرين إلى استيراد لغة غيرهم.

وإذا كان التخطيط اللغوي في كل الدول المتقدمة من ثوابت السياسات العمومية والسياسة اللغوية بالأساس، لما يقدمه للغة من حماية وتطوير وتنمية، فإن غيابها، كما في الدول العربية ومن بينها المغرب، يؤدي إلى التخبط والعشوائية المؤدبين إلى ازدواجية لغوية مشوهة وغير قائمة على أسس واقعية أو علمية اجتماعيا واقتصاديا وحضاريا، وإلى ثنائية غير متكافئة تكون فيها الهيمنة للغات الأجنبية، حيث نلاحظ في المغرب مثلا استيلاء اللغة الفرنسية على كل الوظائف الأساسية للغة اقتصاديا وإعلاميا وتعليميا وإداريا. بل إنها تحتل جميع العقليات والذهنيات والفضاءات ومرافق الدولة، حتى أنها أصبحت معيارا للشغل، ومقياسا للكفاءة الإدارية، ووسيلة للتقدم الاجتماعي، تتاط بالمتكلمين بها -على بساطة تكوينهم العلمي والمعرفي- مهام التسيير والتدبير، في حين تم إرغام اللغة / اللغات الوطنية وخاصة اللغة العربية على التوارى إلى الخلف لتبرير تهميشها وتكريس الادعاء الاستعماري القائل بأنها غير

صالحة للعلم والتقدم، وغير مواكبة لعلوم العصر وحضارته، رغم أنها تمتلك تراثا حضاريا علميا وثقافيا كبيرا يشهد لها العالم به، صنعته أمة هي خليط من العرب والفرس والأمازيغ والأكراد في بيئة إسلامية.

خاتمة

إن التخطيط اللغوي جزء من التخطيط العام؛ الذي تقوم به الدول المتقدمة أو الساعية إلى التقدم والتنمية في مختلف المجالات، تكمن ضرورته في تنظيم الحق اللغوي داخل المجتمعات التي تتميز بالتعدد اللغوي من جهة، وفي حماية وتطوير وتنمية اللغات الوطنية الرسمية من جهة أخرى، بما يضمن استعمالها والتعامل بها في مختلف المؤسسات والفضاءات وخاصة في مجال التعليم والبحث العلمي. كما أن التنزيل والتطبيق الصحيح لهذا التخطيط، يساهم بشكل فعال ومؤكد في المشروع التنموي للدول، وتجارب بعض الدول ككوريا وتركيا وإيران وإسرائيل وسنغافورة وماليزيا وفنلندا واليونان خير مثال.

المصادر والمراجع المعتمدة:

1- فاسولد، رالف، (2000)، علم اللغة الاجتماعي والمجتمع، ترجمة إبراهيم بن صالح الفلاي، الرياض، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع.

- 2- الفاسي الفهري، عبد القادر، (2013)، السياسة اللغوية في البلاد العربية، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- 3- فلوريان، كولماس، (2009)، دليل السوسيولسانيات، ترجمة خالد الأشهب وماجدولين النبيهي، مراجعة ميشال، زكرياء، الطبعة الأولى، بيروت، منشورات المنظمة العربية للترجمة.
- 4- اللغة العربية في الخطاب التشريعي والإداري والإعلامي، (2011)، ندوة أكاديمية المملكة المغربية، الرباط 21/20 أكتوبر 2010، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة ندوات، مطبعة المعارف الجديدة.
- 5- اللغة العربية والتنمية البشرية: الواقع والرهانات، (2011)، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، وجدة، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- 6- المعتوق، أحمد محمد، (2005)، نظرية اللغة الثالثة، دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، منشورات المركز الثقافي العربي.
- 7- الموسى، نهاد، (2005)، اللغة العربية في مرآة الآخر: مثل من صورة العربية في اللسانيات الأمريكية، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 8- مجلة آفاق، (2006)، العدد 70-71، اتحاد كتاب المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب.

9- مجلة اللسان العربي، (2010)، العدد 66، مكتب تنسيق
التعريب، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مطبعة ومكتبة
الأمنية، المغرب

أثر التدريس وفقاً لأنموذج تحفيز التفكير الذهني في التحصيل الدراسي لدى طلبة قسم الفيزياء - كلية التربية

م.د. ايثار عبد المحسن قاسم

استاذة مناهج وطرائق تدريس الفيزياء

ملخص البحث :

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على (أثر التدريس وفقاً لأنموذج تحفيز التفكير الذهني في التحصيل الدراسي لدى طلبة قسم الفيزياء - كلية التربية). وللتحقق من اهداف البحث تمت صياغة الفرضية الصفرية الآتية:

لا توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0,05)) بين متوسط درجات الطلبة في المجموعة التجريبية الذين درسوا المادة الدراسية على وفق انموذج تحفيز التفكير الذهني ومتوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا المادة الدراسية على وفق الطريقة الاعتيادية في التحصيل العلمي. استعملت الباحثة التصميم

التجريبي ذي الضبط الجزئي للمجموعتين التجريبية والضابطة وتحدد مجتمع البحث بطلبة المرحلة الثانية في قسم الفيزياء- كلية التربية - الدراسة الصباحية للعام الدراسي (2014-2015) والبالغ عددهم (102) طالب وطالبة موزعين على ثلاث شعب وتم اختيار شعبتين بالطريقة العشوائية شعبة (أ) تمثل المجموعة التجريبية وشعبة (ب) تمثل المجموعة الضابطة وكان عددهم في كل مجموعة (32) طالباً وطالبةً , كوفئت المجموعتين في متغيرات (العمر الزمني , الذكاء), واعدت الباحثة مستلزمات البحث اللازمة والمتمثلة بالمادة العلمية و الاهداف السلوكية والخطط التدريسية , وفي ما يتعلق بأداتي البحث فقد اعدت الباحثة أداتي البحث , الأولى الاختبار التحصيلي والذي تألف من (25) فقرة

طبقت التجربة في بداية الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي (2014-2015) اذ استغرقت التجربة فصلاً دراسياً كاملاً.

درست المجموعة التجريبية على وفق أنموذج تحفيز التفكير الذهني والمجموعة الضابطة على وفق الطريقة الاعتيادية وبعدها تم تطبيق الاختبار التحصيلي الدراسي ومن ثم معالجة البيانات احصائياً باستعمال الحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS وتم التوصل الى النتائج الاتية منها :-

1- تفوق طلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا على وفق انموذج (أنموذج تحفيز التفكير الذهني) على طلبة المجموعة الضابطة

الذين درسوا على وفق الطريقة الاعتيادية في التحصيل في مادة البصريات .
وفي ضوء نتائج البحث قامت الباحثة بتقديم عددٍ من التوصيات والمقترحات.

Abstract

The aims of the present study to investigating the impact of the model of stimulating mental thinking in the collection and optical intelligence for the students of the first second stage –Physics department – Education college –Qadisiyah University. Hypotheses by testing the validity of the following

There are no statistically significant –1 difference at the 0,05 level between the average score of students in the experimental group which have been studied the subject according to the model of stimulating mental thinking the average score of the control group students which have been studied the subject according to ordinary

method in the collection and optical intelligence

By using the experimental design of partial adjustment of the experiment and control group of researchers and to identify the research sample students of the second morning study in physics department for the year (2014–2015) , totaling (102) male and female distoubution with three divetion and chosen two classes for Ran dam method , division (A) re presented the experimental group and division (B) represented the control group and the number in the group (32) male and female

The two groups were rewarded in the age and

intelligence variable

The researcher prepare the necessary requirement research such as article scientific , behavioral objectives and plans of teaching . in the beging

built the first two tools search a achievement test which consist of (25) item and the second tools the experience applied at beging of the second , semester in the year (2014–2015) since full semester . They have been studied experimental group according to the model of stimulating mental thinking model

The control group according to ordinary method after the a achievement test and the optical intelligence scale and achievement test then prossesing the statistical data by statistical bage for social science (spss) , we obtaind the results as follow

superiority of the study experimental group –1 which studied in the model of stimulating mental thinking model on the control group student in . achievement ordinary method

superiority the experimental group students on –2 the students of the control group in both the optical intelligence and collection in optics subject

According to the result provide some
.recommend Daltons

مشكلة البحث

Problem of Research :

من الاسباب التي دعت الى هذه الدراسة هو عدم قدرة المؤسسات التعليمية على تحقيق اهم اهدافها وهو اعداد الطالب المتعلم المفكر لمواجهة التطور السريع الحاصل في مجال المعرفة العلمية في الحياة المعاصرة إذ يرى الباحثون أن السبب في عدم تحقيق هذا الهدف يعود الى أن العملية التعليمية تعاني من مشكلات عدة ومن أبرز هذه المشكلات التذني في مستوى التحصيل الدراسي للطلبة والذي يعود الى عدم اعتماد النماذج الحديثة التي تثير تفكير المتعلمين بما يتلاءم مع المواد الدراسية الفيزيائية وكذلك بدورها تؤدي بالطلبة الى مستويات عليا في التفكير .

و التعليم الجامعي أحد المؤسسات التعليمية التي تأخذ على عاتقها مسؤولية تدريب الطلبة على أساليب التفكير العلمي بوصفه المؤسسة الرائدة في التطوير والتحديث من خلال تخريج كفاءات علمية يعتمد عليها في الميادين كافة .

ومن خبرة الباحثة في مجال التدريس في قسم الفيزياء لاحظت أن هناك تدنياً في التحصيل على الرغم من الجهود الحثيثة التي يبذلها التدريسيون في القسم مما دفع الباحثين الى توجيه سؤال الى التدريسيين في القسم عن مستوى التحصيل في المواد الدراسية الاخرى وكان جواب التدريسيين نعم هناك تدني في تحصيل الطلبة. ويرى الباحثون أن السبب في هذا التدني هو عدم اعتماد نماذج تدريسية حديثة تراعي الفروق الفردية بين الطلبة وتحثهم على التفكير وتعلمهم مهاراته , فما يزال واقع العملية التربوية تقليدياً بالمقارنة مع ما تؤكد عليه المستجدات والاتجاهات الحديثة المعاصرة التي ظهرت على الجوانب المختلفة للتدريس في السنوات الأخيرة إذ تسعى أساليب التدريس التقليدية إلى وضع الطالب في قالب معين ذي نسق محدد مغلق من دون اتاحة الفرصة له بالتفكير وطرح أفكاره بحرية , على الرغم من أن الكتاب المنهجي يتضمن كثير من الصور والأشكال والرموز والمخططات الا ان الطلبة لا يعتمدون عليها في دراستهم وفهمهم للموضوعات الفيزيائية مما تؤكد للباحثين ان هنالك ضعف في ذكائهم البصري كونهم لا يستندون عليها في تفسير اي غموض يحتاج الى توضيح وقد أشارت نتائج العديد من الدراسات والبحوث التربوية في مجال تدريس الفيزياء التي اطلع عليها الباحثون الى أن هناك تدنيا في

مستوى تحصيل الطلبة كدراسة (الموسوي , 2008) و دراسة (الموسوي , 2008) و دراسة (الفتلي , 2012).
وانطلاقاً مما تقدم تأتي مشكلة البحث الحالي على الصعيد الأكاديمي محاولة جادة وعلمية للتعرف على اثر أنموذج (أنموذج تحفيز التفكير الذهني) في التحصيل الدراسي لدى طلبة الجامعة على حد علم الباحثين وذلك من خلال التساؤلات التي سيثيرها البحث من اجل الاستفادة منها في المجالات التربوية والاجتماعية والنفسية ولعدم وجود دراسات سابقة درست اثر هذا الانموذج لدى طلبة الجامعة على حد علم الباحثين، يمكن صياغة مشكلة البحث بالأسئلة الآتية:

1- ما اثر أنموذج (أنموذج تحفيز التفكير الذهني) في التحصيل الدراسي لدى طلبة قسم الفيزياء؟

ثانياً: أهمية البحث Research importance

إن تطور التعليم الجامعي في المجتمع ليست قضية كم بقدر ما هي قضية جوهر ونوع مما يعني أن التعليم الجامعي لا يعني مجرد جمع معلومات، وإنما يستلزم التعامل مع المعلومات تعاملًا منتجاً خصباً عن طريق جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها و معالجتها وتركيبها وتفسيرها ، وتجدر الإشارة إلى أن تطوير التعليم الجامعي أصبح ضرورة ملحة خاصة في ظل ما فرضه الواقع المعاصر ().

والعلوم الفيزيائية علم طبيعي معني بدراسة القوانين العامة للمادة والطاقة بأشكالها المختلفة وبدراسة جميع التفاعلات الموجودة في الطبيعة. فهو يعالج الحركة والزمن والتأثير ببعضها البعض ، ويعالج الصوت والضوء والذرات والنجوم والكواكب ، وتحولات المادة والطاقة وغير ذلك من الظواهر الفيزيائية. وهو بذلك يعطينا فهما للكون الذي نعيش فيه ، ذلك الفهم الذي يحول الأحداث و الظواهر المختلفة التي نرصدها إلى أفكار و مبادئ لها انتظامات معينة و مميزة وتلك هي المفاهيم الفيزيائية ، التي تتابع وتترابط مع بعضها وتحمل من المعاني ما لا تحمله الحقائق المنفردة().

وتتضح أهمية المواد الدراسية الفيزيائية في تنمية التفكير وان دراستها تعيننا على الفهم والتفكير وتشكلهما حيث أن علم الفيزياء مجال خصبٌ لذلك فمن خلال توافر الأنشطة العلمية والتطبيقية العديدة تسهم في تنمية العمليات العقلية العليا ومهارات التفكير المختلفة ولكن إذا بذل الجهد المقصود والمخطط إنشاءً للدرس ().

ويرى الباحثون من الضروري الاهتمام بتدريس هذه المادة العلمية ومساعدة الطلبة على فهم طبيعتها، و يجب على المدرس أن يمتلك أساليب وطرائق تدريسية حديثة تمكنه من إيصال المادة العلمية إلى أذهان طلبته بكفاءة محققاً الأهداف التربوية بأقل جهد ووقت ممكن.

إنَّ التفجر المعرفي الهائل يفرض على المربين التعامل مع التربية والتعليم كعملية لا يحدها زمان أو مكان، وتستمر مع الإنسان كحاجة وضرورة لتسهيل توافقه مع المستجدات في بيئته، بحيث تكون مبادئ " تعليم الطالب كيف يتعلم " و " تعليم الطالب كيف يفكر " ذات أهمية خاصة لأنها تحمل مدلولات مستقبلية في غاية الأهمية ().

وقام عدد من الباحثين بوضع كثير من النماذج التدريسية، معتمدين في عملهم على مصادر متنوعة ، من المبادئ والتعميمات والآراء النظرية أو نتيجة الخبرات التجريبية والعملية في التعليم، وان أنموذج التدريس ، هو خطة يمكن اعتمادها في توجيه عملية التدريس في غرفة الصف، وتشمل التخطيط والتصميم للمواد التعليمية والإجراءات التي يمارسها المدرس في تقديم المادة الدراسية وأساليب معالجتها وتقويمها ().

ولكل أنموذج مجموعة من المبادئ والخطوات ، تراعي القدرات العقلية للمتعلمين وتنمية مهارات التفكير، فهي تتعامل مع ذلك المتعلم بوصفه العالم الذي ينبغي الأخذ بيده ليكون عالم الغد ().
وتكمن أهمية هذا النموذج بأنه يجمع بين أساليب التدريس الحديثة المختلفة مثل حل المشكلات ، والتقصي ، و الاستكشاف ، والانشطة العلمية ، مما يجعل الطالب محور العملية التعليمية التعلمية مما يساعد في تعديل سلوك الطالب لتوجهه نحو التفكير

العلمي و يعد عملية عقلية معرفية واعية تتمثل في ايجاد العلاقات والروابط بين الظواهر او الاشياء او الاحداث المخزونة في مخزون الفرد المعرفي , ونشاط ذهني غير مباشر نستدل عليه من اثاره كحله مشكلة معتمدا على ما تم الاحتفاظ به من خبرات ومعارف وما خزنه في ذهنه منطلقا من الخبرات الحسية التي تخضع لإدراكاته , ومن ثم يتطور من خبرات متدنية التجريد الى خبرات اكثر تجريدا ونمو العقليات المعرفية وهي المقارنة والتصنيف والتنظيم والتجريد والتعميم والتحليل والتركيب والاستدلال والاستنباط والاستقراء. ودرس ادي (Adey,1999) اثر هذا النموذج على التطور الذهني للطلبة والتحصيل الاكاديمي في العلوم ().

وقد اكدت دراسات عديدة على الاثر الايجابي لتطبيق انموذج (انموذج تحفيز التفكير الذهني) في تحصيل الطلبة , وقد تقصى شايير (Shayer , 1997) تأثير هذا النموذج من خلال تدريس العلوم في تحصيل الطلبة على المدى البعيد .

وكذلك تكمن اهمية البحث في أنها محاولة لتقصي جانبٍ من العمليات العقلية وهو التفكير متمثلاً بالأسلوب الذي يستعمله الفرد عندما يمارس هذه العملية العقلية خصوصاً اذا ما علمنا أن اساليب التفكير هي التي تتحكم في قدرات الانسان وتتحكم في الفعالية الادراكية اليومية سواء كان هذا داخل المؤسسة التعليمية او خارجها

من خلال بحث العلاقة بين اساليب مدخل النشاط ومستوى الطموح الاكاديمي.

ومن خلال ما تقدم تبرز اهمية البحث في النقاط الاتية :-

1- كون الفئة المستهدفة هم طلبة الجامعة لما لهم من اهمية كبيرة فبهم يتجدد مستقبل الامة في مختلف المجالات.

2- الاسهام في تحقيق اضافة نظرية حول نماذج التفكير الحديثة.

3- الاسهام في تقديم تصور تطبيقي عن البرامج الواجب اتباعها في رفع مستوى التحصيل المعرفي والذكاء البصري لدى طلبة الجامعة.

4- يأتي البحث استجابة للاتجاهات العالمية التي تنادي بضرورة الاهتمام باستعمال الاستراتيجيات والنماذج التدريسية الحديثة التي يمكن ان تثير تفكير الطلبة كأحد المخرجات المهمة والضرورية التي يجب الاهتمام بها اثناء التعلم .

5- إذا ما ثبتت فاعلية هذا الأنموذج فإن الباحثين يتوقعون أن يساعد ذلك في تعود الطلاب على التفكير بشكل علمي منظم وبالتالي يتحقق فهمهم للمواد الدراسية الفيزيائية .

المحور الاول : أنموذج (أنموذج تحفيز التفكير الذهني)

من النظريات التي يستند عليها هذا النموذج هي نظرية البنائية المعرفية لـ (بياجيه) و البنائية الاجتماعية لـ (فيجوتسكي) اذ تركز هذه النظرية على ان التعلم عملية بنائية نشطة ومستمرة ,

وغرضية التوجه , وأن عملية التعلم تتضمن إعادة بناء الفرد لمعرفته من خلال عملية تفاوض اجتماعي مع الآخرين , وتتهياً للمتعلم افضل الظروف عندما يواجه بمشكلة او مهمة حقيقية ().

صمم هذا النموذج أنموذج تحفيز التفكير الذهني من اجل تسريع وتعجيل مستويات التفكير لدى الطلبة الى مستوى اعلى حتى يمكنهم تحقيق اهداف المنهج بشكل افضل وفي مدرسة (هيرتفورد الثانوية) (Hertfordshire Secondary School) وجد المعلمون والطلبة ان انموذج (أنموذج تحفيز التفكير الذهني) مختلف تماماً عن اساليبهم العادية في التعليم والتعلم , ولهذا النموذج فائدة للطلبة لتنمية ما وراء التفكير لديهم , ويتحدى قدراتهم التفكيرية , مما يؤدي الى تجاوز مستواهم الحالي من التفكير , وذلك من خلال دراساتهم بخطوات هذا النموذج ().

خطوات انموذج (Adey & Shayer)

يتكون هذا الانموذج من ثلاث مراحل هي :

اولا : مرحلة ما قبل النشاط وتشمل :

1-مرحلة الاعداد : (مرحلة المناقشات الصفية) Concrete

Preparation Stage

أ-وفيها يقوم المعلم بطرح مشكلة على الطلاب وتدور المناقشات

على ثلاث مراحل هي :

(قبل التجربة وفي اثناء التجريب و بعد انتهاء التجريب) .

ب- يحاول المعلم تقسيم الطلاب الى عدة مجموعات حتى تكون المناقشة مثمرة .

ج- يكون المعلم اكثر من مجرد مصدر للمعلومات او الإدارة واكثر من مسهل وميسر لعملية التعلم بل يكون موجهاً للأنشطة والمناقشات التي تؤدي دوراً هاماً في تنمية التفكير

د- يطرح المعلم كثيراً من الاسئلة الفردية والجماعية على الطلاب وذلك لإيجاد لغة تفاهم مشتركة بينه وبين الطلبة .

هـ- يعطي المعلم الفرصة للطلاب للتعبير عن العلاقات التي توصلوا اليها او استعملوها او الاجراءات التي نفذوها .

و- يربط المعلم بين الخبرات التي اكتسبها الطلاب في الحصة مع خبرات الحياة اليومية() .

ثانيا : مرحلة اثناء النشاط وتشمل :

2-مرحلة الصراع او التضارب المعرفي : Cognitive Conflict

Stage

ان استراتيجية الصراع المعرفي عبارة عن تناقض بين تصورين لمفهوم واحد , احدهما سابق في بنيته المعرفية والاخر جديد يمثل التصور العلمي السليم ويتم حل هذا التناقض عندما يدرك الطالب خطأ التصور الموجود لديه.

وهذه المرحلة تشمل :

أ-يتعرض الطلبة من خلال النشاط الى مشاهدات تكون بمثابة مفاجأة لهم لأنها لا تتفق مع توقعاتهم او مع خبراتهم السابقة او مع خبرات مباشرة تعرضوا لها في بداية النشاط .

ب-يتولد نتيجة لهذه المفاجأة حالة من الاندهاش تدعو الطالب لإعادة النظر في بنيته المعرفية وطريقة تفكيره لكي يتكيف مع الادلة التجريبية الجديدة .

ج-يمكن ان يحدث النمو في مهارات التفكير ويحدث التعلم الجديد من ملاحظة التدرج المعرفي

د-تتكون لدى الطالب حالة من الاندهاش تدفعه الى تنفيذ النشاط بحماس و دافعية لحل اشكالية التضارب المعرفي الذي يواجهه .

هـ - يستعمل المعلم أنشطة صعبة ومحيرة للطالب حتى يصل الى اقصى ما يستطيع من التفكير بل ويتعداه حتى يستطيع الوصول الى حالة التوازن () .

3-مرحلة التفكير في التفكير : Metacognitive Stage

أ-تهدف هذه المرحلة الى ايجاد مرحلة من الوعي عند الطالب تجعله يدرك معنى ما يقول وما يعمل وتجعله يدرك لماذا يعمل بهذه الطريقة ولماذا يفكر بها .

ب-يفكر الطلاب في الاسباب التي دعت الى التفكير في المشكلة من خلال الاسئلة التي يوجهها المعلم لهم مثل كيف فعلت ذلك ؟

او لماذا فعلته؟ او هل يمكن ان توضح لماذا فكرت في ذلك؟

او لماذا فكرت في هذا الحل؟

ج- يحدث ادراك للطالب و وعي لنوع التفكير الذي استخدمه في

حل المشكلة وهذا يؤدي الى اسراع نمو مهارات التفكير لديه.

ثالثاً: مرحلة ما بعد النشاط وتشمل :

4-مرحلة التجسير Bridging Stage

أ-تستهدف هذه المرحلة ربط الخبرات التي حصل عليها الطالب من

النشاط الذي قام به مع خبراته في الحياة العملية وفي المواد الاخرى

.

ب-إن بناء الجسور الفكرية بين الانشطة والحياة العملية امر

ضروري لإخراج الخبرات التعليمية من الاطار النظري الى ميدان

التطبيقات في الحياة العملية .

ج-ان ربط الخبرات الجديدة بالمواد الدراسية الاخرى يساعد في نقل

خبرات التعليم الى مجالات الدراسة المتنوعة ويساعد كذلك في

تكوين صورة متكاملة للمعرفة ().

ثالثاً : هدفا البحث Objectives of the Research

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على :

1. اثر أنموذج (أنموذج تحفيز التفكير الذهني) في التحصيل

لدى طلبة قسم الفيزياء - كلية التربية - جامعة القادسية .

رابعاً: فرضيات البحث **Research assumes**

للإجابة عن أسئلة البحث تم تحويلهما إلى الفرضيتين الصفريتين الآتيتين:

1- لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05 = α) بين متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية الذين يدرسون المادة الدراسية على وفق أنموذج (أنموذج تحفيز التفكير الذهني) وبين متوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية (المجموعة الضابطة) في الاختبار التحصيلي.

رابعاً: حدود البحث **Search limits**

يقتصر البحث الحالي على:

- 1- طلبة قسم الفيزياء المرحلة الثانية في الدراسة الصباحية للعام الدراسي (2014-2015) في جامعة القادسية .
- 2- كتاب البصريات المقرر تدريسه لطلبة المرحلة الثانية في قسم الفيزياء في الفصل الدراسي الثاني .

سادساً : تعريف المصطلحات **The terms of Definition**

1- الأنموذج (model) :

- عرفه (قطامي وآخرون، 2000)

بأنه " خطة توجيهيه تتبنى نظرية تعلم محددة، لتحقيق مجموعة نتائج تعليمية و إجراءات وأنشطة مسبقة، تسهل على المعلم عملية تخطيط أنشطته التدريسية على مستوى الأهداف والتنفيذ والتقييم (). ويعرفه الباحثان إجرائياً :

بأنه " مجموعة من الخطوات المنظمة والمتفاعلة فيما بينها ، والتي تؤدي إلى اثاره تفكير طلبة قسم الفيزياء لغرض تحقيق الأهداف المنشودة " .

2- أنموذج (أنموذج تحفيز التفكير الذهني):

عرفه (صادق, 2002) بأنه :

انموذج يساعد في وصول الطلبة لمرحلة التفكير الشكلي مبكرا بدلا من الانتظار لوصولهم لهذه المرحلة تدريجيا ويتضمن اربع خطوات وهي : الاعداد- الصراع الفكري-التفكير في التفكير - التجسير وربط ما يتعلمه الطالب بالبيئة .

عرفه (King'sCollege London , 2004) بأنه :

استراتيجية تدريسية تهدف الى تنمية قدرات الطلاب على التفكير من خلال العمل في مجموعات صغيرة ومفتوحة والمناقشات الصفية المفتوحة ().

ويمكن تعريف انموذج (أنموذج تحفيز التفكير الذهني) اجرائياً بأنه :

نموذج يهدف الى مساعدة طلبة قسم الفيزياء في اثارة تفكيرهم من خلال دراستهم لمادة البصريات وفقاً لخطوات انموذج (Adey & Shayer) .

- (جابر , 2003 : 11)

القدرة على التصور البصري وان يمثل الفرد ويصور بيانياً الافكار البصرية أو المكانية () .

ويتفق الباحثان مع تعريف (جابر , 2003) نظرياً .

ويعرفه الباحثان إجرائياً: بأنه الدرجة الكلية التي يحصل عليها طلبة المرحلة الثانية في قسم الفيزياء في مادة البصريات من خلال أجابتهم على فقرات مقياس الذكاء البصري الذي أعده الباحثان لهذا الغرض والمؤلف من (30) فقرة .

دراسات سابقة

1- دراسة روي وآندي (Raw,Andy,1998) :

استهدفت هذه الدراسة بحث فعالية استعمال نموذج آدي وشاير في اسراع مهارات التفكير في الفيزياء لدى طلاب الثانوية العامة ببريطانيا وقد تكونت عينة الدراسة في مجموعتين احدهما تجريبية (114) طالباً وطالبةً وضابطة (103) طالباً وطالبةً , وقد اشارت النتائج الى ان اعداد دروس الفيزياء بأستعمال نموذج ادي وشاير

CASE " للطلاب من سن (11-13) عام ادى الى تنمية قدراتهم التفكيرية العامة .

2-دراسة (صادق,2002) :

استهدفت هذه الدراسة بحث فعالية نموذج (آدي وشاير) في تحصيل الفيزياء وتسريع النمو العقلي لطلاب الصف الثانوي في سلطنة عمان , وتكونت عينة الدراسة من (81) طالبا من طلاب الصف الاول الثانوي قسموا الى مجموعة تجريبية (40) طالبا واخرى ضابطة (41)

طالبا وقد اعتمدت هذه الدراسة في اجراءاتها على اختبار تحصيلي في مادة الفيزياء في وحدة الطاقة الكهربائية من اعداد الباحث , واختبار مراحل (بياجيه) للنمو العقلي المعرفي وقد اشارت نتائج هذه الدراسة الى فعالية نموذج (آدي وشاير) في تسريع النمو العقلي المعرفي وتنمية التحصيل في الفيزياء لدى طلاب الف الاول الثانوي في سلطنة عمان .

3-دراسة (عوض الله, ايمان احمد,2008)

هدفت الدراسة الى (فعالية نموذج آدي و شاير) Adey & Shayer) في تسريع النمو المعرفي وتنمية التحصيل لدى طلاب المرحلة الثانوية في مادة الاحياء).

وقد قامت الباحثة بدراسة استطلاعية عبارة عن تطبيق اختبار مراحل بياجيه للنمو العقلي المعرفي على (32) طالبة من طالبات

الثانوية واعتمدت الباحثة على المنهج شبه التجريبي من خلال مجموعتين (التجريبية والضابطة) وعملت الباحثة دليل لتدريس المحتوى الدراسي وفقا لخطوات نموذج آدي وشاير واعداد اختبار تحصيلي .

◀ التعليق على الدراسات السابقة :

من خلال استعراض الباحثين للدراسات السابقة في المحور الأول يمكن ملاحظة ما يأتي بالنسبة إلى :-

1-الأهداف : هدفت دراسة (روي وآندي) (Raw,Andy,1998) الى بحث فعالية استعمال انموذج (آدي وشاير) في اسراع مهارات التفكير في الفيزياء لدى طلاب الثانوية العامة)، اما دراسة (صادق,2002) فهدفت الى بحث فعالية نموذج آدي وشاير في تحصيل الفيزياء وتسريع النمو العقلي لطلاب الصف الثانوي في سلطنة عمان)، وهدفت دراسة (عوض الله, ايمان احمد,2008) الى (فعالية نموذج آدي و شاير Adey & Shayer) في تسريع النمو المعرفي وتنمية التحصيل لدى طلاب المرحلة الثانوية في مادة الاحياء). أما الدراسة الحالية فهدفت إلى التعرف على (اثر انموذج Adey & Shayer في التحصيل والذكاء البصري لدى طلبة قسم الفيزياء - كلية التربية))، ولهذا فأن هذه الدراسة لا تتفق مع أي من الدراسات السابقة من حيث المتغيرات التابعة والمادة العلمية. ولهذا يمكن القول أن هذه الدراسة هي الأولى (على حد

علم الباحثين) التي درست اثر النموذج (Adey & Shayer)
 (في التحصيل والذكاء البصري لدى طلبة قسم الفيزياء - كلية
 التربية

2. مجتمع البحث وعينة الدراسة :

- حجم العينة : تباينت الدراسات السابقة في حجم العينة التي
 طبقت عليها التجربة، فقد اختلف حجم العينة من دراسة إلى أخرى
 وهذا الاختلاف في حجم العينات يعود إلى طبيعة المجتمع أو
 طبيعة الدراسة أو تباين أهداف الدراسة، إذ تراوح عدد أفراد العينات
 بين(32-114) فرداً ، ففي دراسة (دراسة روي وأندي)
 (114) (Raw,Andy,1998) طالبا وطالبة وفي دراسة (منير ،
 موسى صادق،2002) بلغت حجم العينة(81) طالباً ، وبلغت حجم
 العينة في دراسة ((عوض الله، ايمان احمد،2008) (32) طالباً ، ،
 أما الدراسة الحالية فبلغ حجم العينة فيها (102) طالب وطالبة
 بواقع (32) طالباً وطالبة للمجموعة التجريبية و(32) طالباً
 وطالبة للمجموعة الضابطة.

- جنس العينة : تماثلت الدراسة الحالية في اختيار عينة الدراسة
 من جنس (الذكور والإناث) مع دراسة (دراسة روي وأندي)
 (Raw,Andy,1998) وتباينت مع دراسة (صادق،2002)
 (عوض الله، ايمان احمد،2008) التي ضمت الذكور فقط.

- المرحلة الدراسية : لم يتفق البحث الحالي مع أية دراسة من الدراسات السابقة لأنه أجري على المرحلة الجامعية أما الدراسات السابقة فجميعها أجريت على المرحلة الثانوية. في حين تم تطبيق البحث الحالي على المرحلة الجامعية .

4.منهجية الدراسة : اتفقت هذه الدراسة مع معظم الدراسات السابقة في استخدامها المنهج التجريبي فقد قسمت معظمها عينة البحث على مجموعتين أحدهما تجريبية والأخرى ضابطة , و البحث الحالي استخدم فيه المنهج التجريبي ذو المجموعتين المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة لتحقيق اهدافه .

5.أدوات البحث :

تباينت الدراسات السابقة من حيث نوع الاختبارات ففي دراسة (روي وآندي) (Raw,Andy,1998) استعمل الباحث (اختبار لمهارات التفكير) بعض الدراسات استعملت اختبار تحصيلي فقط كدراسة (صادق,2002) ودراسة (عوض الله, ايمان احمد,2008) ، أما هذه الدراسة الحالية فقد اعتمدت على بناء اختبارين لمتغيرين هما (التحصيل والذكاء البصري) وقد تم بناء الاختبارين من الباحثين.

6. النتائج :

لاحظ الباحثين تشابهاً في نتائج الدراسات السابقة التي تناولت أنموذج (Adey & Shayer) مع الدراسة الحالية ، ففي كل الدراسات التي درست على وفق أنموذج (Adey & Shayer)

تفوقت المجموعة التجريبية على المجموعة الضابطة وأثبتت فاعلية هذا النموذج في التدريس وان هذا الأ نموذج يحظى باهتمام متزايد على جميع المستويات العربية والعالمية والارتقاء به وتطبيقه منهج البحث وإجراءاته :

أولاً: منهج البحث :

تم استعمال منهج البحث التجريبي كونه انسب المناهج الملائمة لأهداف البحث .

وقد اختار الباحثين التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي للمجموعات المتكافئة ذوات الاختبار البعدي. كما في الجدول (1).

جدول (1)
التصميم التجريبي للبحث

الاختبار البعدي	لمتغير التابع	المتغير المستقل	التكافؤ	المجموعة	ت
الاختبار التحصيلي	لتحصيل	انموذج Adey & Shayer	عمر لزماني (بالأشهر). اختبار الذكاء.	التجريبية	1
		الطريقة التقليدية		الضابطة	2

ثانياً: مجتمع البحث وعينته:

تم تحديد مجتمع البحث واختيار عينته بالطريقة العشوائية المتمثلة بطلبة المرحلة الثانية - الدراسة الصباحية في قسم الفيزياء- كلية التربية - جامعة القادسية للعام الدراسي(2014 - 2015) والبالغ عددهم (102) طالب وطالبة موزعين على ثلاث شعب دراسية هي (أ، ب، ج) قام الباحثان بالطريقة العشوائية ايضاً اختيار شعبة (أ) لتمثل المجموعة التجريبية وكان عدد الطلبة فيها (32) طالباً وطالبةً , وشعبة (ب) تمثل المجموعة الضابطة وكان عدد الطلبة فيها (32) طالباً وطالبةً.

ثالثاً : تكافؤ مجموعتي البحث (Equivalent of the Groups Research)

حرص الباحثان قبل بدء التجربة على تكافؤ افراد مجموعتي البحث إحصائياً في بعض المتغيرات التي أشارت الأدبيات والدراسات السابقة إلى أنها تؤثر في نتائج التجربة وهذه المتغيرات هي :-

1 - العمر الزمني للطلبة مقاساً بالأشهر (Age of the students):

ويقصد به عمر الطالب بالأشهر حتى يوم بدء التجربة الموافق (18/ 2 /2015) ، وتم إيجاد (الوسط الحسابي والانحراف المعياري) لأعمار الطلبة في كلتا المجموعتين باستخدام معادلة الاختبار التائي (t-test) .لعينتين مستقلتين لمعرفة الفروق بين المجموعتين ، وكما مبين في الجدول(2).

جدول (2)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية والدلالة
الإحصائية
للعمر الزمني لطلبة مجموعتي البحث

المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ح. ح.	القيمة المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة لإحصائية عند مستوى 0.05
التجريبية	32	239.27	11.18	62	0,74	2	غير دالة
الضابطة	32	237.19	13.55				

ومن الجدول (2) أظهرت نتائج الاختبار التائي (t – test) انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0,05) ودرجة حرية (62) للعمر الزمني لطلبة عينة البحث إذ يظهر في الجدول أن قيمة (t) المحسوبة (0,74) أقل من قيمة (t) الجدولية البالغة (2) وبذلك تعد مجموعتا البحث التجريبية والضابطة متكافئتين في العمر الزمني بالأشهر .

2- الذكاء intelligence

تم إجراء عملية تكافؤ المجموعتين (التجريبية والضابطة) في متغير الذكاء لأهمية هذا المتغير. استعمل الباحثين اختبار القدرة العقلية العامة (اوتيس - لينون) للقدرة العقلية العامة (- Otis Linon Mental Ability test) للمستوى المتقدم الذي أعده (آرثر

أوتيس) وروجر لينون (Arthur Otis & Roger Linon)
1990)، والمعرب من (القرشي ، 1990).
نقلاً عن (جابر ، 2006 : 65)

يعد هذا الاختبار من أقدم الاختبارات وأكثرها شمولاً وانتشاراً ،
ويهدف اختبار اوتيس - لينون للقدرة العقلية المستوى المتقدم
الحصول على تقدير دقيق وشامل للقدرة العقلية العامة أو
الاستعداد الدراسي العام للطلبة. ويركز على قياس سهولة الاستدلال
المجرد من استجابة الفرد على بنود الاختبار التي يشمل محتواها
الألفاظ والرموز والإشكال وتمثل مدى واسعا من العمليات العقلية.
ويتسق محتوى الاختبار من بعض الوجوه مع نظرية الذكاء المتعدد
التي أشار إليها (جاردنر) من حيث شمولها على الأنواع الأساسية
للاستدلال اللفظي والرقمي والرمزي وإن كان لا يفرد لها درجات
فرعية مستقلة. كما انه لا يتناول بقية الأنواع الأخرى للذكاء التي
أشارت إليه النظرية المتعلقة بالموسيقى والحركة الجسمية والاتصال
بين الأشخاص وداخل الشخص ، ويتكون الاختبار في نسخته
العربية بعد التعديل من (50) بنداً متنوعاً من حيث المحتوى . منها
(22) بنداً لفظياً و (14) بنداً رمزياً و (14) بنداً في صورة إشكال
. ويركز الاختبار أساساً على قياس القدرة على الاستدلال المجرد.
وقد تم صياغة الفقرات في صورة الاختيار من متعدد الذي يعتمد

على خمسة بدائل للاستجابة والفقرات متدرجة في صعوبتها من الأسهل إلى الأكثر صعوبة . نقلاً عن (جابر , 2006 : 65) طبقت الباحثة الاختبار في يوم الاثنين الموافق (16 / 2 / 2015) على مجموعتي البحث التجريبية والضابطة , وتم إيجاد (الوسط الحسابي والانحراف المعياري) لدرجات الطلبة في كلتا المجموعتين لعينتين مستقلتين . (t - test) باستخدام معادلة الاختبار التائي (المعرفة الفروق بين المجموعتين ، وكما مبين في الجدول 3)

جدول (3) المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري والقيمة التائية لدرجات

مجموعتي البحث في متغير الذكاء

المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ح.	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة الإحصائية عند مستوى 0.05
التجريبية	32	61,22	6,38	62	1,21	2	غير دالة
الضابطة	32	59,31	7,11				

بلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية (61,22) وانحراف معياري (6,38) , ومتوسط درجات المجموعة الضابطة (59,31) بانحراف (7,11) والجدول (3) يوضح ذلك

وباستخدام الاختبار التائي (t- test) لعينتين مستقلتين أظهرت النتائج أن قيمة (t) المحسوبة (1,21) اقل من قيمة (t) الجدولية البالغة (2) عند مستوى دلالة (0,05) ودرجة حرية (62) , وبذلك تعد مجموعتا البحث متكافئتين في متغير الذكاء.

رابعاً: مستلزمات البحث :

1. تحديد المادة التعليمية : تم تحديد المادة التعليمية المتمثلة بمحتوى مادة البصريات المعتمدة في جامعة القادسية - كلية التربية - قسم الفيزياء - المرحلة الثانية للعام الدراسي (2014 - 2015) للفصل الدراسي الثاني وهي اربعة فصول و كما يلي :-
1-الانعكاس والانكسار , 2- السطوح الكروية , 3- الزيغ بالعدسات والمرايا, 4- التداخل والحيود .

2. صياغة الاغراض السلوكية وتحديد مستوياتها : قامت الباحثة بتحليل محتوى المادة المقرر تدريسها (البصريات) ، فتم صياغة (90) غرضاً سلوكياً في ضوء محتوى المادة التعليمية ، اذ اعتمد الباحثين في صياغة الاغراض السلوكية على تصنيف بلوم ((Bloom)) في المجال المعرفي معتمداً على المستويات الست وهي (التذكر, الفهم (الاستيعاب) , التطبيق , التحليل , التركيب , التقويم) اذ قام الباحثين بعرض الاغراض السلوكية ومستوياتها مع

محتوى المادة الدراسية على الخبراء من ذوي الاختصاص في مجال طرائق تدريس الفيزياء والفيزياء ،ملحق (2) وبعد الاخذ بملاحظات الخبراء والمحكمين تم حذف (8) اهداف , و اصبحت بصورتها النهائية مكونة من (82) غرضاً سلوكياً .

3.إعداد الخطط التدريسية:

أعدت الباحثة مجموعة من الخطط التدريسية لطلبة مجموعتي البحث التجريبية والضابطة في ضوء المادة التعليمية المتمثلة بمحتوى مادة البصريات المعتمدة في تدريسها لطلبة كلية التربية - قسم الفيزياء - المرحلة الثانية في الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي (2014 - 2015) , تم عرض نماذج من الخطط على مجموعة من السادة المحكمين والمختصين في مجال طرائق تدريس الفيزياء واختصاصي الفيزياء , ملحق(2) وبعد الأخذ بنظر الاعتبار مقترحات المحكمين وآرائهم أصبحت الخطط بصورتها النهائية , ملحق (4) يوضح أنموذجين للخطط احدهما للمجموعة التجريبية والآخر للمجموعة الضابطة , وتم التدريس الفعلي للمجموعة التجريبية بتاريخ 2015/2/18 و للمجموعة الضابطة بتاريخ 2015/2/19.

خامساً: اداتا البحث

لتحقيق اهداف البحث قام الباحثان ببناء اداتي البحث المتمثلة ب:
اولاً: الاختبار التحصيلي

أولاً: بناء الاختبار التحصيلي

في ضوء محتوى المادة العلمية لمادة البصريات للمرحلة الثانية والأغراض السلوكية المحددة، قامت الباحثة ببناء اختبار تحصيلي وفق الخطوات الآتية:-

تحديد الهدف من الاختبار: يهدف الاختبار الى قياس تحصيل 1-
طلبة المجموعتين (التجريبية والضابطة) في مادة البصريات للفصل
الدراسي الثاني

المحتوى	عدد الصفحات	المستوي	تذكر	فهم	تطبيق	تحليل	تركيب	تقويم	المجموع
			25	20	20%	12	15	8	100%
			%	%		%	%	%	
		النسبة المئوية للمحتوى							

فصل الرابع	14	% 31
فصل الخامس	9	% 20
فصل السادس	10	%22
فصل السابع	12	%27
لمجموع	45	%100

2- تحديد عدد فقرات الاختبار : استعانت الباحثة بآراء مدرس المادة النظري والعملي وعدد من الخبراء في اختصاص طرائق تدريس الفيزياء ملحق (2) اذ تم الاتفاق على ان يكون عدد فقرات الاختبار (25) .

3- إعداد جدول المواصفات (الخارطة الاختبارية) : تم إعداد الخارطة الاختبارية بهدف توزيع فقرات الاختبار التحصيلي على مختلف أجزاء المادة العلمية المذكورة وعلى معظم الأغراض السلوكية المحددة بصورة متجانسة كما في جدول (4) .

جدول (4) جدول مواصفات الاختبار التحصيلي لمادة البصريات

4- صياغة فقرات الاختبار التحصيلي :

تم صياغة فقرات الاختبار التحصيلي وفق جدول المواصفات إذ أعد الباحثان اختباراً موضوعياً من نوع أسئلة الاختيار من متعدد

8,7

9 =

4

5,4

5 =

6,74

7 =

25

Multi choice , إذ تُعدُّ فقرات الاختيار من متعدد من الأسئلة الموضوعية المرنة إذ تصلح لتقويم التحصيل لأي هدف من الأهداف .

5- تعليمات الاختبار :

وضعت الباحثة التعليمات الخاصة بالاختبار وكيفية الإجابة عنه إذ تكون سهلة وواضحة للطلبة ، كذلك اعد الباحثان الإجابة النموذجية عن جميع فقرات الاختبار إذ أعطيت درجة واحدة للإجابة الصحيحة وصفر للإجابة الخاطئة ، وبذا تكون أعلى درجة للاختبار هي (25) وأقل درجة (صفر).

خامساً:- صدق الاختبار :

يعني به قدرة الاختبار على قياس الصفة التي صمم لقياسها ، أي : بمعنى أن الاختبار الصادق يختبار يقيس الوظيفة التي يزعم انه يقيسها ولا يقيس شيئاً آخر بدلا منها ()

وللتحقق من صدق الاختبار اعتمد الباحثين 1-الصدق الظاهري

2-صدق المحتوى وكما يأتي:

1-الصدق الظاهري :

للتأكد من المظهر العام للاختبار من حيث المفردات وكيفية صياغتها ومدى وضوحها يضمن الصدق الظاهري للاختبار .

إذ يشير (عودة ، 2009) أن الصدق الظاهري يدل على المظهر العام للاختبار بوصفة وسيلة من وسائل القياس أي انه يدل على مدى ملائمة الاختبار للطلبة ووضوح تعليماته ().

كما أن لصدق المحتوى أهمية بالدرجة الأولى في قياس التحصيل على الرغم من أن جدول المواصفات يُعد مؤشراً من مؤشرات صدق الاختبار .

حيث أن الباحثين عرضا فقرات الاختبار التحصيلي مع محتوى المادة الدراسية والأهداف السلوكية على عدد من الخبراء والمختصين في مجال التربية وعلم النفس والقياس والتقويم والاختصاص ملحق الخبراء المحكمين (2) وعدلت صياغة بعض الفقرات في ضوء آرائهم ومقترحاتهم . ملحق الاختبار التحصيلي (5) .

التجربة الاستطلاعية للاختبار :- تم تطبيق الاختبار على عينة استطلاعية من طلبة المرحلة الثانية من غير عينة البحث وهم طلبة الدراسة المسائية وهم يدرسون نفس المادة الدراسية ونفس مدرس المادة , اذ بلغ عددهم (120) طالباً وطالبة .

تحليل فقرات الاختبار :

إن الغاية من تحليل فقرات الاختبار هو تحسين الاختبار من خلال الكشف عن فقرات الضعيفة والعمل على إعادة صياغتها أو حذفها أو استبعاد غير الصالحة منها ().

تم تحليل فقرات الاختبار وكالاتي :

أ- معامل صعوبة الفقرات :

وباستعمال معادلة معامل الصعوبة للفقرات الموضوعية وجد الباحثان أن معاملات الصعوبة للفقرات تتراوح (0,68 - 0,33) ، إن الاختبارات تعد جيدة إذا كانت تتباين في مستوى صعوبتها بين (20-80%) . (العدوان، 2011: 120)

ب- معامل التمييز :

يعرف بأنه الفرق بين نسبة الطلبة اللذين أجابوا عن الفقرة بشكل صحيح من الفئة العليا ونسبة الطلبة اللذين أجابوا عن الفقرة بشكل صحيح من الفئة الدنيا () .

ولحساب معامل التمييز رتب درجات الطلبة في العينة الاستطلاعية تنازلياً وأخذت ال (27%) فقرة وجد إن معامل التمييز يتراوح بين (0,72-0,32) . إذ تعد الفقرة مقبولة إذا كانت قوة تمييزها (20%) فما فوق .

ج- فعالية البدائل الخاطئة :

الاختبار المستخدم في قياس التحصيل هو من نوع الاختيار من متعدد، لذا فمن الضروري قياس فاعلية البدائل (المشتتات) إذ تعتمد صعوبة فقرة الاختبار من هذا النوع على درجة التشابه والتقارب الظاهري بين البدائل مما يشتت الطالب غير المتمكن من المادة عن الإجابة الصحيحة () .

ويعد تطبيق معادلة فاعلية البدائل على المجموعتين العليا والدنيا و، ظهر أن البدائل جذبت إليها عدد أكبر من طلبة المجموعة الدنيا مقارنة بطلبة المجموعة العليا، لذلك كانت فعالية البدائل الخاطئة مقبولة لجميع فقرات الاختبار.

سادساً:- ثبات الاختبار :

اعتماداً على البيانات التي تم الحصول عليها من التطبيق الاستطلاعي استخدم الباحثان معادلة كيودر-رينتشاردسون -20 (Kuder-Richardson -20) لحساب ثبات الاختبار لكون الاختبار من نوع الاختبارات الموضوعية.

ويعد حساب معامل الثبات بواسطة معادلة كيودر-رينتشاردسون -20 ظهر أن معامل الثبات يساوي (0,76) وهذا يدل على انه معامل ثبات جيد ومقبول، إذ تعد الاختبارات جيدة حينما يبلغ معامل ثباتها (0.67) فما فوق () .

ثامناً: تطبيق أداة البحث

1-الاختبار التحصيلي

طبق الاختبار التحصيلي في يوم الاربعاء الموافق 20 /5/ 2015 على المجموعتين (التجريبية والضابطة) ، وتم الحصول على درجات الطلبة للمجموعتين وتراوحت بين (7 - 23) .

خامساً: الوسائل الاحصائية (Statistical means) :

استخدم الباحثان الوسائل الاحصائية التي تتفق مع اهداف البحث ذلك من خلال استعمال الحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية (spss) .

1- الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين: واستعمله الباحثون لغرض تكافؤ مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) بالعمر الزمني والذكاء، مقياس الذكاء البصري.

2- معادلة حساب معامل الصعوبة.

لإيجاد معاملات الصعوبة لل فقرات الموضوعية للاختبار التحصيلي
3- معادلة تمييز الفقرة :

لإيجاد القوة التمييزية لل فقرات الموضوعية للاختبار التحصيلي ومقياس الذكاء البصري

4- معادلة فعالية البدائل الخاطئة:

استعملت في إيجاد فعالية البدائل الخاطئة لفقرات الاختبار التحصيلي.

5- معادلة كيوذر ريتشاردسون - 20:

لحساب ثبات الاختبار التحصيلي.

6- معادلة معامل الفا كرونباخ Cronboch Alpha :

استعملت لحساب ثبات مقياس الذكاء البصري .

7- معامل ارتباط بيرسون

استعمل لإيجاد معامل ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لمقياس الذكاء البصري وكذلك إيجاد معامل ارتباط الفقرة بالمجال ومعامل ارتباط المجال بالدرجة الكلية للمقياس .

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها

يتضمن هذا الفصل عرضاً شاملاً لنتائج البحث التي تم التوصل إليها على وفق الأهداف المرسومة للبحث مع تفسير علمي لنتائج البحث ومناقشتها وفقاً لمعطيات الخلفية النظرية والدراسات السابقة، فضلاً عن الاستنتاجات التي تم رصدها، وعدداً من التوصيات المستخلصة من نتائج البحث واقتراح بعض المقترحات المناسبة لتكون مكملة للبحث الحالي أو رافدة لها.

أولاً: عرض النتائج :

١- نتائج السؤال الأول:

ما اثر أنموذج تحفيز التفكير الذهني) في التحصيل الدراسي لدى طلبة قسم الفيزياء ؟

ينبثق عن هذا السؤال الفرضية الآتية:

(لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة $(\alpha = 0.05)$ بين متوسط درجات الطلبة الذين يدرسون على وفق أنموذج تحفيز التفكير الذهني (المجموعة التجريبية) وبين متوسط درجات الطلبة

الذين يدرسون بالطريقة الاعتيادية (المجموعة الضابطة) في الاختبار التحصيلي).
و من ملاحظة جدول (5) :

جدول (5)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لمجموعي البحث في الاختبار التحصيلي

مستوى الدلالة	القيمة التائية		درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	عدد الطلبة	المجموعة
	لمحسوبة	لجدولية					
دال	2	3,37	62	3,21	20,63	32	التجريبية
				4,72	16,80	32	الضابطة

يتبين أن هنالك فرقاً بين المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية والمتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة ولصالح المجموعة التجريبية، ولبحث دلالة الفرق، طبق الباحثان الاختبار التائي (T-test) لعينتين مستقلتين، إذ بلغت قيمة (T) المحسوبة (37 و 3)) وهي أعلى من قيمة (T) الجدولية البالغة (2) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (62) ، وبذلك

ترفض الفرضية الصفرية الأولى ، وتقبل الفرضية البديلة ، مما يدل على تفوق أداء طلبة المجموعة التجريبية والذين درسوا باستعمال نموذج (Adey & Shayer) على أداء المجموعة الضابطة والذين درسوا على وفق الطريقة الاعتيادية، في التحصيل الدراسي.

ثانياً: تفسير النتائج:

أ - تفسير النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

يتضح من الجدول (5) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح المجموعة التجريبية، إذ تفوق طلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا على وفق نموذج (نموذج تحفيز التفكير الذهني) على طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية في التحصيل الدراسي، وبهذا يتم رفض الفرضية الصفرية الأولى للبحث.

وقد عزت الباحثة هذه النتيجة إلى :

تعرض الطلبة في المجموعة التجريبية للمواقف غير المألوفة بالتدريس غير التقليدية قد عملت على تشجيعهم على والبحث والاكتشاف لتمييز المعلومات الصحيحة من غيرها و أنّ طرح الأسئلة أثناء الدرس والمناقشة قد ساعدت الطلبة على التفاعل فيما بينهم من جهة ، و بينهم وبين المعلم من جهة اخرى مستخرجة ما

لديهم من معارف ومعلومات سابقة، مع ربطها بالمعارف والمعلومات الحالية مما أدى إلى توسيع خبرة الطلبة ، وتوليد معلومات جديدة أكثر عمقا ، مما عزز ذلك من زيادة تحصيلهم المعرفي والمعلومات التي تضمنها الانموذج ، ولدراسة الموضوع على وفق الانموذج .

إنَّ التفاعل الواضح بين الطلبة ومشاركتهم الفاعلة في عملية التعلم وتعاونهم في أدراك المعارف و الحقائق الجديدة ، و يشجعهم على الحوار في المواضيع التي هي من صلب المادة العلمية مما يؤدي ذلك ظهور اثر كبير في بناء المعرفة لدى طلبة المجموعة التجريبية ، و جعل البنى المعرفية لديهم أكثر تنسيقاً وتنظيماً، مما ساهم في زيادة التحصيل لديهم .

ثالثاً: الاستنتاجات: **Conclusions**

بعد قيام الباحثة بتطبيق البحث وتحليل نتائجه تم التوصل إلى الاستنتاجات الآتية:

1.فاعلية أنموذج (تحفيز التفكير الذهني) في تحسين تحصيل طلبة قسم الفيزياء في مادة البصريات.

رابعاً: التوصيات: **Recommendations**

في ضوء نتائج البحث واستنتاجاته يوصي الباحثان بما يأتي:

1. التأكيد على استعمال أنموذج (أنموذج تحفيز التفكير الذهني) في تدريس الفيزياء في المرحلة الجامعية لما له من الأهمية في رفع مستوى التحصيل الدراسي.

2. عقد ندوات تدريبية لتدريب اعضاء الهيئة التدريسية في قسم الفيزياء على تدريس طلبتهم ن طيق الاعتماد على الصور والاشكال والمخططات لتعليم طلبتهم .

3. تدريب اعضاء الهيئة التدريسية على استعمال استراتيجيات حديثة في التدريس ومنها انموذج تحفيز التفكير الذهني). ذلك عن طريق اعداد برامج تدريبية خاصة بذلك، مما ينعكس على تعليم وتحصيل طلبتهم.

خامساً: المقترحات: Suggestions:

استكمالاً لما لم يحققه البحث يقترح الباحثان إجراء الدراسات الآتية:

1. إجراء دراسة لبيان أثر أنموذج (تحفيز التفكير الذهني). في مراحل دراسية أخرى.

2. إجراء دراسة لبيان أثر أنموذج (تحفيز التفكير الذهني). في مواد دراسية أخرى مثل: الأحياء، الكيمياء.

3. إجراء دراسة لبيان أثر أنموذج (تحفيز التفكير الذهني). على الطلبة في متغيرات معرفية تابعة أخرى غير متغيرات الدراسة الحالية مثل: حل المشكلات، اتخاذ القرار، التفكير الناقد، التفكير الإبداعي.

المصادر العربية

1. الشريف، امل احمد 2007: أثر نموذج تسريع تعليم العلوم على التحصيل و دافع الانجاز ومفهوم الذات وقلق الاختبار لدى طلة الصف السابع في محافظة قلقيلية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
2. ايمان احمد عوض الله , 2008: فعالية نموذج ادي وشاير (Shayer) & Adey في تسريع النمو المعرفي وتنمية التحصيل لدى طلاب المرحلة الثانوية في مادة الاحياء, رسالة ماجستير , مصر .
3. حسن حسين زيتون، كمال عبد الحميد زيتون , 1992، البنائية منظور أستمولوجي تربوي «، منشأة المعارف، الاسكندرية.
4. الخليلي، يوسف خليل، عبد اللطيف حسين حيدر ومحمد جمال الدين يونس، 1996: تدريس العلوم في مراحل التعليم العام، ط1، دار القلم، دبي.
5. العبادي ، هاشم فوزي , ويوسف حجيم الطائي، 2011 : التعليم الجامعي من منظور إداري , ط1, دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع , عمان , الأردن.
6. عبد السلام، عبد السلام مصطفى , 2006: تدريس العلوم ومتطلبات العصر, ط1 , دار الفكر العربي , القاهرة .

7. عفانة ، عزو اسماعيل ، الخزندار ، نائلة نجيب،
2004 : التدريس الصفي بالذكاءات المتعددة ، ط1، فلسطين :
افاق.
8. عودة، أحمد سليمان وفتحي ملكاوي، أساليب البحث
العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، دار الفكر للنشر والتوزيع،
القاهرة، مصر، 1998.
9. عودة، أحمد سليمان، القياس والتقويم في التربية، ط1،
جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2009.
10. سلامة، عبد الحافظ محمد: أساسيات تصميم التدريس ،
دار اليازوري للنشر، عمان ، الاردن ،2002.
11. الكسباني، محمد السيد علي، 2008 ، التدريس نماذج
وتطبيقات في العلوم والرياضيات واللغة العربية والدراسات
الاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة .
12. الموسوي، عواطف ناصر، 2005 : بناء برنامج (تعليمي
- تعليمي) للتفكير وقياس اثره في تحصيل مادة الفيزياء والقدرة على
حل المشكلات لدى طالبات الصف الرابع العام ،(اطروحة دكتوراه
غير منشورة)، كلية التربية -ابن الهيثم -جامعة بغداد.
13. المنيزل ، عبد الله فلاح ، مبادئ القياس والتقويم في
التربية ، ط1، جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، 2009.

14. الوكيل ،حلمي احمد، حسين بشير محمود،2001:
الاتجاهات الحديثة في التخطيط وتطوير مناهج المرحلة الأولى،
دار الفكر العربي، القاهرة.
15. الظاهر ، زكريا محمد وآخرون ، مبادئ القياس والتقييم
في التربية ، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ،
1999.
16. رحمن ، ايمان قاسم ، 2010 ، فاعلية انموذج تسريع
التفكير في التحصيل وتنمية الدافعية للتعلم لدى طالبات الصف
الثاني المتوسط في مادة الفيزياء ، رسالة ماجستير غير منشورة ،
كلية التربية ، جامعة القادسية.
- 27.الفتلي ، سماح عبد الكريم، 2012، أثر الاستقصاء العلمي
(الجماعي) والرؤوس المرقمة على الأداء العملي لدى طلبة قسم
الفيزياء- كلية التربية
- 28.الموسوي ، محسن طاهر ، 2008، أثر استراتيجيتين للتعلم
التعاوني في الأداء العملي والنظري لدى طلبة قسم الفيزياء - كلية
التربية
- صادق،2002، فعالية ادي وشاير في تحصيل الفيزياء وتسريع
النمو العقلي لطلاب الصف الثانوي في سلطنة عمان ،
39. النبهان ،موسى ، أساسيات القياس في العلوم السلوكية
، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ،2004.

1. منير موسى ,صادق, 2002 , فعالية برنامج أي و شابر في تحصيل الفيزياء وتسريع النمو العقلي لطلاب الصف الاول الثانوي في سلطنة عمان . المؤتمر العلمي السادس " التربية العلمية وثقافة المجتمع " , الجمعية المصرية للتربية العلمية , فندق بالما, ابو سلطان , كلية التربية, جامعة عين شمس, روكسي , القاهرة , في الفترة من 28-31 يوليو .

المصادر الاجنبية

Adey,ph. (1992) : "the CASE results :Implication –1
 , " for Science Teaching
 International journal of Science Education .vol.
 (14) , no .(2),pp 137-140
 Adey,ph. & Shayer ,M(1994): " Really raising –2
 standards: Improving Learning Through Cognitive
 Intervention." London, Routledge
 .(<http://www.gtce.org.uk> / 1– 8),
 Shayer , M . (1999) : cognitive Acceleration –3
 Through Science Education, II : Its Effects and
 Scope, International Journal of Science Education,
 . Vol

PP.883– 902, (8) ,(21)

King's College London (2004): " Cognitive –4
Acceleration Through Mathematics

."(Education(CAME

[http://www.kcl.ac.uk/depsta/education/research/C
AME.htm](http://www.kcl.ac.uk/depsta/education/research/CAME.htm)

أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم

الأساسي

في تعلم اللغة الإنجليزية من وجهة نظر

معلمي المادة بمحافظة عدن

د. عبد السلام عوض أحمد لبهص كلية التربية-زنجبار

د. ادريس سلطان أحمد مقبل كلية التربية-طور الباحة

ملخص البحث

هدفت الدراسة إلى التعرف على أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم اللغة الإنجليزية من وجهة نظر معلمي المادة بمحافظة عدن، وتحديد أثر متغيرات الجنس والمؤهل العلمي وعدد سنوات الخبرة في وجهات نظرهم، ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة صمم الباحثان استبانة مغلقة، وتكونت بعد التحكيم من (60) فقرة، موزعة على ستة مجالات، تكونت عينة الدراسة من (91) معلماً ومعلمة، منهم (41) معلماً و(50) معلمة، توصلت نتائج الدراسة إلى أن جميع مجالاتها قد حازت على متوسط عام بلغ (3.79) أي بدرجة قوة سبب كبيرة، وعلى مستوى المجالات، احتل مجال المحتوى الدراسي على المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (4.12)، واحتل مجال الأهداف التعليمية المرتبة

الثانية بمتوسط حسابي (4.04)، وجاء مجال أساليب التقويم في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (3.93)، بينما أحتل مجال طرائق التدريس المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (3.63)، ثم تلاه مجال المعلم بمتوسط حسابي (3.51) في المرتبة الخامسة، وجاء في المرتبة السادسة والأخيرة مجال التلميذ بمتوسط حسابي (3.48)، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات آراء المعلمين والمعلمات نحو أسباب تعلم التلاميذ مادة اللغة الإنجليزية، وذلك باختلاف جنسهم، ومؤهلاتهم العلمية وعدد سنوات خبراتهم. وفي ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة يوصي الباحثان بضرورة العمل على تطوير برامج إعداد معلمي اللغة الإنجليزية، وتصميم برامج خاصة لإعداد معلم اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الأساسي، خاصة والبرامج الحالية في كليات التربية صممت لمعلم المرحلة الثانوية، وتكثيف الدورات التدريبية في أثناء الخدمة لمعلمي اللغة الإنجليزية، والتركيز على نموهم المهني من أجل رفع مستوى تحصيل التلاميذ.

الكلمات المفتاحية: أسباب تدني تحصيل التلاميذ ، التعليم

الأساسي، اللغة الإنجليزية، محافظة عدن

Reason of Low Level Achievement of Students
at the Primary Schools in Teaching English
Language as Perceived by its Teachers in Aden
Governorate

Dr. Abdulsalam Awadh Ahmed Labhas

Dr. ADREES Sultan Ahmed mukbel

Faculty of Education/Zingabar

Faculty of Education/Toor Albaha

ABSTRACT

The present study aims to know reason of low level achievement of students at the primary schools in teaching English language as perceived by its teachers in Aden governorate, and to determine the effect of gender, qualification and years of experience variables. An instrument of a questionnaire is designed to achieve the aims of the study. It is consisted of (60)items distributed among six axes. The study's sample consisted of (91) teachers, (41) male and (50) female. Results of the study revealed that all the axes obtained a

higher degree reason, with mean(3.79). On the level of axes, obtained the content axe the first rank with meal (4.12), obtained the targets axe the second rank with meal (4.04), obtained the evaluation style axe the third rank with meal (3.93), obtained the teaching methods axe the fourth rank with meal (3.63), and obtained the teacher axe the fifth rank with meal (3.48). The study has showed that there are not statistical differences between the mean of the teachers views towards reasons teach the students of English language for their gender, qualification scholarliness and experience . On bases of the above results, the researchers recommends to develop the training programme in the colleges of education and increased the training courses for .teachers

Key words: Reason of Low Level, Achievement of Students, Primary School , English Language, .Aden Governorate

مقدمة

إن اللغة وسيلة اتصال تتم غالباً في بيئة اجتماعية، فالتعبير عن فلسفة أي مجتمع بموروثاته الفكرية ومعتقداته وطرائق تفكيره لا يتم إلا من خلال اللغة التي يستخدمها، لذلك من أجل أن تتم عملية التواصل اللغوي لأبد من وجود شخصين أو أكثر، وعليه تعد اللغة من أهم مكونات الهوية التي تتميز بها المجتمعات، وأصبح الاتصال المباشر وغير المباشر بين دول العالم ضرورة حتمية لتبادل الخبرات العلمية والتكنولوجية، فعمدت الحكومات إلى الاهتمام بتعليم أساسيات أدلة الاتصال الممتلئة في اللغة الأصلية، وبعض اللغات الأجنبية، خاصة اللغات كثيرة الانتشار، والتي تتمتع بغزارة ثقافية، وعلمية مثل اللغة الإنجليزية، والفرنسية والألمانية.

يشير (احمد) إن لتعلم لغة ثانية كالإنجليزية أو غيرها الكثير من المزايا الشخصية والفكرية والأكاديمية، فالشخص الذي يتحدث ويقرأ بأكثر من لغة يستطيع أن يتواصل مع كثير من الناس، ويقرأ عن الثقافات المختلفة، ومن المعروف أن اللغة الإنجليزية في عصرنا الحاضر لغة دولية، وذكر (أحمد) أنها لغة العلم والتجارة والاقتصاد والاتصالات وخدمات الكمبيوتر، والتكنولوجيا الحديثة، والسياحة والسفر، بالإضافة إلى ذلك فالإنجليزية تحظى بمكانة عالمية بين دول العالم، لذلك هي اللغة الرئيسة في التجمعات السياسية الدولية، مثل دول الكومنولث والمجلس الأوروبي

European United والاتحاد الأوربي و European Council
وحلف الناتو Nato ومنظمة الدول المصدرة للنفط OPEC ،
وأشار (Kitoe) أن (اللغة الإنجليزية) يفوق عدد المتحدثين بها
كلغة ثانية عدد متحدثيها الأصليين الذين لا يتعدون أربعمئة مليون
نسمة، بينما يتحدثها كلغة أجنبية في إفريقيا وأسيا أكثر من 600
مليون نسمة.

ولهذا سعت عدد من دول العالم لتدريس لغة أجنبية أو أكثر ليسهل
اتصالها بالعالم الخارجي، ولقد نالت اللغة الإنجليزية اهتماما عالميا
لم تتله أية لغة أخرى، وأكدت بعض الدراسات على ضرورة تعلم
هذه اللغة ومواكبة التقدم في التقنية الحديثة، وأن المتعلم في مرحلة
الطفولة يستطيع دراسة اللغة الأجنبية جنبا إلى جنب مع دراسة
اللغة الأم، وأكدت عدد من الدراسات الواردة في(سلطان) كدراسة
قسطنطينو

(Costantino, أن اكتساب اللغة عند الأطفال أمر طبيعي،
لأنهم طبيعياً ميالون إلى ذلك، وأنها عملية بديهية وعفوية وهادفة،
حيث إن تعلم اللغة يكون نتيجة للاتصال مع الآخرين، و دراسة
هاكوتا (Hakuta, أكدت أن الأشخاص الذين لديهم كفاءة لغوية
في أكثر من لغة يتفوقون على أولئك الذين يتحدثون بلغة واحدة
فقط في اختبارات الذكاء، ودراسة كوبر (Cooper) أكدت على أن
التلميذ الذي يدرس لغة أجنبية استطاع أن يحقق نتائج أفضل من

الذي لم يدرس أي لغة أجنبية في اختبار الاستعداد المدرسي وغيرها.

ولقد أدرك القائمون على التعليم في الجمهورية اليمنية أهمية تعلم اللغات الأجنبية وخاصة اللغة الإنجليزية، لذلك أدخلت في المناهج التعليمية ابتداء من الصف السابع من التعليم الأساسي ضمن المواد الرئيسة في التعليم العام، وسعت وزارة التربية والتعليم بإداراتها المختلفة جاهدة لتعليم أبناء هذا الوطن هذه اللغة، وإكسابهم المهارات الأساسية لها وهذا كان من أحد الأهداف التي تسعى الوزارة لتحقيقها كما ورد في المادة (18) من القانون العام للتربية والتعليم ، وأولت الدولة ممثلة بالوزارة اهتماماً بتطوير المناهج بما فيها منهاج مادة اللغة الإنجليزية، وتهيئة كافة الوسائل التعليمية والسبل والطرائق التدريسية الحديثة لتدريس هذه اللغة، ومما يدل أيضاً على الاهتمام البالغ بهذه اللغة عقد الدورات التدريبية وورش العمل الوطنية لمعلمي وموجهي مادة اللغة الإنجليزية بين الوقت والآخر.

ولكن بالرغم من الجهود الجبارة والدعم المستمر لتعليم هذه اللغة وبناء قاعدة أساسية لتعليمها إلا أن الوصول إلى الأهداف من تعليم هذه اللغة وتنفيذها بشكل تام لازال يحتاج إلى تطوير وتحسين مستمر، وذلك لأن مستوى التلاميذ في تعلم هذه اللغة في المرحلة الأساسية لازال منخفضاً، وإن النتائج لازالت دون المستوى

المطلوب، مما يجعل الأمر بحاجة ماسة إلى إجراء المزيد من البحوث والدراسات التقويمية التي تهدف إلى تحسين العمل ورفع مستوى الأداء والوصول إلى أفضل النتائج. مشكلة الدراسة

تعد العملية التعليمية نظاماً شاملاً يتكون من عدة عناصر منها المنهاج الذي يتكون من أربعة عناصر هي (الأهداف ، المحتوى، استراتيجيات التدريس والتقييم)، والتلاميذ الدارسون، والأنشطة التعليمية والمعلمين والمعلمات وغيرهم، ولا بد من مراعاتها وتكاملها لكي تؤدي إلى تحسين الأداء والتحصيـل .

إن واقع تعليم اللغة الإنجليزية في اليمن كلغة أجنبية ليس في أحسن حال من حيث كفايتها الإنتاجية، حيث إن معظم التلاميذ في مرحلة التعليم الأساسي لا يتقنون أساسيات اللغة الإنجليزية التي تعد شرطاً أساسياً لتعلمها، وذلك ينعكس على مستوى تحصيل التلاميذ، إذ أكدت دراسات كل من (ناجي - زكريا) الواردة في (أحمد) على ضعف المستوى العام للتلاميذ في مادة اللغة الإنجليزية، وأن الغالبية من حملة الشهادة الثانوية لا يجيدون إتقان التعبير الشفوي والكتابي بها، وتشير التقارير الواردة من مكتب التربية والتعليم بمحافظة عدن- إدارة التوجيه التربوي إلى تراجع المستوى العام لتعليم اللغة الإنجليزية حيث يلاحظ تدني مستوى التلاميذ فيها في التعليم العام، ولا يقتصر تدني مستوى التلاميذ في

مادة اللغة الإنجليزية على محافظة عدن فقط بل على مستوى جميع المحافظات حيث أشار التقرير السنوي الصادر من وزارة التربية والتعليم لعام (2016-2017) إلى أن نسبة الرسوب في مادة اللغة الإنجليزية بلغ في التعليم العام 67%. ، ومن خلال خبرتنا العملية كعضوين هيئة تدريس بكلية التربية/ زنجبار وطور الباحه، لاحظنا أثناء نزولنا الميداني للإشراف على طلبة التربية العملية- تخصص لغة إنجليزية- المستوى الرابع، بمدارس التعليم العام، أن الطلبة/المعلمين يواجهون كثيرا من الصعوبات أثناء ممارستهم لمهنة التدريس نتيجة لتدني مستوى التلاميذ في المادة. وأيضا من خلال عضويتنا في مجلس الآباء في بعض مدارس دار سعد، وعلاقة التعاون التي تربطنا بإدارتها قمنا بتقييم بعض الحصص في مادة اللغة الإنجليزية في عدد من المدارس، فلاحظنا أن مستوى التلاميذ في مادة اللغة الإنجليزية متدن. ومن خلال اطلعا على عدد من الدراسات كدراسة(أحمد) ، (نزيهة)،(عبده) ، (زهاء) ، (محمد) ، حيث أجمعت نتائجها على أن هناك كثيرا من المعوقات والصعوبات والمشاكل التي تواجه التلاميذ في أثناء تعلمهم لمادة اللغة الإنجليزية، مما عكس نفسه على تدني مستواهم فيها. بالإضافة إلى الكثير من الشكاوي من قبل عدد من أولياء الأمور التي تفيد أن مناهج اللغة الإنجليزية في التعليم العام التي تتمثل في كتب اللغة الإنجليزية من سلسلة (crescent) قد

عفى عليها الزمن لأنها تدرس منذ أربعة وعشرين عاماً، ويضيف أوليا الأمور أنه من خلال متابعتهم لسير دراسة أبنائهم في مادة اللغة الإنجليزية التي يتعلموها في صفوف متأخرة من مرحلة التعليم الأساسي، ظهرت حاجتهم الماسة لدروس تقوية في المادة نتيجة لضعف مستوى تحصيلهم فيها. وانطلاقاً من المبررات السابقة، ولقلة الدراسات- على حسب علمنا- التي اهتمت بالأسباب المؤدية إلى تدني مستوى التلاميذ بمادة اللغة الإنجليزية بمرحلة التعليم الأساسي التي يتعلم فيها التلاميذ أساسيات اللغة، يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن؟

أسئلة لدراسة

1- ما أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن من وجهة نظر معلمي المادة؟

2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 05$) في أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن من وجهة نظر معلمي المادة تعزى لمتغيرات (الجنس، المؤهل العلمي وعدد سنوات الخبرة)؟

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى التعرف على:

- أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن من وجهة نظر معلمي المادة.
- وجود فروق ذات دلالة إحصائية في أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن من وجهة نظر معلمي المادة تعزى لمتغيرات الدراسة (الجنس، المؤهل العلمي وعدد سنوات الخبرة)

أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة من خلال الجوانب التالية:

- 1- محاولة وضع بعض المقترحات للمساهمة في عمل حل لأسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن.
- 2- محاولة الإسهام في تقديم صورة واضحة لأسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن لوضع الحلول الكفيلة بمعالجتها.
- 3- تقديم بعض التوصيات التي يمكن أن تساعد في التغلب على أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن.

4- قد تفيد المسؤولين وصانعي القرار في وزارة التربية والتعليم باليمن من نتائج هذه الدراسة، من أجل تفعيل التوصيات والمقترحات المقدمة لتحقيق أهداف تدريس مادة اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الأساسي، ووضع خطط مستقبلية تساهم في تحسين تدريس مادة اللغة الإنجليزية.

حدود الدراسة

1- الحدود الموضوعية

أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن.

الحدود البشرية

معلمي مادة اللغة الإنجليزية في مدارس مرحلة التعليم الأساسي الحكومية التابعة لمكتب التربية والتعليم محافظة عدن.

2- الحدود المكانية

مدارس التعليم الأساسي الحكومية التابعة لمكتب التربية والتعليم محافظة عدن.

3- الحدود الزمانية

الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي 2017 / 2018.

مصطلحات الدراسة

1- تدني مستوى التحصيل

عرفه (حامد) بأنه انخفاض نسبة التحصيل دون المستوى العادي والمتوسط، وعرفه (اسعد) ، بأنه حالة من عدم الرضاء والتوتر تنشأ عند إدراك وجود عوائق تعترض الوصول إلى الهدف. ويعرفه (مصطفى) ، أنها الأسباب أو الصعوبات أو المشكلات أو العوامل التي تعرقل تحقيق الأهداف المخطط لها. وإجرائياً يقصد بتدني مستوى التحصيل في هذه الدراسة بأنه: ضعف قدرة تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي بالمدارس الحكومية التابعة لمكتب التربية والتعليم محافظة/عدن، الحصول على الحد الأدنى من درجة النجاح في مادة اللغة الإنجليزية.

2- معلم اللغة الإنجليزية

المعلم: هو الشخص الذي يقوم بفعل التدريس وبمارسه، أي يقدم ويلقي دروساً. ويعرفه (معجم الوسيط) الوارد في (فريق من الباحثين) أنه "هو الماهر في الصناعة يعلمها غيره"، أي بمعنى أنه متقن لها، مالك ناصيتها، محيط بجزئياتها، ولهذا فهو جدير بأن يعلمها ويلقنها لغيره، والغير يقصد به التلميذ فما عليه إذن سوى أن يتقبلها، من موقع كونه تلميذاً.

وإجرائياً يقصد بمعلم اللغة الإنجليزية هو الذي يقوم بتدريس المادة الدراسية المقررة من كتاب (English Course for Yemen Crescent) لتلاميذ وتلميذات مرحلة التعليم الأساسي بالمدارس الحكومية، التابعة لمكتب التربية والتعليم/ محافظة عدن.

4- مادة اللغة الإنجليزية

□ اللغة

كما ورد في كتاب "العين" (لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي 100-175 هـ)، جاءت اللغة من {اللغون}: اختلاف الكلام في معنى واحد، ولغا يلغو{لغوًا}، يعني اختلاط الكلام في الباطل

(أبي عبدالرحمن) ، ويرى (ابن منظور 711 - 630هـ) في لسان العرب بأن اللغة أصلها لغى أو لغو، والها عوض، وجمعها لغى، وفي المحكم: الجمع لغات ولغون واللغو: ما كان من الكلام غير المعقود عليه، واللغو أيضاً هو "مالا يعتد به" لتقلبه من حال إلى حال، واللغة: اللسان(أبي الفضل)

مادة اللغة الإنجليزية

اللغة الإنجليزية هي التي تدرّس بوصفها لغة أجنبية في اليمن في مدارس التعليم العام الحكومية (الأساسي - الثانوي)، ابتداءً من الصف السابع أساسي. وتدرّس في الجامعات اليمنية بكلّيات التربية كتخصص منفرد، ومتطلب جامعي في بقية التخصصات الأخرى بنفس الكليات، والكليات الأخرى غير التربوية.

ونقصد بمادة اللغة الإنجليزية - إجرائياً - هي المادة الدراسية المقررة من كتاب (English Course for Yemen)

(Crescent) إذ يدرسها تلاميذ وتلميذات مرحلة التعليم الأساسي بالمدارس الحكوميّة، التابعة لمكتب التربية والتعليم/ محافظة عدن.

5- مرحلة التعليم الأساسي

هي المرحلة التي تكون في أول السلم التعليمي التي تتناول التلميذ من سن السادسة حتى الثانية عشر، فتتعدهه بالرعاية الروحية والجسمية والفكرية والانفعالية والاجتماعية على نحو ينفق مع طبيعة كل طفل وفق أهداف المجتمع الذي يعيش فيه. وعرفها (الأسمر) الوارد في (أحمد) ، بأنها الصفوف المدرسية التي يقوم المعلم بتدريسها وتمتد من الصف الأول الأساسي وحتى الصف العاشر. وورد في المادة (18) من القانون العام اليمني للتربية والتعليم الذي أقره مجلس النواب في جلسته المنعقدة بتاريخ 11 / 8 / 1992م بأن التعليم الأساسي "تعليم عام موحد لجميع التلاميذ في الجمهورية ومدّته تسع سنوات، وهو إلزامي ويقبل فيه التلاميذ من سن السادسة، ويتم فيه اكتشاف الاتجاهات والميول لدى التلاميذ وتطوير قدراتهم الذاتية" .

الخلفية النظرية والدراسات السابقة

أولاً: الخلفية النظرية

تعد مرحلة التعليم الأساسي في أي مجتمع القاعدة الأساسية للسلم التعليمي باعتباره المنطلق الأول في التنمية والبناء، تنمية للمجتمع

وبناء للأفراد الذين هم رجال المستقبل، ولقد اهتمت الدول المتقدّمة
بمرحلة التعليم الأساسي ودعمتها بالوسائل والإمكانيات المختلفة
لتمكينها من ممارسة دورها البنائي والتمموي بشكل فعال .

والمدرسة في مرحل التعليم الأساسي هي البيئة التعليمية الثانية
الأكثر اتساعا التي ينتقل إليها التلميذ بعد رياض الأطفال أو
الأسرة، وأيضاً هي المؤسسة التي تهئ الظروف وتوفر الإمكانيات
لسير العملية التعليمية، ويقع على كاهلها تحقيق المهمات والأهداف
التي أوكل إليها المجتمع لتحقيقها في مخرجاتها، والعلاقة تبادلية
بينهما فكلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر، ودور المدرسة يكون إيجابيا في
تحقيق أهدافها إذا توافر لها الوسط الملائم المتمثل بالاهتمام
والرعاية وتوفير مختلف متطلباتها وحل مشكلاتها وكل ما من شأنه
عرقلة مسيرتها التربوية والتأثير السلبي على مخرجاتها.

وتؤكد السياسة التعليميّة في اليمن الانفتاح الواعي والإقبال على
الثقافات والحضارات العالميّة بما يحقق الحرّيّة، العدالة، والمساواة،
والسلام، والتواصل، والتعاون، والتفاهم بين الشعوب، لذلك من
مبادئها تطوير شخصيّة الإنسان اليمني تطورا متكاملاً، وخلق
ارتباط أوثق بين المدرسة والمجتمع، وعليه نجد أن نظام التعليم -
سواءً أكان قبل الوحدة أو بعدها - قد أولى عناية كبيرة بتعليم
اللغات الأجنبية، وأدرك حاجة النشء إليها، فأدخلت اللغة الإنجليزيّة
ضمن المواد الدراسيّة في التعليم العام بوصفها مادة رئيسة، وأولت

الدولة ممثلة بوزارة التربية والتعليم اهتماماً بتطوير المناهج بما فيها منهاج مادة اللغة الإنجليزية .

واليوم فقد أصبح تعلم اللغة الإنجليزية أكثر أهمية من ذي قبل خاصة في عصر العولمة الذي أصبح فيه العالم قرية واحدة، وتعتبر اللغة الإنجليزية لغة التواصل بين دول العالم فهي اللغة الرسمية في الأمم المتحدة وفي المنظمات العالمية، وقد زاد عدد المتحدثين بها في جميع أنحاء العالم، كذلك أصبحت اللغة الإنجليزية وسيلة للتعليم والبحث العلمي في جميع المجالات العلمية والتطبيقية والتقنية والصناعية، فأصبح الجميع بحاجة لتعلم هذه اللغة، وقد ذكر بهذا الصدد (ألكسندر) الوارد في (عبدالسلام) . أن اللغة الإنجليزية ذات أهمية قصوى لأي باحث يريد أن يطور نفسه ويواكب ما يجري في عالم اليوم، وعليه أصبح لتعلم اللغة الإنجليزية أهمية بالغة، ذلك أنها اللغة العالمية الأولى والأوسع انتشاراً في العالم، فهي لغة العلوم والتكنولوجيا، والبحث العلمي، ولغة السياحة والسفر، وهي لغة الكثير من المنظمات العلمية الطبية ولغة المؤتمرات الدولية والعمالة الأجنبية، ولغة الاقتصاد والتجارة الإلكترونية عن طريق شبكة الإنترنت، بالإضافة إلى ذلك فقد احتلت هذه اللغة مركزاً مرموقاً كونها لغة الكمبيوتر والدراسة في معظم الجامعات والمعاهد، وبما أن اللغة تعتبر أداة من أدوات الاتصال، فإن اللغة الإنجليزية تعتبر لغة عالمية، وهي وسيلة

اتصال ليس فقط بين متحدثي اللغة الإنجليزية كلغة أم، ولكنها أصبحت وسيلة اتصال بين كثير من المتحدثين بها كلغة ثانية .
وتتمثل الأهداف العامة لتدريس اللغة الإنجليزية باليمن فيما يلي:
أ- تزويد التلاميذ بمبادئ اللغة الإنجليزية الأساسية التي تؤهلهم لمواصلة دراسة اللغة الإنجليزية في الجامعة.
ب- تمكين التلاميذ من إتقان الحد المتوسط من اللغة الإنجليزية نطقاً وكتابة.

ج- إعطاء مدخل أساسيا لبعض مهارات الفهم القرائي.
د- تمكين التلاميذ من إتقان مهارة التفاهم مع الأجانب المتحدثين بالإنجليزية من خلال اللغة الشائعة المنطوقة والمكتوبة.
ويهدف تدريس مادة اللغة الإنجليزية بمرحلة التعليم الأساسي باليمن إلى تحقيق ما يلي:

- 1- تعلم أسس اللغة الإنجليزية التي سوف تمثل الأساس للتمكن منها في المستقبل.
- 2- استخدام التراكيب الأساسية للجمل الإنجليزية.
- 3- تعلم المفردات الأساسية المقررة لهذه المرحلة.
- 4- استماع وفهم اللغة الإنجليزية المبسطة.
- 5- قراءة وفهم مواضيع اللغة الإنجليزية المكتوبة بلغة مبسطة.
- 6- كتابة جمل مبسطة موجهة باللغة الإنجليزية .

ومرت مناهج اللغة الإنجليزية في الجمهورية اليمنية بمراحل مختلفة ومتعددة، وواجهتها الكثير من الصعوبات والتحديات سواءً قبل الوحدة اليمنية أو بعدها، فبعد الوحدة وتحديداً في مطلع العام الدراسي 1994/93 تم تعميم كتب اللغة الإنجليزية من سلسلة (English for Yemen) لتدريس اللغة الإنجليزية في جميع مدارس الثانوية العامة باليمن الموحد، وفي بداية العام الدراسي 1995/94 تم إدخال كتب اللغة الإنجليزية من سلسلة (English Course for Yemen Crescent) في الصف السابع الذي يبدأ فيه تدريس مادة اللغة الإنجليزية وفقاً للسلم التعليمي الجديد لمرحلة التعليم الأساسي، وفي بداية العام الدراسي 1998/97 تم إدخال كتب اللغة الإنجليزية من سلسلة (English Course for Yemen Crescent) في الصف الأول من التعليم الثانوي .

وهذا التغيير في الكتب من أهم المعوقات التي واجهتها عملية تدريس مادة اللغة الإنجليزية في اليمن، خصوصاً أنه لا يتم أخذ رأي المعلمين في مثل هذا التغيير، حيث إن إشراك المعلمين في إعداد وتطوير المناهج ضرورة لا بد منها، وهو ما أكدته دراسة (عبدالمنعم) ، ولكن مشكلتنا في اليمن هي أن إعداد وتطوير المناهج وتغييرها بين حين وآخر تبرز بوصفها أموراً فوقية مركزية، ولا يحق للمعلمين أن يشاركوا فيها مما أدى إلى تحطيم الروح المعنوية لديهم، وتتطلب الاتجاهات الحديثة التي تدعو إلى تعليم

اللغة الإنجليزية بوصفها أداة للتواصل، توافر الوسائل التعليمية الحديثة المتطورة، التي تعين معلّم اللغة على تطوير المهارات التي تحددها الأهداف، فعدم توافر الوسائل التعليمية السمعية والبصرية الحديثة، مثل: التلفزيون التعليمي، والمذياع، والأفلام التعليمية، والمعامل اللغوية، يعيق تدريس مادة اللغة الإنجليزية في اليمن، وقد أكدت نتائج دراسات كل من (فريق من الباحثين) ، (حمزة) ، (Abdul-Nasser) ، أن المعلمين في مرحلة التعليم الأساسي لا يستخدمون الوسائل التعليمية الحديثة في تدريس اللغة الإنجليزية، كالتلفزيون التعليمي، والأفلام السينمائية التعليمية، ومعمل اللغة، وجهاز عرض الشرائح، والأفلام الثابتة وغيرها.

إن تعليم الطفل اللغة الإنجليزية في سن مبكرة له إيجابيات وسلبيات نظراً لأهمية المرحلة العمرية المبكرة ويجب التركيز على دور مرحلة التعليم الأساسي في بناء شخصية التلميذ المستقبلية العلمية وإعطاء هذه المرحلة التعليمية أولوية في التخطيط والإعداد وتهيئة الظروف المناسبة لتعليم التلاميذ اللغة الإنجليزية، حيث إن قدرات التلميذ التعليمية تنمو خلال هذه المرحلة، فالتلميذ يكتسب المعرفة والمهارات ويتشبع بالقيم والاتجاهات ويستثمرها على أحسن وجه لتطوير شخصيته في جوانبها المختلفة، و أيضاً يجب التركيز على التلميذ من حيث إنه هو المصدر والمحور في العملية التربوية، فالطفل قبل المشي - على سبيل المثال - يجب أن يكون قادراً على

الوقوف، وكذلك التلميذ في مرحلة التعليم الأساسية، يجب رعايته وتهيئة الظروف التربوية والاجتماعية التي تغني نموه نمواً سليماً يتبلور في تفكيره وشعوره وعلاقاته ضمن وسطه المدرسي، وتعلم التلميذ اللغة الإنجليزية في هذه المرحلة إضافة إلى لغته الأم تعتبر عاملاً مساعداً على تنمية الملكات المختلف عنده، وتكون حافزاً له لحب التعلم ومصدراً للثقة بالنفس، وهو أحد المكونات لشخصيته المستقبلية .

إن الدول في ظل العولمة لن تستطيع العيش في عزلة من هذه التطورات الأمر الذي يؤكد الحاجة لتعلم لغة أجنبية، خاصة اللغة الأكثر انتشاراً والمرتبطة بهذا التقدم، مثل الإنجليزية، تيسر للفرد والمجتمع سبل التفاهم في العالم وتساعده على الاندماج فيه والاستفادة من انجازاته وكذلك المساهمة في زيادة مبتكراته، وهناك إيجابيات كثيرة لتعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة، وكان المؤيدون لتدريس اللغة الإنجليزية في سن مبكرة يستندون في تأييدهم إلى كثير من الآراء والأدلة التي كان من أبرزها:

- 1- إن تعلم اللغة الإنجليزية لدى الأطفال الصغار أسهل من تعلم الكبار لها.
- 2- إنه مع زيادة العمر تنقص المقدرة على تعلم واكتساب اللغة.

3- إن الأطفال قادرون على إخراج الأصوات بالمحاكاة والتقليد دون صعوبة.

4- إن مستوى البراعة اللغوية مرتفع لدى الأطفال.

5- تمتع الأطفال بالثقة بالنفس والحماس ولا يشعرون بالخوف من الوقوع في أخطاء لغوية عند التحدث بالإنجليزية كلغة أجنبية. .
ويضيف سكوفل الوارد في. (سلطان) ، بأن مرونة الدماغ قبل سن البلوغ تمكن الأطفال ليس فقط من اكتسابهم اللغة (الأم (الأولى، بل أيضاً من اكتساب اللغة الثانية، لذلك فإن مؤيدي تعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة يرون أن من إيجابيات تعلم اللغة الأجنبية في سن مبكرة زيادة الحصيلة اللغوية للتلاميذ وإتاحة فرصا تعليمية ووظيفية أفضل، وجعلهم أكثر تفهماً لثقافة العصر وأكثر مرونة في التعامل مع الآخرين، وكذلك يمكن الاستفادة من التقنيات الحديثة كالحاسب الآلي والانترنت وللنفاعل الإيجابي مع الشعوب والثقافات الأخرى والاطلاع على الأفكار والمفاهيم الحديثة في مجالات متعددة، وأيضاً فإن تعليم اللغة. الأجنبية في سن مبكرة سيشيح وقت أطول للتعلم، وسيهيئ الطلاب للمراحل الدراسية اللاحقة المتوسطة والثانوية، وسيوفر الوقت والجهد والمال وكذلك سيزيل شبح الخوف من هذه اللغة ويكسبهم الثقة ويحببها لنفوس الطلاب ويجعلها مأوفة لديهم. .

يتمتع الأطفال الذين درسوا اللغة الأجنبية في مرحلة التعليم الأساسي بمستويات عالية من البراعة والحدق، ويحققون أفضل النتائج في الاختبارات التي تقيس مستوى التحصيل في القراءة وفنون اللغة بخلاف الأطفال الذين لم يدرسوا اللغة الأجنبية في المرحلة الأساسية، ويتم تحصيل البراعة في اللغة الأجنبية نتيجة إطالة المدة في دراستها وذلك من خلال البدء المبكر في الدراسة من المرحلة الأساسية، كما أن التلاميذ الذين يبدؤون دراسة اللغة الثانية (الأجنبية) في سن مبكرة من المرحلة الأساسية، والذين يمنحون فرص الاستمرار في دراستها وممارستها داخل وخارج المدرسة تكون لديهم فرصاً أحسن كي يصبحوا بارعين وحاذقين في اللغة الأجنبية أكثر من أولئك التلاميذ الذين لم يدرسوها مبكراً. ونرى بأن يكون تدريس اللغة الإنجليزية من الصفوف الدنيا في مرحلة التعليم الأساسي، ونقترح أن يكون تدريسها من الصف الرابع الابتدائي بدلاً من الصف السابع، لأن ذلك لا يتعارض مع دراسة التلاميذ للغة الأم.

ويوجد فريق آخر من الذين يعارضون تدريس اللغة الأجنبية (الإنجليزية) في سن مبكرة، مبررين ذلك بأن لها سلبيات كثيرة ومنها:

1- مزاحمة المواد الرئيسة والتأثير السلبي المحتمل عليها مثل اللغة العربية والتربية الإسلامية.

2- إرباك التلاميذ لغوياً وعاطفياً، وزعزعت ثقتهم بلغتهم وثقافتهم، وسيجعلهم يتشربون بعض المفاهيم الأجنبية منذ الصغر، وذلك سيجعلهم يتعاطفون مع اللغة الأجنبية وثقافتها، وقد يؤثر على ولائهم العاطفي لدينهم ولغتهم وثقافتهم.

3- إن تعلم التلميذ اللغة الأجنبية في سن مبكرة يؤدي إلى توجيه أفكاره إلى الثقافات والعادات الغربية.

4- الحاجة إلى توفير عدد كبير من المعلمين لمادة اللغة الإنجليزية، في الوقت الذي تعاني هذه المادة النقص الحاد في معلميه.

5- زيادة الصورة المرسومة في عقول كثير من الآباء حول أهمية اللغة الإنجليزية.

6- عدم توافر المعلم الكفاء في الجانب التربوي والأكاديمي.

7- تداخل الأنظمة اللغوية لدى المتعلم، من الإنجليزية إلى العربية والعكس على جميع المستويات اللغوية (التداخل الصوتي) مثل يلفظ الطلاب الكاف (K) وكثرة الأخطاء الإملائية.

ويوجد فريق ثالث يدعو إلى إلغاء تدريس اللغة الأجنبية (الإنجليزية) في سن مبكرة، مبررين ذلك بأن لها سلبيات كثيرة ومنها:

- 1- أصبح تدريس اللغة الإنجليزية أحد الأسباب التي تؤدي إلى تسرب التلاميذ من صفوف الدراسة، نتيجة لارتفاع نسبة الرسوب فيها، وفشل كثير من التلاميذ في تعلمها.
- 2- حصيلة التلاميذ في اللغة الإنجليزية لا تساوي ما بذل فيها من جهود وما انفق عليها من مصروفات.
- 3- لا توجد حاجة ماسة للتلميذ لدراسة اللغة في هذه المرحلة.
- 4- تدريس اللغات الأجنبية في المرحلة الابتدائية في كل من بريطانيا وأمريكا في الستينات أثبت فشله، الأمر الذي جعل تلك الدول تقصر تدريس اللغات الأجنبية على المرحلة الثانوية .

ثانياً: الدراسات سابقة

1- دراسة (حليمة، 2018)

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن صعوبات تعلم اللغة الإنجليزية من وجهة نظر الأساتذة والأولياء، ولتحقيق أغراض الدراسة استخدمت الباحثة المنهج الوصفي، والأداة استبيان ملائم لطبيعة الدراسة، وكانت عينة الدراسة متمثلة في (10) أساتذة و (20) ولي أمر، وكانت النتائج: يرجع الأساتذة صعوبات تعلم اللغة الإنجليزية إلى العوامل الشخصية أولاً ثم التربوية، فالشخصية متعلقة بالتلميذ من حيث عدم قدرته على التفارقة بين أصوات حروف اللغة الإنجليزية، وعوامل تربوية متعلقة بالأساتذة والذي عليهم أن يستعينوا بالأساليب التعليمية المتوازنة والتي ستقود إلى

اكتساب التلاميذ للغة، و يرجع الأولياء صعوبات تعلم اللغة الإنجليزية إلى عوامل تربوية أي المدرس ثم إلى عوامل اجتماعية، فالتربوية تتعلق بعدم اختيار معلمين اللغة الإنجليزية بكل عناية وحرص لإيصال المعلومة للتلميذ، وضعف تدريبهم وإعدادهم الإعداد المطلوب. والعوامل الاجتماعية خاصة بالوالدين إذ يتمتعان بمستوى ثقافي وتعليمي لا بأس به لكنهم لا يستطيعون مساعدة أبنائهم في تعلم اللغة الإنجليزية وإن كانوا مثقفين لأن الاستعمال اللغوي لهم فرنسي فهم يتحدثون باللغة الفرنسية أكثر من اللغة الإنجليزية، ومشاهداتهم للبرامج أو الحصص التلفزيونية تكون بالفرنسية أكثر.

2- دراسة (تمارا، 2015)

هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة المشكلات التي يواجهها معلمو المرحلة الأساسية الدنيا في تدريس اللغة الإنجليزية في مدارس مديرية نابلس الحكومية، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، تكونت عينة الدراسة من (116) معلماً ومعلمة، والأداة استبانة مكونة من سبعة مجالات، توصلت النتائج إلى أن المجالات السبعة ككل التي تقيس درجة المشكلات التي يواجهها المعلمون كان تقديرها متوسط وبلغ متوسطها الحسابي (2.87)، بينما المجالات منفردة كانت تقديراتها بين المرتفعة والمتوسطة، أما ترتيب مجالات الدراسة فقد جاءت تنازلياً على النحو التالي:

فالمجال السابع المتعلق بالمشكلات التي تعود للمتعلمين جاء في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (3.80)، وجاء في المرتبة الثانية المجال الرابع المتعلق بالمشكلات التي تعود للمحتوى بمتوسط حسابي (3.69)،. بينما حل في المرتبة الثالثة المجال الأول المتعلق بالمشكلات التي تعود للأهداف بمتوسط حسابي (3.06)، وكانت تقديرات المجالات الثلاثة مرتفعة، وفي المرتبة الرابعة جاء المجال السادس المتعلق بمشكلات طرائق التدريس، بينما في المرتبة الخامسة جاء المجال الثاني المتعلق بالمشكلات التي تعود للمجتمع المحلي، وجاء في المرتبة السادسة المجال الثالث المتعلق بالمشكلات التي تعود للوسائل التعليمية وتكنولوجيا التعليم، وفي المرتبة السابعة جاء المجال الخامس المتعلق بمشكلات الإشراف التربوي، وكانت تقديرات المجالات الأربعة متوسطة. عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $(\alpha = 05, 0)$ للمشكلات التي تواجه المعلمين في تدريس اللغة الانجليزية تعزى لمتغيرات الجنس وعدد سنوات الخبرة.

3- دراسة (سامي، 2013)

هدفت الدراسة إلى التعرف على مشكلات تدريس اللغة الإنجليزية لطلبة الصف الأول الثانوي في مديريات تربية الكرك من وجهة نظر المعلمين، استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، تكونت عينة الدراسة من (60) معلماً ومعلمة، والأداة استبانة مكونة من

(60) فقرة، توصلت النتائج إلى أن مستوى حدة مشكلات تدريس اللغة الإنجليزية التي تواجه طلبة الصف الأول الثانوي من وجهة نظر المعلمين كان مرتفعا في محاور الدراسة ككل بمتوسط حسابي بلغ (3.83)، بينما المجالات بشكل منفرد جاءت على النحو التالي: احتل محور الطالب المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (4.14)، وفي المرتبة الثانية جاء محور المقرر (المحتوى) بمتوسط حسابي (3.75)، وكانت حدة المشكلات في المحورين مرتفعة. وحل في المرتبة الثالثة محور المعلم بمتوسط حسابي (3.66)، وكانت حدة المشكلات فيه متوسطة.

عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($a = 0, 05$) لمشكلات تدريس اللغة الإنجليزية التي تواجه طلبة الصف الأول الثانوي من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير الجنس.

وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($a = 05, 0$) لمشكلات تدريس اللغة الإنجليزية التي تواجه طلبة الصف الأول الثانوي من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير عدد سنوات الخبرة لصالح ذوي الخبرة 10 سنوات فأكثر.

وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($a = 05, 0$) لمشكلات تدريس اللغة الإنجليزية التي تواجه طلبة الصف الأول الثانوي من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير المؤهل العلمي، لصالح ذوي المؤهل (بكالوريوس + دبلوم) و (دراسات عليا).

4- دراسة (فواز، 2009)

هدفت الدراسة إلى التعرف على الصعوبات التي تواجه طلاب المرحلة الثانوية في تعلم مهارة قراءة اللغة الإنجليزية والتي تعود إلى المعلم، والطالب، والمقرر الدراسي، والوسائل التعليمية، وطرق التدريس، استخدم الباحث المنهج الوصفي لأنه الأنسب لمعرفة الواقع لجوانب الدراسة، تكونت عينة الدراسة من (98) معلماً و (12) مشرفاً، وقام الباحث بإعداد استبانته موحدة لجميع أفراد العينة لجمع البيانات اللازمة للإجابة على تساؤلات الدراسة، توصلت النتائج إلى وجود صعوبات تواجه طلاب المرحلة الثانوية في تعلم مهارة قراءة اللغة الإنجليزية تعود إلى المعلم بسبب أن المعلم غير متمكن من تدريس مهارة القراءة، كما أنه لا يربط مهارة القراءة بالمهارات الأخرى، وكذلك يقرأ الجملة أو القطعة مرة واحدة فقط، واستخدام المعلم اللغة العربية أثناء الشرح بكثرة، وصعوبات تعود إلى الطلاب بسبب ندرة ممارستهم للقراءة خارج الصف، وفقدان الدافعية لديهم، وقلة إلمامهم بمفردات اللغة الإنجليزية، كما أن هناك صعوبات تعود إلى المقرر الدراسي بسبب عدم مراعاة مقرر اللغة الإنجليزية خطوات تعليم مهارة القراءة، وقلة التدريبات في المقرر على أنواع القراءة، و كذلك طول قطعة القراءة، كما أن بعض الموضوعات غير مشوقة للقراءة، وهناك صعوبات تعود إلى الوسائل التعليمية بسبب قلة توفر معامل خاصة بتعليم اللغة

الإنجليزية، وقلة الأنشطة التي تساعد الطلاب على ممارسة مهارة القراءة خارج الصف، وقلة توفر تقنيات التعليم المناسبة لتعليم مهارة القراءة، وهناك صعوبات تعود إلى طرق التدريس بسبب قلة استخدام استراتيجيات التدريس الحديثة، وعدم ملائمة بعض طرق التدريس لخصائص الطلاب.

5- دراسة (Allen, 2008)

هدفت الدراسة إلى التعرف على العقبات التي تواجه تعليم وتعلم اللغة الإنجليزية في المدارس الابتدائية في تنزانيا، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، تكونت عينة الدراسة من (10) معلمين و (14) تلميذ، والأداة الملاحظة حيث قامت الباحثة بتطبيق ورشة عمل على كل من المعلمين والتلاميذ، وملاحظة أدائهم من أجل التعرف على أسباب الضعف في تعليم اللغة الإنجليزية والمشكلات المرتبطة بذلك، من النتائج التي توصلت لها الدراسة ضعف المستوى الأكاديمي والمهني للمعلمين، عدم وجود دافعية لتعليم وتعلم اللغة الإنجليزية لدى كل من المعلمين والتلاميذ لأنها ليست لغتهم الأصلية،

6- دراسة (راشد، 2008)

هدفت الدراسة إلى معرفة أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ المرحلة المتوسطة في تعلم اللغة الإنجليزية من وجهة نظر الأكاديميين والمعلمين والمشرفين، وقام الباحث بإعداد استبانته موحدة لجميع أفراد العينة لجمع البيانات اللازمة للإجابة على تساؤلات الدراسة، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، وتكونت عينة أداة الدراسة من (7) أكاديميين

(13)) مشرفاً و (90) معلماً، وتوصلت الدراسة إلى أن أسباب التدني تعود للمقرر الدراسي، إذ أنه صعب ويقتصر على تزويد التلاميذ بالمعلومات، و لا يراعي الفروق الفردية فيما بينهم، كثافة الكم المعرفي للمقرر الدراسي.

7- دراسة (عبدالعزيز، 2005)

هدفت الدراسة إلى معرفة أهم مشكلات تدريس اللغة الإنجليزية لطلاب المرحلة الثانوية من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التربويين، واستخدمت المنهج الوصفي، وتكونت العينة من معلمي مادة اللغة الإنجليزية ومشرفيها للمرحلة الثانوية في منطقة الرياض التعليمية البالغ عددهم (105) معلماً ومعلمة، و(20) مشرفاً ومشرفة، والأداة استبانة، وتوصلت الدراسة في نتائجها أن المشكلات التي اتفق رأي المعلمين والمشرفين على أنها قوية جداً عددها (16) ست عشرة مشكلة تتعلق بالوسائل التعليمية وأساليب التقويم.

8- دراسة (أحمد، 2004)

هدفت الدراسة إلى التعرف على صعوبات تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلة الثانوية كما يراها الطلبة ومعلموهم، واستخدمت المنهج الوصفي، تكون مجتمع الدراسة من طلبة ثمان مدارس ثانوية في محافظة أبين وقد بلغ عددهم (1564) طالب وطالبة، وكذلك من جميع معلمي اللغة الإنجليزية بالمرحلة الثانوية بمحافظة أبين والبالغ عددهم (53) معلماً ومعلمة، أما عينة الدراسة فقد تكونت من (360) طالب وطالبة (23) معلماً ومعلمة. وكان للدراسة أداتين استبانة خاصة بالمعلمين وأخرى بالطلبة، وأظهرت نتائج الدراسة أن أهم الصعوبات التي تواجه المعلمين والطلبة في تدريس مادة اللغة الإنجليزية تركزت في محور الطالب الذي احتل المرتبة الأولى، ومنها: ضعف ارتباط المحتوى بحياتنا اليومية، عدم توافر المختبرات اللغوية في مدارسنا، ضعف الأنشطة التي تنمي مهارات المحادثة والاستماع.

9- دراسة (وفاء، 2001)

هدفت الدراسة إلى تحديد أهم مشكلات منهج اللغة الإنجليزية للصف الأول ثانوي للبنات من وجهة نظر المعلمات بمحافظة الطائف، واستخدمت المنهج الوصفي، تكونت عينة الدراسة من (103) من معلمات اللغة الإنجليزية بمحافظة الطائف، والأداة

استبانة مكونة من (55) فقرة، وكانت أهم النتائج التي تم التوصل إليها: عدم تركيز الأهداف على استخدام اللغة الإنجليزية خارج الفصل ومواجهة مشكلة الاتصال الفكري والثقافي بالعالم، لا تشجع الأهداف على تنمية اللغة الإنجليزية من مصادر ووسائل أخرى كالأفلام التعليمية والدورات وغيرها، افتقار المحتوى للموضوعات الشيقة والحديثة وطوله بما لا يتناسب مع الزمن المخصص له، لا يشجع المحتوى الطالبة على التعلم الذاتي، ندرة الوسائل التعليمية الحديثة، كثرة أعباء المعلمة التي تعيقها من استخدام طرق تدريس حديثة ومتنوعة وافتقار وسائل التقويم للتتبع واستهلاكها للكثير من الوقت والجهد.

10-دراسة (عبدالسلام،2000)

هدفت الدراسة إلى الكشف عن المشكلات التي تواجه المعلمين والموجهين التربويين في تدريس مادة اللغة الإنجليزية في المرحلة الثانوية بمدينة عدن، واستخدمت المنهج الوصفي، تكون مجتمع الدراسة من (119) معلماً ومعلمة لمادة اللغة الإنجليزية بالمرحلة الثانوية بمحافظة عدن، والأداة استبانة تكونت من (45) فقرة، وكشفت نتائج الدراسة أن أكثر المشكلات حدة تركزت في الوسائل التعليمية وأهما: عدم توافر المختبرات اللغوية عدم توافر الوسائل التعليمية الآلية المرئية (تلفزيون)، قلة الوسائل التعليمية الآلية المسموعة كالمسجل كاست، افتقار المعلم إلى الدوريات والنشرات

والمراجع المتخصصة وغياب الدليل التخصصي (المرشد المدرسي).

التعليق على الدراسات السابقة وأهميتها للدراسة الحالية من خلال استعراض الدراسات السابقة لوحظ أن هناك تنوع في، أهدافها، وعيانتها، وأدواتها، ومراحلها، فمن حيث الأهداف كان هدف دراسات كل من (حليمة 2018، تمارا 2015، سامي 2013، فواز 2009، Allen 2008، عبدالعزيز 2005، أحمد 2004، وفاء 2001، عبدالسلام 2000) التعرف على صعوبات أو عقبات أو مشكلات تدريس اللغة الإنجليزية، بينما دراسة (راشد، 2008) كان هدفها التعرف على أسباب تدني مستوى تحصيل التلاميذ في اللغة الإنجليزية، وهو ما يتفق مع هدف دراستنا الحالية. وتباينت المراحل التعليمية للدراسات فمنها من أخذ التعليم الثانوي كدراسة كل من (سامي 2013، فواز 2009، عبدالعزيز 2005، أحمد 2004، وفاء 2001، عبدالسلام 2000) ومنها من اخذ التعليم الأساسي كدراسات كل من (حليمة 2018، تمارا 2015، Allen- 2008، راشد، 2008) وهو ما يتفق مع مرحلة التعليم الأساسي التي تم تطبيق دراستنا فيها. واتفقت عينات الدراسات ما عدا واحدة، فجميع الدراسات كانت عينتها من المعلمين أو التلاميذ، أو الطلبة، أو المشرفين التربويين، وهذا ما يتفق مع عينة دراستنا الحالية، ولكن دراسة (حليمة، 2018) اختلفت عن عينة دراستنا الحالية

فكانت عينتها من الأستاذة وأولياء الأمور. واتفقت جميع أدوات الدراسات مع أداة دراستنا الحالية وهي الاستبانة، ماعدا دراسة (Allen, 2008) كانت أدواتها الملاحظة. واتفقت جميع الدراسات مع دراستنا الحالية من حيث استخدامها المنهج الوصفي. وعليه يمكن القول أن الدراسات السابقة لها دور مهم في تعزيز الدراسة الحالية وإنضاج مساراتها، رغم وجود بعض الاختلافات في الأهداف.

:وقد استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة ما يلي

بناء أداة الدراسة المتعلقة بأسباب تدني مستوى التلاميذ -1

%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
30.76	28	38.88	07	31.25	05	34.28	12	18.18
69.24	63	61.12	11	68.75	11	65.72	23	81.82
100	91	100	18	100	16	100	35	100
05.49	05	05.55	01	06.25	01	2.85	01	9.09
87.92	80	88.89	16	87.50	14	88.58	31	86.36
06.59	06	05.56	01	06.25	01	08.57	03	04.55
100	91	100	18	100	16	100	35	100
07.69	07	-----	--	-----	---	08.57	03	18.18
16.48	15	11.11	02	18.75	03	11.43	04	27.27
75.83	69	88.89	16	81.25	13	80.00	28	54.55
100	91	100	18	100	16	100	35	100

في تعلم مادة اللغة الإنجليزية

- 2-
- 3- في مرحلة التعليم الأساسي بمحافظة عدن.
- 4- اختيار العينة وتنفيذ التصميم الوصفي للدراسة.
- 5- إعطاء تعريفات إجرائية واضحة ومحددة.
- 6- التطبيق الميداني وكيفية تنفيذ خطواته، والمعالجات الإحصائية.

منهجية الدراسة وإجراءاتها

1- منهج الدراسة

استخدمنا في الدراسة الحالية المنهج الوصفي التحليلي، كما تم استخدام المنهج التحليلي، وذلك من خلال استخدام الإحصاء التحليلي المتمثل في التوصل إلى النتائج المتعلقة بالفروق بين متوسطات استجابات أفراد عينة الدراسة وفقاً لمتغيراتها، الجنس، المؤهل العلمي وعدد سنوات الخبرة .

2- مجتمع الدراسة Study's Population

تكون مجتمع الدراسة من جميع معلمي ومعلمات مادة اللغة الإنجليزية في مدارس التعليم الأساسي الحكومية التابعة لمكتب التربية والتعليم محافظة عدن.

3- عينة الدراسة Study's Sample

تم اختيار عينة الدراسة عشوائياً من أربع مديريات في محافظة عدن هي (خورمكسر، كريتر، المعلا والتواهي) بنسبة 46 % من أجمالي

ثمان مديريات تتكون منها محافظة عدن، إذ بلغ عدد أفراد العينة (91) فرداً، منهم (41) معلماً و(50) معلمة، ويبين الجدول رقم (1) خصائص عينة الدراسة.

جدول (1) خصائص عينة المعلمين والمعلمات

يتضح من الجدول (1) تفاوت نسبة المعلمين والمعلمات والذين كان غالبيتهم من حملة شهادة البكالوريوس بنسبة (87.92%)، كما يظهر أن سنوات الخبرة للمعلمين والمعلمات كانت الخبرة الكثيرة وبلغت نسبتهم (75.83 %) بينما من حيث الجنس كانت نسبة الإناث أكثر إذ بلغت (69.24%).

4- أداة الدراسة Study's Tool

وقد تم إعداد الأداة في صورتها الأولية، من خلال قيام الباحثان بتصميم استبانة مغلقة اشتملت على أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن مكون من (65) فقرة، وكانت موزعة على ستة مجالات، وبعد التحكيم أصبحت الأداة في صورتها النهائية مكونة من (60) فقرة، موزعة على ستة مجالات وهي: مجال الأهداف التعليمية واشتمل على (10) فقرات، ومجال طرائق التدريس واشتمل على (10) فقرات، ومجال أساليب التقويم واشتمل على (10) فقرات، ومجال المعلم واشتمل على (10) فقرات ومجال التلميذ واشتمل على (10) فقرات.

وقد استخدم الباحثان مقياس ليكرت الخماسي لتحديد خلايا المقياس (كبيرة جداً، كبيرة، متوسطة، ضعيفة، ضعيفة جداً) على التوالي (5،4،3،2،1) ولتحديد طول مقياس ليكرت الخماسي "الحدود الدنيا والعليا" تم حساب المدى (5-1=4)، ثم تقسيمه على عدد خلايا المقياس للحصول على طول الخلية الصحيح أي $5/4 = 0.80$ ، بعد ذلك يتم إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس أو بداية المقياس وهي الواحد الصحيح، وذلك لتحديد الحد الأعلى لهذه الخلية وهكذا أصبح طول الخلايا كما يأتي: متوسط حسابي (1 - 1.80) يعني بدرجة ضعيفة جداً- ومتوسط حسابي (1.81 - 2.60) يعني بدرجة ضعيفة - ومتوسط حسابي (2.61 - 3.40) يعني بدرجة متوسطة - ومتوسط حسابي (3.41 - 4.20) يعني بدرجة كبيرة - ومتوسط حسابي (4.21 - 5) يعني بدرجة كبيرة جداً.

5- صدق الأداة وثباتها Validity & Stability Study's Tool

للتحقق من صدق محتوى أداة الدراسة، والتأكد من أنها تخدم أهدافها، تم عرضها على عدد من الخبراء المتخصصين في مجال المناهج وطرائق التدريس، واللغة الإنجليزية من أساتذة جامعة عدن، وموجهي ومعلمي مادة اللغة الإنجليزية المتميزين، والباحثين في مركز البحوث والتطوير التربوي/ عدن، وفي ضوء نتائج التحكيم تم تعديل

محتوى بعض الفقرات لتُصبح أكثر ملائمة، وحذف بعض الفقرات وإضافة فقرات جديدة، وتصحيح بعض أخطاء الصياغة اللغوية، وقد اعتبر الباحثان الأخذ بملاحظات المحكّمين، وإجراء التعديلات المشار إليها أعلاه بمثابة الصدق الظاهري للأداة وأنها صالحة لقياس ما وضعت له.

ولغرض استخراج معامل ثبات أداة الدراسة استخدم الباحثان طريقة التجزئة النصفية، وذلك بعد أن تم تطبيق أداة الدراسة على (20) فرداً من معلمي ومعلمات مادة اللغة الإنجليزية من خارج أفراد عينة الدراسة الأصلية لمرة واحدة، واستخدمنا طريقة كرونباخ الفاء لاستخراج معامل الاتساق الداخلي بين الفقرات، وقد بلغ الثبات الكلي لأداة الدراسة (2.86)، وبلغ معامل الاتساق الداخلي (82.5)، ويعتقد الباحثين أن هذه القيم مؤشراً كافياً لمناسبة الأداة لقياس ما وضعت لقياسه.

6- تطبيق أداة الدراسة Application Study's Tool

بعد أن وضعت أداة الدراسة في صورتها النهائية، وأصبحت جاهزة للتطبيق، أستاذن الباحثان إدارة التربية والتعليم بمحافظة عدن للقيام بعملية التطبيق، وتم توزيع الأداة على أفراد عينة الدراسة، وتمت عملية التطبيق في جدول زمني، حيث حُصص أسبوعين للتطبيق، وتم ذلك خلال شهر فبراير 2018 من الفصل الدراسي الثاني للعام

الدراسي 2017/2018، وبعد جمع الأداة من المستجيبين تم معالجتها إحصائياً.

7- جمع البيانات والمعالجات الإحصائية

يعد تطبيق أداة الدراسة على عينة الدراسة معلمي ومعلمات اللغة الإنجليزية، قام الباحثان بتصنيف الاستبانات حسب متغيرات الدراسة، وتمت عملية التفرغ وفق المعايير المحددة في أداة الدراسة، ثم قام الباحثان بمعالجة البيانات باستخدام النظم الإحصائية، ((Spss وتمثلت في استخدام المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية لمعرفة تقديرات العينة للأسباب، واستخدم اختبار تي T. test و تحليل التباين الأحادي لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية حول أسباب تدني مستوى التلاميذ في تعلم مادة اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الأساسي بمحافظة عدن، وفقاً لمتغيرات الدراسة الجنس، المؤهل العلمي وعدد سنوات الخبرة.

عرض ومناقشة نتائج الدراسة

أولاً: للإجابة على السؤال الأول ونص على: ما أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن من وجهة نظر معلمي المادة؟ تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة T. test لمجالات الدراسة بشكل عام، ثم لكل مجال على حدة.

أ- النتائج المتعلقة بجميع مجالات الدراسة يوضحها جدول

رقم (2) .

جدول (2) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمجالات

الدراسة مرتبة تنازلياً بحسب متوسطاتها الحسابية (من وجهة نظر

معلمي المادة)

م	المجالات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ترتيب المجالات	درجة قوة السبب
1	الأهداف التعليمية	4.04	0.35	2	كبيرة
2	المحتوى الدراسي	4.12	0.29	1	كبيرة
3	طرائق التدريس	3.63	0.43	4	كبيرة
4	أساليب التقويم	3.93	0.33	3	كبيرة
5	التلميذ	3.48	0.32	6	كبيرة
6	المعلم	3.51	0.33	5	كبيرة
	جميع المجالات	3.79	0.13	-----	كبيرة

يتضح من الجدول رقم (2) أن جميع مجالات الدراسة قد حازت على درجة قوة سبب كبيرة تراوحت متوسطاتها بين (3.48 - 4.12)، إذ احتل مجال المحتوى الدراسي على المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (4.12)، واحتل مجال الأهداف التعليمية المرتبة الثانية بمتوسط حسابي (4.04)، وجاء مجال أساليب التقويم في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (3.93)، بينما احتل مجال طرائق التدريس المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (3.63)، ثم تلاه مجال المعلم بمتوسط حسابي (3.51) في المرتبة الخامسة، وجاء في المرتبة السادسة والأخيرة مجال التلميذ بمتوسط حسابي (3.48)، أما المجالات مجتمعة فقد حصلت على متوسط حسابي (3.79) مما يتضح أن درجة أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن من وجهة نظر معلمي المادة جاءت كبيرة، ويعزى السبب إلى إن مكونات المنهاج كنظام (المدخلات، العمليات والمخرجات) المتمثلة في المكونات الأربعة للمنهاج (الأهداف، المحتوى، طرائق التدريس والتقويم) وقطبي عملية التدريس المعلم والتلميذ وغيرها، كلها بحاجة إلى تقويم لإعادة النظر في المناهج الحالية لمادة اللغة الإنجليزية التي لم تغير أو تعدل منذ أربعة وعشرين عاما. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (الضمور، 2013) التي حصلت محاورها ككل على متوسط حسابي (3.83) ومحور الطالب (4.14)،

ومحور المحتوى (3.75) ومحور المعلم (3.66). ودراسة (حلي، 2015) إذ بلغ المتوسط الحسابي لمجالات المتعلمين والمحتوى على التوالي (3.80 و 3.69).

مجالات الدراسة كل على حدة

سنستعرض إجابات المعلمين حسب فقرات كل مجال على حدة كما هي متسلسلة في المرتبة التي حصلت عليها وهي كالتالي:

1- النتائج المتعلقة بمجال المحتوى الدراسي

جدول (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات

العينة لفقرات مجال المحتوى

الدراسي مرتبة تنازلياً بحسب متوسطاتها الحسابية (من وجه نظر

معلمي المادة)

م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة قوة السبب
18	صعوبة محتوى دروس كتب اللغة الإنجليزية غير متدرج.	4.75	0.61	1	كبيرة جداً
12	التركيز على الجانب المعرفي في كتب اللغة الإنجليزية.	4.70	0.72	2	-----

15	تفاوت توازن محتوى الوحدات الدراسية في كتب اللغة الإنجليزية من حيث شموله	4.55	0.74	3	-----
----	---	------	------	---	-------

				وعمقه.	
-----	4	0.66	4.45	تنظيم الدروس في كتب اللغة الإنجليزية غير متصل منطقياً	20
---	5	0.61	4.35	قلة التطبيقات المتنوعة في دروس كتب اللغة الإنجليزية.	13
كبيرة	6	0.70	4.08	تجاهل رأي المعلمين ذوي الخبرة عند تأليف محتوى كتب اللغة الإنجليزية.	19
-----	7	0.66	3.75	قلة عدد الحصص الأسبوعية لتدريس محتوى كتب اللغة الإنجليزية	17
-----	8	0.91	3.71	محتوى دروس كتب اللغة الإنجليزية لا يساعد على إتقان مهارتي القراءة والكتابة.	11
-----	9	0.90	3.48	محتوى الدروس في كتب اللغة الإنجليزية لا يراعي الفروق الفردية بين التلاميذ	16
---	10	0.88	3.42	ضعف ارتباط محتوى كتب اللغة الإنجليزية بحياة التلاميذ.	14
كبيرة		0.29	4.12	المتوسط العام لمجال المحتوى الدراسي	

يتضح من الجدول رقم (3) تفاوت فقرات مجال المحتوى الدراسي في درجة قوة السبب بين الكبيرة جداً، والكبيرة، لذلك حازت خمس فقرات في هذا المجال على درجة قوة السبب "كبيرة جداً" تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (4.35 - 4.75)، كما حازت خمس

فقرات على درجة قوة السبب "كبيرة" تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (3.42- 4.08).

وتشير القيم المنخفضة للانحرافات المعيارية للانسجام الكبير في إجابة معلمي مادة اللغة الإنجليزية لفقرات هذا المجال، أما المتوسط العام لمجال المحتوى فقد بلغ (4.12) الأمر الذي يشير أنه من المجالات التي أسبابها تقف عائقاً أمام التلاميذ في تعلم مادة اللغة الإنجليزية مما أدى إلى تدني مستواهم الدراسي.

جاءت الفقرة رقم (18) في الاستبيان "صعوبة محتوى دروس كتب اللغة الإنجليزية غير متدرج" في المرتبة الأولى في مجال المحتوى بمتوسط حسابي (4.75) وهو يمثل درجة قوة سبب "كبيرة جداً" ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى المحتوى الدراسي للكتب غير مناسب لظروف البيئة الاجتماعية اليمينية، نتيجة لأن محتوى الكتب تم إعداده من قبل خبراء أجانب وتم تجاهل رأي المعلمين أو الخبراء اليمينيين عند تأليف محتوى كتب اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الأساسي .

جاءت الفقرة رقم (14) في الاستبيان "ضعف ارتباط محتوى كتب اللغة الإنجليزية بحياة التلاميذ" في المرتبة الأخيرة في مجال المحتوى بمتوسط حسابي (3.42) وهو يمثل درجة قوة سبب "كبيرة" ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى أن القائمين على عملية إعداد الكتب لم يعطوا مادة اللغة الإنجليزية مكانتها وأهميتها بالنسبة

للتلاميذ اليمنيين، حيث كثفوا من الموضوعات المقررة في الكتاب المدرسي والتي تمتاز بالحشو، نتيجة أن الجهات الخارجية التي أعدت الكتب ليس لديها خلفية كافية بظروف وطبيعة البيئة اليمنية.

1- النتائج المتعلقة بمجال الأهداف التعليمية

جدول (4) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات العينة لفقرات مجال الأهداف

التعليمية مرتبة تنازلياً بحسب متوسطاتها الحسابية (من وجه نظر

معلمي المادة)

م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة قوة السبب
5	قلة معرفة معلمي مادة اللغة الإنجليزية بربط أهداف الدروس ببقية عناصرها.	4.20	0.39	1	كبيرة
8	يواجه معلمي مادة اللغة الإنجليزية صعوبة في اشتقاق الأهداف السلوكية للدروس.	4.18	0.36	2	-----
7	يركز معلمي مادة اللغة الإنجليزية في صياغة الأهداف السلوكية للدروس على الجانب المعرفي.	4.16	0.72	3	-----
6	صياغة مادة اللغة الإنجليزية للأهداف السلوكية للدروس لا تنسجم مع محتواها	4.14	0.55	4	-----
9	صياغة معلمي مادة اللغة الإنجليزية للأهداف السلوكية للدروس تصف سلوك المتعلم.	4.12	0.63	5	
10	صياغة معلمي مادة اللغة الإنجليزية للأهداف السلوكية للدروس تأتي على شكل نتائج تعليمية.	3.98	0.60	6	-----

-----	7	0.83	3.96	صياغة معلمي مادة اللغة الإنجليزية للأهداف السلوكية للدروس لا تراعي الفروق الفردية بين التلاميذ.	4
-----	8	0.81	3.94	قلة معرفة معلمي مادة اللغة الإنجليزية في التمييز بين أهداف مستويات المجال المعرفي.	1
---	9	0.62	3.92	قلة معرفة معلمي مادة اللغة الإنجليزية في التمييز بين أهداف مستويات المجال الوجداني.	2
---	10	0.58	3.85	قلة معرفة معلمي مادة اللغة الإنجليزية في التمييز بين أهداف مستويات المجال المهاري.	3
كبيرة		0.35	4.04	المتوسط العام لمجال الأهداف التعليمية	

يتضح من الجدول رقم (4) حصول جميع فقرات مجال الأهداف التعليمية على درجة قوة سبب "كبيرة"، تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (3.85- 4.20). وتشير القيم المنخفضة للانحرافات المعيارية الانسجام الكبير في إجابة معلمي مادة اللغة الإنجليزية لفقرات هذا المجال. أما المتوسط العام لمجال الأهداف فقد بلغ (4.04) الأمر الذي يشير أنه من المجالات التي تقف عائقاً أمام التلاميذ في تعلم مادة اللغة الإنجليزية مما أدى إلى تدني مستواهم الدراسي.

جاءت الفقرة رقم (5) في الاستبيان "قلة معرفة معلمي مادة اللغة الإنجليزية بربط أهداف الدروس ببقية عناصرها" في المرتبة الأولى في مجال الأهداف بمتوسط حسابي (4.20) وهو يمثل درجة قوة سبب "كبيرة" ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى أن الأهداف هي أهم عنصر من مكونات المنهاج الأربعة، وعلى أساسه تبنى العناصر الثلاثة الأخرى، فعلى أساس الهدف يأتي المحتوى، وتختار طريقة التدريس والوسيلة التعليمية، ثم أسلوب التقويم، ولا نستغرب عندما نرى أن صياغة الهدف لا تتسجم مع أسلوب تقويمه عند كثير من المعلمين، وهذا يدل على أن هناك فجوة عند المعلمين في أدراك العلاقة الترابطية بين مكونات المنهاج، لذلك احتلت هذه الفقرة المرتبة الأولى في هذا المجال المهم وهو (الأهداف التعليمية).

جاءت الفقرة رقم (3) في الاستبيان "قلة معرفة معلمي مادة اللغة الإنجليزية في التمييز بين أهداف مستويات المجال المهاري" في المرتبة الأخيرة في مجال الأهداف بمتوسط حسابي (3.85) وهو يمثل درجة قوة سبب "كبيرة" ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى أن معلمي مادة اللغة الإنجليزية يهتمون الجانب المهاري ويركزون بشكل أساسي على الجانب المعرفي عند التلميذ، معتمدين في ذلك على طرائق التدريس العتيقة في تدريس المادة، وهي لا

تتمي أي جانب مهاري عند التلاميذ لأنها تعتمد على أسلوب
التلقين وحشو للمعارف.

النتائج المتعلقة بمجال أساليب التقويم

جدول (5) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات

العينة لفقرات مجال أساليب

التقويم مرتبة تنازلياً بحسب متوسطاتها الحسابية (من وجه نظر

معلمي المادة)

م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة قوة السبب
37	ندرة إتباع معلمي مادة اللغة الإنجليزية لمراحل بناء الاختبار التحصيلي.	4.38	0.72	1	كبيرة جداً
32	قلة اعتماد معلمي مادة اللغة الإنجليزية على جدول المواصفات في بناء اختبار تحصيلي لتقويم تحصيل التلاميذ	4.36	0.69	2	-----

-----	3	0.96	4.22	يركز معلمي مادة اللغة الإنجليزية في تقويم تحصيل التلاميذ على الجانب المعرفي.
كبيرة	4	0.94	4.12	ضعف ربط معلمي مادة اللغة الإنجليزية عملية تقويم تحصيل التلاميذ بأهداف الدروس.
-----	5	0.87	4.10	قلة استخدام معلمي مادة اللغة الإنجليزية للاختبارات الشفوية في تقويم تحصيل التلاميذ.
-----	6	0.98	4.01	ندرة استخدام معلمي مادة اللغة الإنجليزية لجميع أنواع الاختبارات التحصيلية التحريرية في تقويم تحصيل التلاميذ.
-----	7	0.65	3.74	ندرة اعتماد معلمي مادة اللغة الإنجليزية على البورتفوليو (ملف الإنجاز) كأسلوب لتقويم تحصيل التلاميذ.
-----	8	0.62	3.72	قلة متابعة معلمي مادة اللغة الإنجليزية للواجبات المنزلية التي يكلفوا بها التلاميذ
-----	9	0.67	3.60	ندرة وضع معلمي مادة اللغة الإنجليزية خطط علاجية لتحسين

				تحصيل التلاميذ منخفضي المستوى الدراسي.
متوسطة	10	0.56	3.10	ندرة مراعاة معلمي مادة اللغة الإنجليزية للفروق الفردية بين التلاميذ عند بناء الاختبارات التحصيلية.

كبيره	0.33	3.93	المتوسط العام لمجال أساليب التقويم
-------	------	------	------------------------------------

يتضح من الجدول رقم (5) تفاوت فقرات مجال أساليب التقويم في درجة السبب بين الكبيرة جداً، الكبيرة، والمتوسطة، لذلك حازت ثلاث فقرات في هذا المجال على درجة قوة سبب "كبيرة جداً" تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (4.22 - 4.38)، بينما حازت ست فقرات على درجة قوة سبب "كبيرة" تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (3.60 - 4.12)، وفقرة واحدة في المجال حازت على درجة قوة سبب متوسطة متوسطتها الحسابي (3.10) وتشير القيم المنخفضة للانحرافات المعيارية الانسجام الكبير في إجابة معلمي مادة اللغة الإنجليزية لفقرات هذا المجال. أما المتوسط العام لمجال التقويم فقد بلغ (3.93) الأمر الذي يشير أنه من المجالات التي تعيق تعلم التلاميذ مادة اللغة الإنجليزية، وأدى إلى انخفاض مستواهم الدراسي فيها.

جاءت الفقرة رقم (37) في الاستبيان "ندرة إتباع معلمي مادة اللغة الإنجليزية لمراحل بناء الاختبار التحصيلي". في المرتبة الأولى في مجال التقويم بمتوسط حسابي (4.38) وهو يمثل درجة قوة سبب كبيرة جداً ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود لأهمية إتباع المراحل العلمية لبناء الاختبار، والتي من خلالها يكون الاختبار شامل لجميع مفردات المحتوى المعطى للتلاميذ، إلا أن المعلمين يهتمون بإتباع هذه المراحل فيكون هناك خلل في اختبارات تقويم المادة التي يعدونها، من حيث ضعف شموليتها لجميع مفردات المحتوى، وذلك لا يعكس التقويم الصحيح للمادة، مما أدى إلى تدني مستوى تحصيل التلاميذ في المادة.

جاءت الفقرة رقم (35) في الاستبيان " ندرة مراعاة معلمي مادة اللغة الإنجليزية للفروق الفردية بين التلاميذ عند بناء الاختبارات التحصيلية" في المرتبة الأخيرة في مجال التقويم بمتوسط حسابي (3.10) وهو يمثل درجة قوة سبب كبيرة ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى أن معلمي مادة اللغة الإنجليزية لا يعتمدون على جدول المواصفات في بناء الاختبار، الذي يحدد نسبة المستويات في المجال المعرفي، لذلك تأتي الأسئلة غير مناسبة من حيث درجة الصعوبة أو السهولة لجميع فئات التلاميذ في الصف سوا كانوا ذوي المستوى الدراسي العالي أو المتوسط أو المنخفض.

النتائج المتعلقة بمجال طرائق التدريس

جدول (6) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات

العينة لفقرات مجال طرائق

التدريس مرتبة تنازلياً بحسب متوسطاتها الحسابية (من وجه نظر

معلمي المادة)

م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة قوة السبب
21	إفراط معلمي مادة اللغة الإنجليزية في استخدام اللغة العربية في أثناء تنفيذ الدرس.	4.28	0.76	1	كبيرة جداً
22	قلة تنوع معلمي مادة اللغة الإنجليزية لطرائق التدريس حسب محتوى الدرس.	4.26	0.72	2	-----
23	ندرة استخدام معلمي مادة اللغة الإنجليزية استراتيجيه التعليم التواصلي في تنفيذ الدروس.	4.22	0.75	3	-----
24	غياب عنصر التشويق في طرائق تدريس بعض معلمي مادة اللغة الإنجليزية.	3.45	0.71	4	كبيرة
25	ندرة استخدام معلمي مادة اللغة الإنجليزية أساليب تدريس تساعد على تعلم مهارات التفكير.	3.42	0.82	5	-----
26	صعوبة استخدام معلمي مادة اللغة	3.41	0.80	6	-----

				الإنجليزية طرائق تدريس خاصة بالتلاميذ متدني مستوى التحصيل الدراسي.	
متوسطة	7	0.69	3.37	صعوبة استخدام معلمي مادة اللغة الإنجليزية طرائق تدريس خاصة للتلاميذ ذوي الحاجات الخاصة.	27
—	8	0.64	3.32	قلة اطلاع معلمي مادة اللغة الإنجليزية على طرائق التدريس الحديثة.	28
-----	9	0.85	3.30	صعوبة اختيار معلمي مادة اللغة الإنجليزية الطرائق التدريسية المناسبة لتنفيذ محتوى الدروس.	29
-----	10	0.62	3.27	كثافة التلاميذ في الفصل لا تساعد معلمي مادة اللغة الإنجليزية على استخدام طرائق تدريس حديثة لتنفيذ الدروس.	30
كبيرة		0.43	3.63	المتوسط العام لمجال طرائق التدريس	

يتضح من الجدول رقم (6) تفاوت فقرات مجال طرائق التدريس في درجة قوة السبب بين الكبيرة جداً، الكبيرة والمتوسطة، لذلك حازت ثلاث فقرات في هذا المجال على درجة قوة سبب كبيرة جداً تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (4.22 - 4.28)، كما حازت ثلاث فقرات على درجة قوة سبب كبيرة تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (3.41 - 3.45)، وحازت أربع فقرات على درجة قوة سبب متوسطة تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (3.27 - 3.37).

وتشير القيم المنخفضة للانحرافات المعيارية للانسجام الكبير في إجابة معلمي مادة اللغة الإنجليزية لفقرات هذا المجال. أما المتوسط العام لمجال طرائق التدريس فقد بلغ (3.63) الأمر الذي يشير أنه من المجالات التي تقف عائقاً أمام التلاميذ في تعلم مادة اللغة الإنجليزية، مما أدى إلى انخفاض مستواهم فيها..

جاءت الفقرة رقم (21) الاستبيان " إفراط معلمي مادة اللغة الإنجليزية في استخدام اللغة العربية في أثناء تنفيذ الدرس " في المرتبة الأولى في مجال طرائق التدريس بمتوسط حسابي (4.28) وهو يمثل درجة قوة سبب كبيرة جداً ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى أن مستوى معلمي المادة دون المطلوب، مما يعكس الضعف في برامج كليات التربية لإعداد وتأهيل المعلمين، وهذا ينعس على تعلم التلاميذ أنفسهم لمادة اللغة الإنجليزية، مما أدى إلى انخفاض مستواهم فيها.

جاءت الفقرة رقم (30) في الاستبيان "كثافة التلاميذ في الفصل لا تساعد معلمي مادة اللغة الإنجليزية على استخدام طرائق تدريس حديثة لتنفيذ الدروس" في المرتبة الأخيرة في مجال طرائق التدريس بمتوسط حسابي (3.27) وهو يمثل درجة قوة سبب متوسطة ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى أن طرائق التدريس الحديثة بحاجة إلى عدد قليل من التلاميذ في الفصل الدراسي، لأن أسلوب التدريس فيها يقوم على أساس المجموعات الصغيرة، وهنا يصعب تقسيمهم لصغر مساحة الفصل وزيادة عدد التلاميذ، أو استخدام تكنولوجيا التعليم الحديثة في التدريس مثل الكمبيوتر وهذا ما لا يتوافر في المدارس.

1- النتائج المتعلقة بمجال المعلم

جدول (7) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات العينة ل فقرات مجال المعلم

مرتبة تنازلياً بحسب متوسطاتها الحسابية (من وجه نظر معلمي المادة)

م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة قوة السبب
48	قلة معلمي مادة اللغة الإنجليزية الذين يتحدثون اللغة بطلاقة	4.20	0.66	1	كبيرة
42	قلة معلمي مادة اللغة الإنجليزية الذين يعدون	4.17	0.62	2	—

				الدروس مسبقا قبل تنفيذها بالصف.	
___	3	0.55	4.15	قلّة معرفة معلمي مادة اللغة الإنجليزية لمراحل العملية التدريسية.	43
متوسطة	4	0.51	3.20	ضعف برامج إعداد معلمي اللغة الإنجليزية قبل الخدمة.	44
-----	5	0.62	3.14	قلّة استخدام معلمي مادة اللغة الإنجليزية لأساليب التثبيت.	50
___	6	0.59	3.12	ضعف متابعة معلمي مادة اللغة الإنجليزية للنشاطات التي يكلفون بها التلاميذ.	46
___	7	0.44	3.10	ضعف قدرة معلمي مادة اللغة الإنجليزية على إدارة الصف.	47
-----	8	0.52	3.04	ضعف الكفايات التدريسية المهنية (التربوية) لمعلمي مادة اللغة الإنجليزية.	41
___	9	0.43	3.00	قلّة اهتمام معلمي مادة اللغة الإنجليزية بتصحيح الأخطاء اللغوية والإملائية التي يقع فيها التلاميذ.	49
-----	10	0.31	2.98	ضعف العلاقة الاجتماعية الحميمة بين معلمي مادة اللغة الإنجليزية والتلاميذ.	45
كبيرة		0.33	3.51	المتوسط العام لمجال المعلم	

يتضح من الجدول رقم (7) تفاوت فقرات مجال المعلم في درجة قوة السبب بين الكبيرة والمتوسطة، لذلك حازت ثلاث فقرات على درجة قوة سبب كبيرة متوسطة الحسابية بين (4.15-4.20)، وحازت سبع فقرات على درجة قوة سبب متوسطة متوسطة الحسابية بين (2.98-3.20).

وتشير القيم المنخفضة للانحرافات المعيارية الانسجام الكبير في إجابة معلمي مادة اللغة الإنجليزية لفقرات هذا المجال. أما المتوسط العام لمجال المعلم فقد بلغ (3.51) الأمر الذي يشير أنه من المجالات التي تعيق تعلم التلاميذ لمادة اللغة الإنجليزية، مما أدى إلى انخفاض مستواهم الدراسي فيها.

جاءت الفقرة رقم (48) في الاستبيان "قلة معلمي مادة اللغة الإنجليزية الذين يتحدثون اللغة بطلاقة" في المرتبة الأولى في مجال المعلم بمتوسط حسابي (4.20) وهو يمثل درجة قوة سبب كبيرة ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود إلى ضعف برامج إعداد المعلمين بكليات التربية قبل الخدمة، وقلة حصول معلمي المادة على دورات تدريبية في أثناء الخدمة. جاءت الفقرة رقم (45) في الاستبيان "ضعف العلاقة الاجتماعية الحميمة بين معلمي مادة اللغة الإنجليزية والتلاميذ" في المرتبة الأخيرة في مجال المعلم بمتوسط حسابي (2.98) وهو يمثل درجة قوة سبب متوسطة، ويرى الباحثان أن هذه النتيجة متوقعة، نتيجة للشكوى الدائمة من قبل

المعلمين حول شقاوة كثير من التلاميذ، ويمكن أن يعود السبب إلى
كرة التلاميذ لمادة اللغة الإنجليزية مما عكس نفسه على كره
التلاميذ لمعلمي المادة.

النتائج المتعلقة بمجال التلميذ

جدول (8) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات
العينة لفقرات مجال التلميذ

مرتبة تنازلياً بحسب متوسطاتها الحسابية (من وجه نظر معلمي

المادة)

م	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة قوة السبب
57	تدني مستوى وعي التلاميذ بأهمية اللغة الإنجليزية في دراستهم المستقبلية.	4.18	0.77	1	كبيرة
52	تششت انتباه بعض التلاميذ في الفصل عند شرح المعلم لدرس مادة اللغة الإنجليزية.	4.11	0.94	2	—
59	ضعف مستوى التلاميذ في مهارتي القراءة والكتابة في مادة اللغة الإنجليزية.	4.09	0.87	3	-----
54	ضعف الدافعية عند التلاميذ لتعلم مادة اللغة الإنجليزية.	3.35	0.65	4	متوسطة
60	قلة المتابعة الأسرية لدروس أبنائهم في مادة اللغة الإنجليزية بالمنزل.	3.32	0.76	5	-----
56	قلة التلاميذ القادرين على استخدام قاموس اللغة الإنجليزية بطريقة صحيحة.	3.29	0.92	6	-----
51	ضعف تفاعل التلاميذ الصفي في دروس مادة اللغة الإنجليزية.	3.22	0.62	7	—
58	اعتقاد التلاميذ أن مادة اللغة الإنجليزية صعبة الفهم.	3.12	0.80	8	-----

-----	9	0.79	3.09	قلة التزام التلاميذ بحل تمارين دروس مادة اللغة الإنجليزية.	53
—	10	0.60	3.07	كثرة غياب التلاميذ عن حضور دروس مادة اللغة الإنجليزية.	55
كبيرة		0.32	3.48	المتوسط العام لمجال التلميذ	

يتضح من الجدول رقم (8) تفاوت فقرات مجال التلميذ في درجة قوة السبب بين الكبيرة والمتوسطة، لذلك حازت ثلاث فقرات على درجة قوة سبب كبيرة متوسطاتها الحسابية بين (4.18-4.09)، بينما حازت سبع فقرات على درجة قوة سبب متوسطة تراوحت متوسطاتها الحسابية بين (3.07-3.35).

وتشير القيم المنخفضة للانحرافات المعيارية الانسجام الكبير في إجابة معلمي مادة اللغة الإنجليزية لفقرات هذا المجال. أما المتوسط العام لمجال التلميذ فقد بلغ (3.48) الأمر الذي يشير أنه من المجالات التي أسبابه نابعة من التلاميذ أنفسهم مما عكس نفسه على تدني مستواهم الدراسي في مادة اللغة الإنجليزية.

جاءت الفقرة رقم (57) في الاستبيان " تدني مستوى وعي التلاميذ بأهمية اللغة الإنجليزية في دراستهم المستقبلية" في المرتبة الأولى في مجال التلميذ بمتوسط حسابي (4.18) وهو يمثل درجة قوة سبب كبيرة ويرى الباحثان أن السبب في ذلك يعود لعدم شعور التلاميذ بأهمية اللغة الإنجليزية في حياتهم المستقبلية، لذلك لا

يهتمون بها، ويرون أنهم لا يفهمون دروس اللغة الإنجليزية بسهولة، وذلك انعكس على مستواهم الدراسي في المادة. جاءت الفقرة رقم (55) في الاستبيان "كثرة غياب التلاميذ عن حضور دروس مادة اللغة الإنجليزية" في المرتبة الأخيرة في مجال التلميذ بمتوسط حسابي (3.07) وهو يمثل درجة قوة سبب متوسطة ويرى الباحثان أن هذه النتيجة متوقعة، نتيجة لكره التلاميذ للمادة، مما انعكس على تدني مستواهم فيها.

ثانياً: للإجابة على السؤال الثاني ونصه: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $05 = (.,a)$ في أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمحافظة عدن من وجهة نظر معلمي المادة تعزى لمتغيرات الجنس والمؤهل العلمي وعدد سنوات الخبرة؟

أولاً: متغير الجنس

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات المعلمين والمعلمات للأسباب لكل مجال على حدة، ثم للمجالات مجتمعة، ولمعرفة هل الفروق بين المتوسطات دالة إحصائياً، تم استخدام اختبار T لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات إجابات المعلمين والمعلمات، والجدول رقم (9) يبين ذلك.

اختبار دلالة الفروق بين متوسطات T جدول (9) نتائج اختبار

إجابات

معلمي اللغة الإنجليزية باختلاف الجنس

الإناث ن = 63		الذكور ن = 28		المجالات	م
الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي		
311	4.05	0.221	3.96	المحتوى الدراسي	1
160	3.86	0.202	3.94	الأهداف التعليمية	2
252	3.82	0.243	3.85	أساليب التقويم	3
335	3.78	0.346	3.75	طرائق التدريس	4
252	3.72	0.214	3.69	المعلم	5
303	3.40	0.307	3.50	التلميذ	6
132	3.77	0.126	3.78	المجالات مجتمعة	

يتبين من الجدول رقم (9) أن نتائج اختبار T أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات آراء المعلمين والمعلمات نحو أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية، وذلك باختلاف الجنس بالنسبة لمجالات الدراسة كل على حدة، ومجالات الدراسة مجتمعة، إذ كانت قيم الاحتمال (مستوى الدلالة) أكبر من مستوى الدلالة المعتمدة في هذه الدراسة (0.05)، بمعنى أن قيمة (ف) المحسوبة صغيرة، لذلك فهي غير دالة عند مستوى دلالة (05 = α)، وهذا يدل على تقارب وجهات نظر المعلمين والمعلمات نحو أسباب تدني

مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية رغم اختلاف جنسهم. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة كل من (تمارا، 2015) و (سامي، 2013). عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($a = 05, 0$) للمشكلات التي تواجه المعلمين في تدريس اللغة الإنجليزية تعزى لمتغير الجنس، وهذا أجماع على أن كثير من مشكلات اللغة الإنجليزية تسهم بشكل أو بآخر في تدني مستوى تحصيل التلاميذ في مادة اللغة الإنجليزية.

ثانياً: متغير المؤهل العلمي

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات المعلمين والمعلمات للأسباب لكل مجال على حدة، ثم للمجالات مجتمعة، ولمعرفة هل الفروق بين المتوسطات دالة إحصائياً، تم استخدام تحليل التباين الأحادي لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات إجابات المعلمين والمعلمات باختلاف المؤهل العلمي، والجدول رقم (10) يبين ذلك.

جدول (10) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات إجابات

المعلمين والمعلمات باختلاف المؤهل العلمي

م	المجالات	مصدر التباين	مجموع درجات	متوسط	F	الدلالة الإحصائية
			المربعات الحرة	المربعات المحسوبة		
1	المحتوى المدرسي المجموعات	بين المجموعات	0.004	2	0.033	0.946 غير دالة
		داخل المجموعات	4.651	89		
		الكلية	4.672	91		
2	الأهداف التعليمية المجموعات	بين المجموعات	0.133	2	2.070	0.113 غير دالة
		داخل المجموعات	2.202	89		
		الكلية	2.354	91		
3	أساليب التقويم المجموعات	بين المجموعات	0.246	2	2.253	0.143 غير دالة
		داخل المجموعات	3.635	89		
		الكلية	3.846	91		
4	طرائق	بين المجموعات	0.073	2	0.308	0.635 غير

دالة		0.132	89	7.042	داخل	التدريس المجموعات الكلية
			91	6.140		
0.071 غير دالة	2.622	0.160	2	0.220	بين	5 المعلم المجموعات داخل المجموعات الكلية
		0.051	89	3.553	داخل	
			91	3.873	الكلية	
0.650 غير دالة	0.358	0.050	2	0.073	بين	6 التلميذ المجموعات داخل المجموعات الكلية
		0.102	89	5.124	داخل	
			91	6.203	الكلية	
0.274 غير دالة	1.245	0.024	2	0.041	بين	المجالات مجتمعة المجموعات الكلية
		0.018	89	1.032	داخل	
			91	1.084	الكلية	

يتبين من الجدول رقم (10) أن نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات آراء المعلمين والمعلمات نحو أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية، وذلك باختلاف مؤهلاتهم العلمية بالنسبة لمجالات الدراسة كل على حدة، ومجالات الدراسة مجتمعة، إذ كانت قيم الاحتمال (مستوى الدلالة) أكبر من مستوى الدلالة المعتمدة في هذه الدراسة (0.05)، بمعنى أن قيمة (ف) المحسوبة صغيرة، لذلك فهي غير دالة عند مستوى دلالة (05 = α ،) وهذا يدل على تقارب وجهات نظر المعلمين والمعلمات حول أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية رغم اختلاف مؤهلاتهم. وتختلف هذه النتيجة مع دراسة (سامي، 2013) التي أظهرت نتائجها وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha = 0, 05$) لمشكلات تدريس اللغة الانجليزية التي تواجه طلبة الصف الأول الثانوي من وجهة نظر المعلمين تعزى لمتغير المؤهل العلمي، لصالح ذوي المؤهل (بكالوريوس + دبلوم) و (دراسات عليا).

ثالثاً: متغير عدد سنوات الخبرة

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات المعلمين والمعلمات للأسباب لكل مجال على حدة، ثم للمجالات

مجتمعة، ولمعرفة هل الفروق بين المتوسطات دالة إحصائياً، تم استخدام تحليل التباين الأحادي لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات إجابات المعلمين والمعلمات باختلاف عدد سنوات الخبرة، والجدول رقم (11) يبين ذلك.

جدول (11) نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات إجابات

المعلمين والمعلمات باختلاف عدد سنوات الخبرة

م	المجالات	مصدر التباين	مجموع درجات المربعات الحرة	متوسط المربعات	F	الدلالة الإحصائية
1	المحتوى الدراسي	بين المجموعات	0.381	2	1.037	0.403 غير دالة
		داخل المجموعات	4.286	89		
		الكلي	4.674	91		
2	الأهداف التعليمية	بين المجموعات	0.645	2	1.363	0.132 غير دالة
		داخل المجموعات	1.703	89		
		الكلي	2.352	91		
3	أساليب التقويم	بين المجموعات	0.328	2	1.108	0.365 غير دالة
		داخل المجموعات	3.593	89		
		الكلي	3.846	91		
4	طرائق	بين المجموعات	0.643	2	0.965	0.427 غير دالة

دالة		0.121	89	7.437	داخل المجموعات	التدريس
			91	8.140	الكلي	
دالة غير	0.674 0.677	0.022	2	0.218	بين المجموعات	5 المعلم
		0.046	89	3.721	داخل المجموعات	
			91	3.951	الكلي	
دالة غير	2.149 0.065	0.172	2	0.826	بين المجموعات	6 التلميذ
		0.062	89	5.217	داخل المجموعات	
			91	6.243	الكلي	
دالة غير	0.632 0.641	0.014	2	0.059	بين المجموعات	المجالات مجتمعة
		0.013	89	1.026	داخل المجموعات	
			91	1.065	الكلي	

يتبين من الجدول رقم (11) أن نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات آراء المعلمين والمعلمات نحو أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ

مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية، وذلك باختلاف عدد سنوات خبرتهم بالنسبة لمجالات الدراسة كل على حدة، ومجالات الدراسة مجتمعة، إذ كانت قيم الاحتمال (مستوى الدلالة) أكبر من مستوى الدلالة المعتمدة في هذه الدراسة (0.05)، بمعنى أن قيمة (ف) المحسوبة صغيرة، لذلك فهي غير دالة عند مستوى دلالة (0.05)، وهذا يدل على تقارب وجهات نظر المعلمين والمعلمات نحو أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية رغم اختلاف خبرتهم. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (حليبي، 2015)، التي أظهرت نتائجها عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) للمشكلات التي تواجه المعلمين في تدريس اللغة الإنجليزية تعزى لمتغير الخبرة، وهذا أجماع على أن كثير من مشكلات اللغة الإنجليزية تسهم بشكل أو بآخر في تدني مستوى تحصيل التلاميذ في مادة اللغة الانجليزية.

- التوصيات والمقترحات

في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة يورد الباحثان عدداً من التوصيات والمقترحات التي يمكن أن تخفف من أسباب تدني مستوى تحصيل تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي في تعلم مادة اللغة الإنجليزية.

- ضرورة العمل على تطوير مناهج مادة اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم العام، خاصة أن المنهاج الحالي المعتمد في كتب سلسلة (Crescent)، قد عفي عليها الزمن ولم يتم تطويرها منذ أربعة وعشرين عاما.
- ضرورة العمل على تطوير برامج إعداد معلمي اللغة الإنجليزية، وتصميم برامج خاصة لإعداد معلم اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الأساسي، خاصة والبرامج الحالية في كليات التربية صممت لمعلم المرحلة الثانوية.
- تكثيف الدورات التدريبية في أثناء الخدمة لمعلمي اللغة الإنجليزية، والتركيز على نموهم المهني من أجل رفع مستوى تحصيل التلاميذ.
- تكثيف الدورات التدريبية في أثناء الخدمة لمعلمي اللغة الإنجليزية لتأهيلهم على كيفية استخدام الوسائل التعليمية بكفاءة، وتزويدهم بقواعد وأسس استخدام الوسائل التعليمية بطريقة صحيحة، لتوظيف الوسائل التعليمية داخل الحصة الصفية.
- ضرورة التعاون مع أعضاء هيئة التدريس في الجامعات والكليات، وخاصة أقسام المناهج وطرائق التدريس لإعطاء دورات تدريبية حول كيفية التغلب على معيقات ومشكلات وصعوبات تعليم اللغة الإنجليزية بمرحلة التعليم الأساسي، باعتبارها المحطة الأولى

التي يتلقى فيها التلميذ في التعليم النظامي باليمن أساسيات اللغة الإنجليزية.

- إجراء دراسة مماثلة عن أسباب تدني مستوى تحصيل التلاميذ في تعلم مادة اللغة الإنجليزية بمراحل أخرى.

- إجراء دراسة مماثلة عن أسباب تدني مستوى تحصيل التلاميذ في تعلم مادة اللغة الإنجليزية لمعرفة أثر متغيرات أخرى لم تتناولها دراستنا.

- إجراء دراسة مقارنة عن أسباب تدني مستوى تحصيل التلاميذ في تعلم مادة اللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الأساسي والثانوي.

- المراجع

أ-المراجع العربية

1- إبراهيم محمود حسين، العملية التربوية في المدرسة الابتدائية، ط 2، (مكة المكرمة: 2004، مطابع الصفاء) ص 7.

2- أبي عبدلرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، حققه مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط1 (بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلام للمطبوعات1988)، ص449.

3- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، (1990). لسان العرب، المجلد 15، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، لبنان.

- 4- أحمد البنيان، مستوى التلاميذ السعوديين في اللغة الإنجليزية في المرحلتين المتوسطة والثانوية الحكومية والأهلية، مج4، ع 1، (المج 2003) ص18.
- 5- أحمد جميل أحمد، معوقات استخدام الوسائل التعليمية من وجهة نظر معلمي الرياضيات للمرحلة الأساسية في المدارس الحكومية في محافظة نابلس (فلسطين، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الإنسانية، رسالة ماجستير غير منشورة 2002)، ص18.
- 6- أحمد محمد هيثم (2004)، صعوبات تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلة الثانوية محافظة أبين كما يراها الطلبة ومعلموهم، (اليمن، جامعة عدن كلية التربية/عدن، رسالة ماجستير غير منشورة 2010).
- 7- اسعد بن محمد سلمان بن علوي، معوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المدارس الثانوية في محافظة القطيف بالمملكة العربية السعودية، (اليمن، جامعة عدن، كلية التربية/عدن رسالة ماجستير غير منشورة 2007) ص 14.
- 8- تمارا مشهور صايل، المشكلات التي يواجهها معلمو المرحلة الأساسية الدنيا في تدريس اللغة الانجليزية في مدارس ميرية نابلس، (فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير غير منشورة 2015).

- 9- توفيق أحمد مرعي، و محمد محمود الحيلة، المناهج التربوية الحديثة مفهوما وعناصرها وأسسها وعملياتها، ط 1 (عمان- الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع 2000) ص 29.
- 10- حامد عبدالسلام زهران، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، ط 6 (الرياض: مكتبة العبيكان، 2003)، ص 474.
- 11- حليلة، قادري، صعوبات تعلم اللغة الانجليزية من وجهة نظر الأساتذة والأولياء، ع 48 (المج، جيل للعلوم الانسانية والاجتماعية 2018) ديسمبر.
- 12- حمزة محمد علي أحمد، واقع الوسائل التعليمية في تدريس مادة اللغة الإنجليزية للمرحلة الثانوية من وجهة نظر مدرّاء المدارس ومعلّمي المادة في أمانة العاصمة (اليمن: جامعة الملكة أروى، رسالة ماجستير غير منشورة 2005).
- 13- راشد زنان عيظة، أسباب مستوى تدني تحصيل تلاميذ المرحلة المتوسطة في تعلم اللغة الانجليزية من وجهة نظر الاكاديمين والمعلمين والمشرفين في مكة والطائف(المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير عبر منشورة 2008).
- 14- زهاء عيدروس عمر، تقويم الكفايات التعليمية اللازمة للمعلم في أداء معلمي اللغة الإنجليزية (خريجي كلية التربية صبر)، (اليمن، جامعة عدن، كلية التربية/عدن، رسالة ماجستير غير منشورة 2009).

- 15- سامي حامد عابد، مشكلات تدريس اللغة الانجليزية لطلبة الصف الأول الثانوي في مديريات تربية الكرك من وجهة نظر المعلمين(عمان، الأردن، جامعة الشرق الأوسط، كلية العلوم التربوية، قسم المناهج وطرق التدريس رسالة ماجستير غير منشورة(2013).
- 16- سلطان الحازمي، تعليم اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية بالمملكة العربية السعودية، دراسة استطلاعية، ع 7، (أبها:حولية كلية المعلمين2005) ص 56.
- 17- عبد السلام عوض أحمد. مشكلات، تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلة الثانوية بمدينة عدن من وجهة نظر المعلمين والموجهين التربويين (اليمن: جامعة عدن، كلية التربية/عدن، رسالة ماجستير غير منشورة 2000)، ص 36.
- 18- عبد العزيز بن عبد الله المشاري، أهم مشكلات تدريس اللغة الإنجليزية لطلاب المرحلة الثانوية من وجهة نظر المعلمين والمشرفين التربويين (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، رسالة ماجستير غير منشورة 2005).
- 19- عبدالمنعم علي الشيباني، تقويم محتوى كتاب اللغة الإنجليزية للصف الثاني الثانوي في الجمهورية اليمنية (السودان، جامعة الجزيرة، كلية التربية - حنتوب، رسالة ماجستير غير منشورة 2000)، ص 55.

- 20- عبده حامد محمد علوي، صعوبات تدريس مادة الرياضيات من وجهة نظر المعلمين والطلبة (اليمن، جامعة عدن، كلية التربية/عدن رسالة ماجستير غير منشورة 2009).
- 21- فريق من الباحثين، واقع تدريس مادة اللغة الإنجليزية وإمكانيات تدريسها من الصف الرابع في الجمهورية اليمنية (اليمن: مركز البحوث والتطوير التربوي فرع عدن 2003) ص 12.
- 22- فريق من الباحثين، نظام تقويم الأداء المدرسي في مدارس التعليم الأساسي في الجمهورية اليمنية - دراسة ميدانية- (اليمن، مركز البحوث والتطوير التربوي-عدن 2011)، ص 42.
- 23- فواز بن سعيد الأسود، الصعوبات التي تواجه طلاب المرحلة الثانوية في تعلم مهارة قراءة اللغة الإنجليزية في مدينة مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير عبر منشوره 2009).
- 24- محمد أحمد الصاعدي، الكفايات التعليمية اللازمة لمعلم اللغة الإنجليزية ودرجة ممارستها في المرحلة الثانوية بمحافظة أبين (اليمن، جامعة عدن، كلية التربية/عدن، رسالة ماجستير غير منشورة 2010).
- 25- مصطفى عبد الجليل مصطفى، معوقات تدريب المعلمين أثناء الخدمة وسبل التغلب عليها بمحافظة غزة (فلسطين، الجامعة

الإسلامية، كلية التربية، رسالة ماجستير غير منشورة (2008)
ص 79.

26- نزية عبدالله محمد ارسلان، الكفايات اللازمة لتدريس
مقرر الكتابة للطلبة المعلمين في أقسام اللغة الإنجليزية بكليات
التربية في الجامعات الحكومية اليمنية (اليمن جامعة عدن، كلية
التربية/عدن، رسالة ماجستير غير منشورة 2006).

27- وزارة التربية والتعليم، القانون العام للتربية والتعليم في
الجمهورية اليمنية، ع24، (اليمن: الجريدة الرسمية، 31
ديسمبر 1992) ص 20.

28- وزارة التربية والتعليم، مقررات اللغة الإنجليزية، قطاع
التوجيه والتقويم التربوي، الإدارة العامة للتوجيه التربوي، قطاع
المناهج والتوجيه. (1998) ص 19

29- وفاء اسماعيل خنكار، تحديد أهم مشكلات منهج اللغة
الإنجليزية للصف الأول الثانوي من وجهة نظر المعلمات بمحافظة
الطائف (مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية، رسالة
ماجستير غير منشورة 2001).

ب-المراجع الأجنبية

30-Abdul-Nasser Mohammed Ali. (2006). Inves-
tigation Problems of Using the Internet in Second
Language Learning Encountered by 4th -Level B

A Students at the Faculty of Education. Unpublished Dissertation of Master, Department of English, Faculty of Education, Aden University, Republic of Yemen.

31–Allen. katy. (2008). Primary school teachers and problems faced with teaching the English language. Tanzanian Episcopal.

32–Kitoe, Kinji.(2003) Why do we teach English.
.www.iteslj.org/articles/kitoe. Why teach.html

33– Marcos, K. M.(2001) "Starting A Foreign Language Program" Washington, D.C: Eric Clearinghouse On Languages And, Linguistics And Center For Applied Linguistics The Eric Review Of Research" Foreign Language Education, Vol, No. J.

34–Richards, J C & Rogers' T S (1986) Approaches & Methods In Language Teaching: A description & Analysis. Cambridge University Press.

الإدارة المتكاملة للموارد المائية لحوض دلتا تبين
د.م حسن احمد حنبلة

**Integrated Water Resources Management for
Tuban Delta Basin**

Dr Hasson. A. Hanbala

Abstract

The Integrated Water Resources Management of the Tuban Delta basin represents a set of integrated technical and regulatory policies as well as procedures aimed in making the best use of water resources to achieve sustainability for future generations. This takes place through institutional structures that include technical and administrative elements specialized in water planning and are eligible to develop programs in order to protect all surface and groundwater waters securing the

economic and social objective of water resources

..protection

As a result of the critical conditions of water resources at the basin level in term of their limited and deteriorating quality, the importance of dealing with resources and managing them as well as developing a strategy that addresses all the factors influencing these resources in an integrated manner. The water scarcity is only one of the main elements of the problem in the research area. The rest of the elements are related to how to regulate the relationship between the beneficiaries of water, so as to achieve the interest of all and increases the ability of water resources to cope with different variables in order to exploit them and thus continue for the longest possible period of time

Key words: Integrated water resources management, Tuban delta basin, water resources strategy, water planning, water policy

الملخص

تمثل الإدارة المتكاملة للموارد المائية لحوض دلتا تبن جملة من السياسات والإجراءات الفنية والتنظيمية المتكاملة الهادفة إلى تحقيق أفضل استخدام للموارد المائية بما يحقق الاستدامة للأجيال القادمة وذلك بواسطة هياكل مؤسسية تضم عناصر فنية وإدارية متخصصة في التخطيط المائي ومؤهلة لوضع برامج لحماية كافة المياه السطحية والجوفية وتأمين عملها بما يحقق الهدف الاقتصادي والاجتماعي في حماية الموارد المائية.

ونتيجة للأوضاع الحرجة للموارد المائية على مستوى الحوض من حيث محدوديتها ونوعيتها المتدهورة ' تبرز أهمية التعامل مع الموارد وإدارتها ووضع استراتيجية تتناول كل العناصر المؤثرة والمتأثرة بهذا المورد بشكل تكاملي فعنصر شحة المياه لا يمثل الا احد العناصر الرئيسية للمشكلة في منطقة البحث (حوض دلتا تبن). أما بقية العناصر فهي متعلقة بكيفية تنظيم العلاقة بين المستفيدين من المياه، بما يحقق المصلحة للجميع ويزيد من قدرة الموارد المائية على مواجهة المتغيرات المختلفة لاستغلالها وبالتالي

استمراريتها لأطول فترة زمنية ممكنه.

كلمات مفتاحية:

الإدارة المتكاملة للموارد المائية، حوض دلتا تبين،
استراتيجية الموارد المائية، التخطيط المائي، السياسة
المائية.

المقدمة:

لقد تطور مفهوم إدارة الموارد العقود الماضية. ففي عام 1977 أعتبر كنها (Cunha) وآخرون لهذا المفهوم من الاعمال والتدابير التي تحقق بمجموعها الاستخدام الامثل للموارد المائية المتاحة، وتشمل هذه المجموعة كل من التخطيط المائي (Water Planning) والتشريع المائي والبحوث المائية والتدريب والتوثيق ونظم المعلومات. أما خطة مار دي بلاتا عام 1977م الواردة في دراسة واتق رسول آغا حول استراتيجية الموارد المائية في منطقة الشرق الأدنى، فقد بلورت عدة مفاهيم حول إدارة الموارد المائية اهمها الارتباط بين السياسة المائية والتخطيط والإدارة وأفرزت ايضاً فصلاً لموضوع ترشيد استخدامات المياه وفصلاً آخر للجوانب البيئية ومكافحة التلوث. وفي العام نفسه طرح مفهوم الإدارة

المتكاملة للموارد المائية) International Water Resources Management) في مؤتمر مار دي بلاتا. لذا ارتكز هذا المفهوم في السبعينات على مبدأ التخطيط المركزي وبالتالي تبلورت فكرة الادارة المركزية للموارد المائية (Central Planning Management) (190). ومع نهاية الثمانينيات رأي رسول آغا(191) (أن مفهوم إدارة الموارد المائية ما هو إلا عملية معقدة تشمل كل المراحل المتكاملة لأعمال التخطيط والتنفيذ والتشغيل وصيانة الموارد المائية, آخذه بعين الاعتبار كل المعوقات والعوامل المؤثرة والفاعلة في ذلك , وساعية لتعليل المنعكسات السلبية على البيئة , وعاملة على زيادة العوائد الاقتصادية للمجتمع وإحداث التوازن بين الموارد المتاحة والطلب عليها)). وتكمن اهمية هذا الرأي في أخذة بعين الاعتبار الآثار البيئية للموارد المائية

(190) الاشرم, محمد (2001): اقتصاديات المياه في الوطن العربي والعالم, مركز دراسات الوحدة العربية, الطبعة الاولى, بيروت, لبنان, ص172
 (191) آغا, واثق رسول (1989) استراتيجية إدارة الموارد المائية في منطقة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا لتحقيق الأمن المائي, دمشق, الجمهورية العربية السورية, ص194.

(Environmental Impacts Assessment) إذ من
الضرورة بمكان الادارة الرشيدة ان تسعى للحد من الاثار
السلبية وزيادة الفوائد الايجابية لعملية إدارة الموارد
المائية.

ومع مطلع التسعينات وعلى الرغم من أن الادارة
المتكاملة للموارد المائية مازالت حجر الأساس في
السياسات والخطط المائية الوطنية إلا ان المنهج
التكاملي قد تبدل بسبب صعوبة تنفيذ خطة مركزية
عملاقة شاملة من الناحية العملية لأسباب اقتصادية
 واجتماعية وطبيعية , وبالتالي طرأ تحول وتغير على
مفهوم الادارة المتكاملة للموارد المائية, إذ انتقل من
الشمولية المطلقة (Comprehensiveness) الى
الترابط المنطقي (Coherence) أي تحويل الاتجاه في
مجالي التخطيط والادارة من العمليات المعقدة الى
العمليات الاكثر تبسيطاً وفعالية.

اهمية البحث:

تكمن اهمية البحث في محدودية الموارد المائية
لحوض دلتا تبين، وتوزيعها غير المتساوي على مستوى
الحوض، وارتباط عملية التنمية المستدامة بتوفر الموارد

المائية وتنظيم استغلال هذه الموارد استغلالاً يضمن عملية التوازن بين كل من قدرتها التخزينية المتجددة والمستخرجة بما يكفل استمرارية هذا المورد المائية خلال الفترات الزمنية القادمة، وبالتالي وضع استراتيجية تؤخذ بعين الاعتبار اعطاء الاولوية في استخدامات المياه لأغراض الشرب تم الاستخدامات الاخرى.

أهداف البحث:

أن تنفيذ الاستراتيجية المقترحة ((مواجهة التحديات)) يستهدف الآتي: -

1- المحافظة على موارد المياه وتنميتها وترشيد استخدامها.

2- توفير خدمات المياه والصرف الصحي لجميع سكان منطقة البحث بأقل تكلفة ممكنة.

3- توفير المياه للأغراض الصناعية والزراعية في حدود ما تقتضيه استدامة موارد المياه والفاعلية الاقتصادية والاجتماعية.

4- تحقيق الاستراتيجية المقترحة للإدارة المتكاملة للموارد المائية لحوض دلتا تين.

الحدود المكانية لمنطقة البحث:

تقع منطقة البحث إحدائياً بين دائرتي عرض 50°
 12° - 30° 13° شمال خط الاستواء وبين خطي طول
 55° 44' - 12° 45° شرق خط جرينتش وتقع منطقة

الخارطة (1) موقع منطقة الدراسة بالنسبة لليمن



المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء محافظة لحج 2004م.

(192) الجهاز المركزي للإحصاء (2004): خارطة موقع البحث حوض دلتا

تين، محافظة لحج، الجمهورية اليمنية ص6.

هيدروجيولوجية المنطقة:

تتمثل التكوينات المنتمية لعصر الهولوسين الفيضية أهم الطبقات الحاملة للمياه الجوفية في الوقت الحاضر بسبب نفاذيتها الكبيرة وانتشارها في مساحات واسعة من المنطقة ويصل سمك هذه التوضعات الفيضية الرباعية الى 500 متر⁽¹⁹³⁾ وخاصة في الجزء الاوسط للدلتا حيث يوجد حقل بئر ناصر وشمال الدلتا يصل سمكها الى 180 متر. بينما نجد تكوينات صخور الطويلة الرملي تحتوي على كميات اقل من المياه وتصبح هذه المياه نادرة او معدومة في صخور القاعدة أو الاساس وكذا صخور البازلت البركانية. اما الخزان الجوفي للرواسب الطينية والرواسب الحديثة من حيث التركيب الليتولوجي يتمثل في الاحجار الكبيرة الناييس والرمل والطين الرملي والظمي، ويمكن النظر اليها

(193) عبادي، عصام محمد(2008): الندوة العملية حول مياه الشرب والأمن المائي في محافظة عدن(المشاكل والحلول)،17-18 يونيو 2008م ديوان جامعة عدن، الجمهورية اليمنية، ص4.

كخزان جوفي واحد وتعتبر مياه هذه الخزان حارة (194).

وتتغذى الخزانات الجوفية بصورة رئيسية بواسطة التسرب الرأسي لمياه السيول وتشير الدراسات الهيدروجيولوجية الى ان النفاذية الرأسية للرواسب الفيضية تختلف من مكان الى آخر حيث تقدر الكمية التي تغذي الخزانات الجوفية لحوض دلتا تبين ما بين 60-70% (195) من كمية السيول المتدفقة والتي تشكل حوالي 5% من كمية الامطار في مساحة التجميع حيث بلغت كمية التدفق السنوي من المستجمعات المائية لحوض دلتا تبين 142 مليون متر مكعب.

الدراسات السابقة:

لقد ظهرت العديد من الدراسات لمنطقة البحث

(194)GDC(1981):Ground water development consultants wadi Tuban water management study , find report

Cambridge. U K P120.

(195) قادري, عبدالباقي احمد(2005) مسألة تموينات المياه لمدينة عدن في اليمن واقعها وآفاقها المستقبلية, مجلة الجمعية الجغرافية اليمنية, مجلة علمية محكمة سنوية, العدد الثالث, صنعاء, الجمهورية اليمنية, ص234.

اهمها التقارير الاستشارية المتاحة التي قامت بها عدد من الشركات الاجنبية المتخصصة عن طريقة وزارة الزراعة والبعض الاخر عن طريق المؤسسة العامة للمياه, ومن هذه الشركات نذكر منها: ايتال كونسلت (1973-1975) والتي نفذت دراسة التربة والمياه لحوض وادي تبين. فيما قامت شركة (جي. دي. سي) للفترة 1978-1981 لتنمية المياه الجوفية التي نفذت دراسة التحكم في مياه وادي تبين.

كما قامت شركة ماكدونال البريطانية دراسة مشروع مياه عدن الكبرى المرحلة الثانية عام 1986م, حيث ركزت هذه الدراسة على تموين مدينة عدن بمياه الشرب حتى عام 2010م من الخزانات الجوفية في كل من دلتا تبين ودلتا أبين والبدائل الفنية لتحقيق ذلك.

كما قامت هيئة المشاريع اليمنية-السوفيتية عام 1986م بتقديم دراسة لدلتا تبين بهدف استصلاح الاراضي الزراعية والعلم على تطوير نظام الري وأنشاء السدود، فضلاً عن البحوث والدراسات التي اهتمت بالظواهر الطبيعية.

كما قامت الشركة الروسية (GCC) بدراسة حول المياه الجوفية المتاحة للأحواض المائية في اليمن عام

1995م, حيث ركزت على الطبقات الحاملة للمياه في المحافظات الجنوبية بما فيها حوض دلتا تبن.

وكل هذه الدراسات لم تشير الى موضوع الادارة المتكاملة للموارد المائية لحوض دلتا تبن فعلى أساس خصوصية هذه الدراسات تم الاستعانة بما جاء فيها وبما يتناسب مع أهداف هذا البحث.

مناهج الادارة المتكاملة للموارد المائية:
في سبيل تحقيق المبادئ الاساسية للسياسات المائية (الاستدامة والعدالة وحماية البيئة) (196)¹⁹⁶ اقترح العاملون في الادارة المتكاملة للموارد المائية في ضوء التجارب الوطنية للعديد من مناطق العالم عدداً من الاساليب والمناهج تختلف باختلاف الدول ومجتمعاتها، وتبلورت هذه المناهج كالتالي:

(1) المنهج الشمولي: (Holistic Approach)

يقوم هذا المنهج على تقييم وتنمية وإدارة الموارد

خوري, جان(1996): الموارد المائية المتاحة في الوطن العربي في (196)¹⁹⁶ مطلع القرن الحادي والعشرون, مجلة الزراعة والمياه, العدد16, اكساد , دمشق, الجمهورية العربية السورية ,ص93.

المائية السنوية ووضع السياسات المائية القطاعية في إطار السياسة الوطنية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية الشاملة نظراً لمحدودية الموارد المائية وحساسية الاوساط المائية ويلاحظ هنا أنه على الرغم من تولد القناعة لدى المسؤولين على القطاعات التنموية بضرورة تطبيق هذا المنهج إلا أن إدارة هذه القطاعات وتحصيص المياه (للشرب والري والصناعة) لديها غالباً ما يتم بصورة مستقلة مما أدى الى تدني كفاءة استثمار الموارد المتاحة والى تدهور الوضع المائي ونجاحة في الاحواض المائية الجوفية.

(2) المنهج التشاركي (Approac Participatory):

يقدم هذا المنهج على التفاعل السليم بين واضعي السياسات المائية وعدد السكان المستفيدين من هذه السياسات وذلك بإشراك المستفيدين من المشروعات المائية في كل من عمليات تخطيط وتنفيذ هذه المشروعات (197). وهذا لم يتم عادة الا بتطوير الوضع المؤسسي والتشريعي من جهة، وبتنظيم المستفيدين

(197) ابو سمور , حسن وحامد الخطيب(1999): جغرافية الموارد المائية , الطبعة الاولى , دار الصفا للنشر والتوزيع , عمان, الاردن ص247.العدد16, اكساد , دمشق, الجمهورية العربية السورية ,ص93.

أنفسهم في جمعيات أو اتحادات
تعبّر عن مصالحهم ورغباتهم من جهة أخرى.

(3) المنهج الاقتصادي: (Economic Approach)

ينادي الكثيرون من العاملين في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالتعامل مع الماء على انه سلعة اقتصادية وبالتالي يجب استخدام المبادئ الاقتصادية لحل المشكلات المائية كونها تسهم بشكل فعال في وضع كفاءة استخدامات المياه وتقليل الهدر. وعلى الرغم من صعوبة تحديد قيمة المياه في الدورة الهيدرولوجية على المستويات المحلية والاقليمية والعالمية إلا انه من الضروري ايضاً معاملته كالنفت عديم القيمة وهو في باطن الارض وذي القيمة الكبيرة فوقها، أي يترتب على انتاج الماء وتحويله من مورد الى امدادات محلية ودولية مستقبلاً تكلفة في التخزين والتوزيع والمعالجة والصيانة والتشغيل.

وسائل الادارة المتكاملة للموارد المائية:-

من اهمية بمكان التزام الادارة المتكاملة للموارد

المائية بالمبادئ التي ترسمها الدولة.

ولتحقيق هذه السياسة لابد من تخطيط سليم وادارة تحقق

التكامل وأنظمة معلومات توفر المعطيات اللازمة للتخطيط والادارة بحيث تستطيع معها الادارة حل المشكلات المائية الرئيسية والمتمثلة بتخفيف الاثار لاستثمار الموارد المائية وايجاد الحلول المناسبة لموضوع النزاعات على استخدام المياه.

في كثير من دول عالم يطبق الان المنهج التكاملي الذي يتم على المستويات التالية: -

- الادارة المتكاملة للموارد السطحية الدائمة والموسمية الجريان.
- الادارة المتكاملة للمياه الجوفية المتجددة وغير المتجددة.
- الادارة المتكاملة للمياه السطحية والجوفية.
- الادارة المتكاملة للمياه التقليدية وغير التقليدية.
- الادارة المتكاملة لإمدادات المياه والطلب على الماء.

ويرى من الضروري الان تعميم هذا المنهج التكاملي على مستوى الوطن العربي وربطة بعنصر الارض كون معظم مناطق هذا الوطن جافة وشبه جافة وتزداد فيه ندرة المياه.

ويقترح في هذا المجال الوسائل التقنية ويعنى بها النماذج

الرياضية والادوات العلمية والمستخدمة في مراحل التخطيط والتنفيذ المائية، وكذا الوسائل الاقتصادية حيث تلعب الضوابط الاقتصادية وبخاصة السياسات السعرية المائية دوراً فاعلاً في مجالات ترشيد استخدامات المياه وأيضاً الوسائل المؤسسية، والوسائل التشريعية لما لها من أهمية في حماية الموارد المائية السطحية والجوفية من التلوث⁽¹⁹⁸⁾.

مشاكل الإدارة المتكاملة للموارد المائية لدلتا تبن:

من خلال سرد أسباب المشكلة تبرز أهمية التعامل مع الموارد المائية المحدودة في المنطقة وإدارتها ووضع استراتيجية تتناول كل العناصر المؤثره والمتأثرة بهذه الموارد بشكل تكاملي فعنصر شحة المياه لا يمثل إلا احد العناصر الرئيسية للمشكلة في المنطقة البحث, اما بقية العناصر فهي متعلقة بكيفية تنظيم العلاقة بين المستفيدين من المياه بما يحقق المصلحة للجميع ويزيد

(198) خوري, جان, (1996), مصدر سابق, ص89.

من قدرة الموارد المائية على مواجهة التغيرات المختلفة لاستغلالها وبالتالي استمراريتها لأطول فترة زمنية ممكنة حيث ان من اهم دواعي وضع المنطقة تحت الدراسة والتخطيط هي المشاكل السائدة في المنطقة والتي تتمثل في التالي:-

1) الصراع على طلب المياه بين الحضر والريف:

ان زيادة الطلب على المياه في المنطقة سواء للاستخدام المنزلي او الصناعي صاحبة ازدياد في استخراج المياه في المناطق الريفية المجاورة لمدينة عدن بشكل كبير مما دفع المزارعين في تلك المنطقة الى التنافس مع مؤسسة المياه على استخراج بكميات ادت الى سرعة نضوب المياه الجوفية فيها او على الاقل انخفاض مناسيبها، وبالتالي تعرض البعض الى فقدان مصادر رزقهم وانخفاض مستوى الدخل الزراعي لدى البعض الاخر نتيجة تكاليف استخراج المياه. هذا التنافس خلق مجال للصراع بين الحضر والريف والذي تمثل في بدايته في منع الاهالي لمؤسسة المياه من الحفر في حقول جديدة دون تعويضهم بأنشاء مشاريع تنموية، اما في الواقع الحالي فهذا التعويض أصبح غير

مقبولاً لدى الاهالي كونه ليس تعويضاً مباشراً لما فقده من دخلهم الزراعي.

(2) الحفر العشوائي للآبار المائية:

ظهرت في الآونة الاخيرة مشكلة تزايد الابار الاسطوانية والمفتوحة التي تم حفرها عشوائياً في المناطق القريبة والمحيطه بحقول الآبار التي تعمل على تموين المناطق الحضرية بالمياه , ولغرض استخدامها في ري المحاصيل الزراعية, وما يعيب تلك الآبار هو استخراج المياه بشكل جائر دون حسيب او رقيب, مما يساعد على انخفاض مستويات المياه الجوفية الثابتة لهذه الآبار وتدهور نوعيتها حيث اظهرت الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث ان عدد كبير من الآبار العشوائية الخاصة بالمواطنين والواقعة بالقرب من حقول الآبار(حقلي بئر احمد وشمال الدلتا) حيث لم يتم حصر هذه الآبار, والتي حفرت بدون ترخيص من الهيئة العامة للموارد المائية فرع عدن, ويقدر السحب من الخزان الجوفي لهذه الآبار العشوائية 37,8 مليون متر

مكعب/سنوياً⁽¹⁹⁹⁾.

أما مجموع الآبار التي تم حصرها من قبل الباحث في جنوب حقل بئر ناصر خلال 2011-2017م يوضحها الجدول التالي:

المصعبين	دار منصور	الحسوه	بئر احمد	بئر فضل	دار سعد	جعوله	البساتين	العام
-	-	-	-	-	3	5	-	2011
1	2	-	1	4	8	13	7	2012
3	10	-	1	14	2	17	12	2013
7	3	1	4	9	2	9	9	2014
2	2	-	1	5	1	2	7	2015
2	2	1	-	4	1	5	2	2016
-	4	-	4	1	1	5	1	2017

المصدر: المسح الميداني للباحث 2017

(199)Komex International LTD (2003): Water resources management studies in Tuban-Abyan region, final report, volume (5), Yemen, P72.

3) انخفاض مناسيب المياه الجوفية:

ان خزانات المياه في الحوض عبارة عن خزانات محصورة بتراكيب جيولوجية من العصر الثلاثي والرباعي وهي محدودة النفاذية، لذلك فهي عرضة لانخفاض مناسيب المياه فيها وخاصة في مواسم الجفاف أي عدم تدفق السيول على حوض الدلتا، حيث تزيد نسبة السحب منها وتقل نسبة التغذية الا ان بعض الحالات الاستثنائية التي تحدث لبعض حقول الابار حيث تعود الى حالات مقبولة من مستويات المياه في مواسم تدفق السيول.

ان هبوط مستويات المياه الجوفية بمعدل متر واحد في السنة يعني استنزاف مخزون المياه احتاجت الى عشرات السنين لتكوينها وبشكل هذا السحب خطراً على المخزون الجوفي في منطقة البحث. ونظراً لزيادة الضخ الذي سيؤثر على كميات كبيرة من المخزون الجوفي ما هبوط مستويات في بعض الحقول الآبار التي تعمل على تموين مدينة عدن وضواحيها الا دليل واضح على نزوب كميات كبيرة من الآبار في حقلي بئر ناصر وشمال دلتا تين. اضافة الى تسرب المياه المالحة خاصة

تحت ظروف المناطق الساحلية نتيجة لتداخل مياه البحر مع مياه الخزان الجوفي في حقل بئر احمد والتي ادت الى زيادة التركيز الملحي في هذه المياه اذ لم تجد القوانين والتشريعات طريقها لتنفيذ الحماية للخزانات الجوفية من الاستنزاف.

(4) انتشار التلوث في المياه الجوفية:

تعاني بعض النطاقات في منطقة البحث من تلوث المياه الجوفية وزيادة الملوحة لتركيز النترات والموصلية الكهربائية في لحج بسبب مصادر عديدة اهمها:

- مياه الصرف الصحي غير المعالجة وذلك في مناطق التي تصب مخلفاتها في العراء ومناطق مجاري الوديان في الحوض، كما تستخدم احياناً لأغراض الري المحدود.

- مياه الصرف الصحي والتي تصرف عبر حفر ترشيحية مباشرة الى ضخ المياه الجوفية من قبل المستهلكين.

- الضخ الجائر وقلة التغذية برزت ظاهرة ازدياد الملوحة بشكل ملحوظ ببعض نطاقات الدلتا. منها ما يمكن إيعازه الى تحلل التراكيب

الصخرية ومخلفات الادوية كما هو الحال في وسط الدلتا ومنها ما يمكن إيعازه الى تداخل مياه البحر كما هو الحال في المناطق القريبة من الساحل.

● المياه العادمة من المسالخ والمختبرات وغيرها والتي تصرف الى الحفر الترشيفية.

● مياه السيول التي تحمل معها زيوت السيارات والمخلفات الصلبة وما ينتج عن ذلك من تحلل لبعضها وتغلغلها الى داخل المياه الجوفية في الحوض.

● انتشار محطات البنزين وتغيير الزيوت ومستودعات المبيدات والمخصبات الزراعية، وكذا مقالب القمامة ومواقع تربية المواشي وغيرها على طول امتداد دلتا تبن.

(5) الاستخدام غير الكفوء لمصادر المياه الشحيحة:

على الرغم من شحة مصادر المياه المتاحة في منطقة البحث، الا انها استخدمها بكفاءة عالية في كل القطاعات المستخدمة للمياه، وتتمثل بالتالي:

● عدم تبني طرق الري الحديثة بالرش المحوري او

التنقيط، فلزال المزارعين يستخدمون الاساليب القديمة التي تؤدي الى ضياع وفقدان كميات كبيرة من المياه سواء بالتسرب او التبخر. اضافة الى اعطاء النباتات من المياه أكبر مما تحتاج اليه، وهذا أدى ايضاً الى ضعف الانتاج وتملح التربة ولازالت طريقة الغمر هي الطريقة السائدة في عملة الري دون معرفة المقننات المائية، وهي من الطرق التي تتطوي على تبذير وضياع كميات كبيرة من المياه ولا يزال المزارعين ينقلون المياه من المصدر الى الحقل بواسطة القنوات الترابية غير المبطنة مما جعل المياه تتسرب نحو الجوانب وضياع نسبة كبيرة قبل وصولها الى الحقل. وتؤدي هذه القنوات الى تملح الاراضي الزراعية المجاورة نتيجة تجمع المياه فيها وتبخرها، وكما أن المزارعين يعتمدوا في إروائهم على جفاف التربة من الأعلى، مما يؤدي الى تقديم موعد الري في وقت لا يحتاج فيه النبات الى المياه، أو بتأخير موعد الري مما يتسبب في عطش المحصول وكتنا الحاليتين تؤديان الى نقص الانتاج وقد يتعرض المحصول للموت.

- عدم دفع القيمة الحقيقية للمياه من قبل مستخدميها ادى الى الاكثار من استخدامات المياه للأغراض

المختلفة بشكل غير مسئول وتبذير كميات كبيرة منها في المكان غير المناسب.

• نسبة الفاقد في شبكة امدادات المياه الى المناطق الحضرية بسبب تهالكها، اضافة الى التوصيلات غير القانونية من قبل مستخدمي المياه وعدم صلاحية بعض العدادات الخاصة بالمستهلكين شجع هذا على الاستهتار في استخدام المياه.

(6) مشكلات مائية اخرى:

هناك العديد من المشكلات التي لها علاقة بإدارة الموارد المائية منها:

• ضعف البنية المؤسسية لفرع مؤسسة المياه والصرف الصحي في لحج، وعدم قدرتها على وضع الخطط والبرامج التي تتناسب مع ما يدور حوله من مشكلات إدارية مائية وبيئية.

• النزاعات الناتجة عن عدم وضوح حقوق المياه، كتلك التي تحدث عن حفر الآبار.

• مخاطر الفيضانات التي تحدث بسبب مياه السيول، وعدم صيانة مجاريها تمثلان عناصر اضافية لمشكلات ذات علاقة بإدارة المياه.

الاستراتيجية المقترحة للإدارة المتكاملة للموارد المائية لحوض دلتا تب

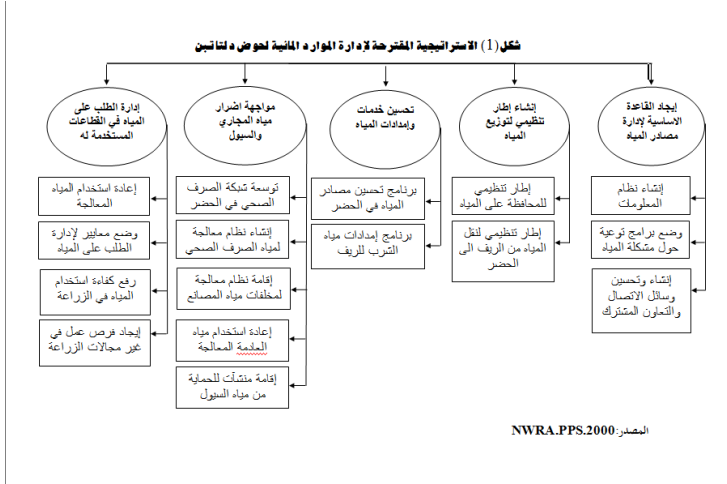
ان الموارد المائية هي عملية تنظيم استغلال الموارد المائية استغلالاً يضمن عملية التوازن بين كل من قدرتها التخزينية المتجددة والمستخرجة بما يكفل الديمومة او الاستمرارية لهذا المورد المائي خلال الفترات الزمنية القادمة. وبالتالي فإنه عند وضع الاستراتيجية تؤخذ بعين الاعتبار إعطاء الأولوية في استخدامات المياه لأغراض الشرب تم الاستخدامات الاخرى والتي يكفل مردود اقتصادي عالي للمياه في كل القطاعات المستخدمة له متبعين في عملية توزيع معايير عادلة تهدف الى إزالة الخلافات بين القطاعات المختلفة وحتى يمكن تنفيذ المكونات المختلفة لهذه الاستراتيجية⁽²⁰⁰⁾ بما يحقق الاستغلال الامثل للموارد المائية المتاحة فلا بد من التنسيق والتعاون المشترك بين الجهات ذات العلاقة

(200) NWRA(2000):Water resources management, an action plan for Taiz region, policy and programming sector, Taiz, Republic of Yemen P21

والأخذ بعين الاعتبار جميع العناصر المقترحة في
المكونات دون اهمال البعض او استتقاص البعض
الآخر كونها تكاملية ذات عناصر مترابطة وموضحة
شكل (1) وهي فيما يلي:

شكل (1) الاستراتيجية المقترحة لإدارة الموارد المائية لحوض دلتا

تبين



أولاً: إيجاد القاعدة الأساسية لإدارة مصادر المياه:

هذا المكون يحتوي على عناصر مستمرة لا ينتهي العمل فيها بمرور الزمن وهي في نفس الوقت تمثل القاعدة على أساسها تقوم الاعمال والمشاريع ذات العلاقة بإدارة الموارد المائية المختلفة وهذه العناصر تشمل:

(1) إنشاء نظام للمعلومات يحتوي على المعلومات والبيانات الدورية لمصادر المياه في منطقة البحث

الضرورية لعمليات التقييم المختلفة للموارد المائية ولتحقيق هذا العنصر. قامت الهيئة العامة للموارد المائية بما يلي:

- حصر شامل لجميع الابار الواقعة في حوض دلتا تبين وجمع كل المعلومات المتعلقة بهذه الابار وتوثيقها، خاصة الآبار قيد التشغيل.
- تحديد حدود صورة المستجمع المائي (catchment area) لحوض دلتا تبين.
- الاستعانة بالخرائط الطبوغرافية، الجيولوجية، الهيدرولوجية، الجوية والفضائية، بالإضافة الى استخدام المعدات والاجهزة المطلوبة وبرامج الحاسوب والبرامج التخصصية الأخرى المساعدة بهدف تسهيل وإنجاح المهمة.
- إنشاء شبكة المراقبة للموارد المائية السطحية والجوفية من حيث الكمية والنوعية الموقعية لشبكة المراقبة (آبار القياس , محطات بأنواعها, وآبار للتحاليل الكيميائية) حيث يتم وبشكل دوري أخذ كل البيانات والمعلومات وبالإضافة الى عمل التحاليل الكيميائية النصف سنوية والطارئة أحياناً إذ لزم الامر لحوض دلتا تبين

وقد تم اختبار مواقع العناصر لهذه الشبكة مثل: آبار للقياس، محطات مناخية، محطات مطرية ومحطة تدفق السيول وما تحويه من أجهزة أوتوماتيكية ويدوية لتكون ممثلاً لمعظم مساحة الحوض ومستجمعاته دلنا تبين لتعطي صورة متكاملة وواضحة للحالة الهيدرولوجية والهيدرولوجية للحوض عند تحليل وتفسير تلك البيانات والمعلومات الخطية.

- وكجزء من تطوير القدرات والكفاءات البشرية، تم اشراك بعضاً من المهندسين وفنيي الهيئة في أعمال الشركات الاجنبية العاملة بمجال المياه.
- تنفيذ دراسات مستمرة الأثر البيئي للمشاريع الاستثمارية وذلك فيما يخص التأثيرات على الموارد المائية السطحية والجوفية.

2) وضع برامج توعية حول مشكلة المياه وحلولها:

نفذت الهيئة هذا البرنامج وذلك من خلال الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة (صحف، وملصقات، وغيرها) بهدف توضيح الصورة حول الوضع المائي لكل المستفيدين ليكونوا أكثر قرباً من المشاكل الحالية

والمتوقعة. وبالتالي أكثر تفاعلاً وتعاوناً ودعمًا لبرامج التخطيط لتنمية الموارد المائية واعتبارها ثروة عامة تتطلب المحافظة عليها من التلوث والنضوب كما تم تشكيل جمعيات المياه من المستفيدين انطلاقاً من مبدأ المشاركة الشعبية في صنع وتنفيذ الخطط والبرامج لإدارة الموارد المائية.

(3) إنشاء وتحسين وسائل الاتصال والتعاون المشترك:

نفذت الهيئة ذلك مع الجهات المشتركة الفعالة في إدارة هذه الموارد عن طريق متابعة ما تم تنفيذه وتوزيع المعلومات المائية لذوي الشأن ومناقشتها عبر اللقاءات وبعض محافظو المحافظات، المجالس المحلية وقيادات الأمن وغيرها.

ثانياً: إنشاء إطار تنظيمي لتوزيع المياه:
الماء بطبيعته مورد متاح للجميع يتصرفون فيه كيفما يشاءون، ولكن يختلف الوضع في اليمن حيث تسود ندرة المياه وبالتالي تؤدي هذه الندرة الى الصراعات المختلفة على استغلالها والتنافس على امتلاكها، ولذلك من الضروري وضع أطر واضحة لتوزيع الماء على كافة المستخدمين وهناك نوعان من أطر توزيع المياه هما:

1) إطار تنظيمي للمحافظة على المياه:

يهدف الى تنظيم عملية استخراج المياه من الآبار في المناطق لمنع حدوث أي تدهور في المخزون الجوفي وحفظ عملية التوازن بين الموارد المتاحة والمتجددة ويأتي هذا أولاً بتحديد المناطق التي تعتبر محميات مائية وإنشاء علاقة وثيقة بين الهيئة العامة للموارد المائية وذوي العلاقة في هذه المناطق، وهي على الشكل التالي: -

• تحديد مناطق لتكون حرماً لحقول المياه الواقعة في دلتا تبين وهي حرم حقل بئر ناصر وحقل بئر احمد بهدف حمايتها.

• تقدير الحد الاعلى من الاستخراج للمياه الجوفية للمستفيدين وذلك من خلال التراخيص الممنوحة لهم والالتزام بالمحافظة على نوعية المياه وعدم تدهورها.

• كيفية توزيع واستغلال المياه وأولويات استخدامها.

• ردع المخالفين للنظم المقررة عبر تقديمهم للنيابة العامة ولمعاقبتهم وفقاً لمواد قانون المياه.

2) أطار تنظيمي لنقل المياه من الريف الى الحضر:

تكون الهيئة هي الجهة المشرفة على تحديد كمية

المياه، المستخرجة من المياه الجوفية بما يحفظ للموارد المائية ديمومتها ومن ثم توزيعها، ومراقبة الكميات المستخرجة من آبار المؤسسة وتوزيعها عبر الشبكة المعروفة نسبة الفاقد من الشبكة. وذلك عبر القراءات الفعلية التي تنفذها الهيئة للعدادات المركبة على الآبار لهذا العرض، وجدير بالإشارة هنا الى الخلل في بعض هذه العدادات مما يسبب ارباكاً وصعوبة في أنجاز هذه المهمة.

ثالثاً: تحسين خدمات إمدادات المياه:

إن عدم كفاءة شبكة إمدادات المياه للمستهلكين في الريف والحضر أدت الى وجود مبررات لعمل برنامج لتحسين هذه الخدمات مثل:

1) برنامج تحسين مصادر المياه للحضر:

هذا البرنامج يقع تحت مسؤولية المؤسسة المحلية للمياه والصرف الصحي في عدن ولحج وهدفة تجديد شبكة توزيع المياه وإعادة إصلاح هيكلية فرع المؤسسة في لحج ومنع التوصيلات غير القانونية، واقتراح تعرفه مناسبة للمياه، ودراسة الحفر الاستكشافي للبحث عن مصادر جديدة، وعمل أطار تنظيمي لنقل المياه من الريف الى الحضر.

(2) برنامج أمدادات مياه الشرب للريف:

هذا البرنامج يقع تحت مسؤولية هيئة مياه الريف وهدفة توصيل المياه لسكان الريف من خلال: مسح ميداني موسع للآبار وتقييم اوضاع أمدادات المياه للريف، إعداد خطط سنوية للمشاريع الجديدة، الزيادات الحقلية المختارة للمشاريع الجديدة ومن ثم التنفيذ من خلال الحفر وتزويد الآبار بالمضخات والاعمال الهندسية الأخرى.

رابعاً: مواجهة اضرار مياه المجاري:

تعتبر المياه ضارة جداً حينما تصبح ملوثة ومصادر التلوث الاساسية للمياه عديدة منها: صناعي , اسمدة زراعية , مقالب القمامة , ومحطات غسيل وتغيير زيوت السيارات في أطار حوض دلتا تين, اضافة الى مياه الصرف الصحي والتي تصرف الى مجاري الاودية او عبر البيارات (الحفر الترشيفية) غير المحكمة هندسياً, وأحياناً بلغ الاستهتار ببعضهم الى الحفر حتى مستوى الماء الجوفي لتصريف مياه الصرف الصحي بغرض التصريف الدائم دون امتلاء هذه الحفر الراشحة وقد ادى ذلك الى تلوث المياه الجوفية. ولمواجهة هذه

الاضرار لا يبد من القيام بتنفيذ العناصر التالية:

(1) توسعة شبكة الصرف الصحي في مناطق الحضر:
وتهدف الى حماية البيئة المحلية من التلوث داخل مناطق الحضر.

(2) إنشاء نظام معالجة مياه الصرف الصحي:
يهدف الى التخفيف من التهديدات البيئية الناتجة عن تصريف مياه المجاري في المناطق التي تتجمع فيها مياه المجاري والتي تسبب تلوثاً كاملاً للبيئة ويخلق كارثة بيئية حقيقية. لتنفيذ هذا العنصر فانه يتطلب القيام بأنشطة ومهام مثل:

تحديد نوع أماكن وتركيز الملوثات، وضع مواصفات نوعية المياه بعد المعالجة، تحديد مواصفات محطة المعالجة المثالية وتكلفتها وعائداتها، بناء أحواض المعالجة ومن ثم تشغيلها. ويسري نفس الموضع على المناطق الصناعية حيث تعاني من تلوثات حادة لا يعرف حتى الان ماهي نوعها وما مدى تركيزها مما يهدد مصادر المياه ويهدد البيئة ايضاً. وفي سبيل التقليل من مخاطر الملوثات التي تسببها المصانع ولزيادة كفاءة استخدام المياه فيها والمساهمة في تفعيل

إدارة مصادر المياه في قطاع الصناعة لابد من القيام بتنفيذ العناصر التالية:

(3) إقامة نظام معالجة لمخلفات مياه المصانع:

يهدف الى الحد من عمليات التلوث الناتجة عن رمي مخلفات المصانع دون معالجة مما سبب تلوثاً لخزانات المياه الجوفية ويساهم في الاستفادة من المياه المعالجة لأغراض أخرى. ولتنفيذ هذا العنصر فانه يتطلب القيام بأنشطة ومهام مثل: تحديد وتركيز الملوثات، وضع مواصفات لنوعية المياه بعد المعالجة، تحديد مواصفات محطة المعالجة المثالية وتكلفتها وعائداتها، بناء احواض المعالجة ومن ثم تشغيلها.

(4) إعادة استخدام المياه العادمة المعالجة:

وتهدف الى المساهمة في عمليات الحفاظ على مصادر المياه من خلال زيادة كفاءة استخدام المياه.

(5) إقامة منشآت للحماية من مياه السيول:

تهدف الى انشاء مصاطب وزراعة اشجار حراجية، وإقامة أنظمة لتصريف السيول للحفاظ على مياه السيول من أية ملوثات، إقامة خزانات مؤقتة للتخفيف من حدة السيول في الاماكن التي قد تسبب أضراراً بسيطة، إقامة

جدران وحواجز دفاعية في مجاري السيول، بالإضافة أنه لا بد من التخطيط السليم لاستخدامات الاراضي بحيث تجنب الاضرار المصاحبة للسيول.

خامساً: إدارة الطلب على المياه في القطاعات المستخدمة له:

إدارة الطلب على المياه تختلف باختلاف القطاع المستخدم له سواء كان الزراعة او الصناعة او الاستخدام المنزلي وهي جزء لا يتجزأ من إدارة الموارد المائية كونها تناقش كيفية استغلال واستخدام المياه بأساليب تكفل تغطية الاحتياجات المائية من الموارد المتاحة بقدر الإمكان ومستعبدة البدائل الاخرى لتوفير المياه من موارد جديدة ومن عناصر إدارة الطلب على المياه:

(1) إعادة استخدام المياه المعالجة:

سواء كان في الصناعة او الاستخدام المنزلي له فوائد بيئية عديدة مثل: تقليل استخراج المياه الجوفية والحفاظ على البيئة والمياه الجوفية من التلوث وتحقيقها لهذا الغرض فإنه لا بد من تحديد مكونات المياه العادمة التي يمكن استخدامها وطرق معالجها وتحديد مستخدميها.

(2) وضع معايير لإدارة الطلب على المياه على الحضر:
وتهدف الى ترشيد استخدام المياه في مناطق الحضر عن طريق رفع كفاءة استخدام المياه المنزلية الى وضع يتلاءم مع الموارد المتاحة وذلك بوضع تعرفه جديدة لسعر المياه تتناسب مع تكلفة استخراج ونقل المياه في المنطقة، الحد من التوصيلات غير القانونية، رفع مستوى الوعي لاستخدام المياه لدى السكان.

(3) رفع كفاءة استخدام المياه في الزراعة:

يهدف الى تطوير اساليب الري، صيانة القنوات المائية، استخدام انابيب لنقل المياه من المصدر الى الحقل، استخدام المياه للمحاصيل ذات عائد اقتصادي كبير، تسوية الاراضي الزراعية، استخدام الري بالتقنيات الحديثة او رفع كفاءة الري في المزارع ذات المساحات الكبيرة ستكون نتيجة توفير كميات كبيرة من المياه وعلى العكس فأن هذه العملية لن تجدي نفعاً فيما اذا تم تطبيقها على المزارع الصغيرة.

(4) إيجاد فرص عمل في غير مجالات الزراعة:

يهدف هذا العنصر الى تقليص متوسط استهلاك

الفرد من المياه عن طريق توسع مجال الاعمال لدى السكان في الريف في مجالات غير أعمال الزراعة وبالتالي تقليص الاستهلاك المائي الكبير في مجال الزراعة وتحويله للاستخدامات والانشطة الاخرى ذات العائد الاقتصادي الاكبر سواء كان في الصناعة أو غيرها.

عوامل نجاح الاستراتيجية المقترحة:

هناك العديد من العوامل التي يجب توافرها لتنفيذ

الخطة المقترحة بنجاح في منطقة البحث من أهمها:

- مناقشة بنود الخطة التنفيذية المقترحة مع كل المنفعين من المياه (مستخدمي المياه) في المنطقة والجهات الاخرى ذات العلاقة والخروج باتفاق جماعي عن طريق تنفيذ الخطة وهذا الاتفاق سيولد لدى الجميع الاحساس بالمسؤولية وضرورة التعاون عند تنفيذ الاستراتيجية.
- النظرة العادلة لجميع عناصر الخطة عند تنفيذها من قبل جميع الجهات المنفذه لها وإبداء الاهتمام الكامل لجميع العوامل التي تؤثر وتتأثر بها الموارد المائية سواء في الريف او الحضر.
- ضرورة التعامل مع الخطة التنفيذية بمرونة كبيرة من

قبل الجهات المنفذة لها بحيث يمكنها الحيود عن البنود المذكورة او ربما تعديلها بما يمكن أن يكون أفضل أو يتلاءم مع المتغيرات الجديدة في المنطقة.

- يجب إعطاء العنصر الزمني القدر الكبير من الاهتمام فإنجاز متطلبات تنفيذ الاستراتيجية أو تنفيذ عناصرها في وقتها سوف يحقق الغرض المطلوب من عملية التخطيط ويحقق النجاح لها.

نظرة مستقبلية للخطة التنفيذية:

تلعب الخطة التنفيذية للإدارة المتكاملة للموارد المائية لحوض دلتا تبين دوراً ارشادياً للسيطرة على الموارد المائية والتي بدورها تعتبر أهم عامل في أنجاح عملية التنمية في المنطقة فعناصر هذه الخطة لا يمكن تنفيذها إلا بوجود روح الثقة والتعاون بين الجميع وتوفير كل المستلزمات الضرورية لتنفيذها في الوقت المناسب ضمناً لتحقيق نجاحها وفوائدها للأجيال الحاضرة والقادمة.

إن تنفيذ هذه الخطة ليست عملية روتينية ولكنها تجربة قابلة للنجاح أو الفشل فالمنفذين للخطة يجب أن يتحلوا بعقلية منفتحة ولديهم القدرة على التعامل مع

الظروف الطبيعية في المنطقة واتخاذ القرارات المناسبة دون تردد لنا يحقق الأهداف المرجوة من الخطة والتي تتميز بالمرونة واللامركزية وخضوعها للتقييم المستمر عند مواجهتها للمتغيرات الجديدة في الظروف الطبيعية المحيطة بها وتحديد الوقت الذي ستتطلب فيه الحاجة إلى إنشاء خطة جديدة للمنطقة قادرة على مواكبة سير التنمية.

الاستنتاجات:

(1) يقع حوض دلتا تبين بين دائرتي عرض $50^{\circ} 12' -$
 $30^{\circ} 13'$ شمال دائرة الاستواء وخطي طول $44^{\circ} -$
 $12^{\circ} 45'$ شرق خط جرينتش بمساحة تقدر بـ
1800 كم².

(2) من اهم المشكلات السائدة التي جعلت المنطقة تحت
الدراسة والتخطيط تتمثل بالتالي:

■ الحفر العشوائي للآبار المائية التي ظهرت في الآونة
الأخيرة مشكلة تزايد حفر الآبار الاسطوانية والمفتوحة
والتي تم حفرها عشوائياً في المناطق القريبة والمحيطة
بحقول الآبار التابعة للمؤسسة المحلية للمياه والصرف
الصحي، واستخراج المياه بشكل جائر دون حسيب ولا
رقيب مما ساعد على انخفاض مستويات المياه الجوفية
بشكل متسارع مما أثر على الموازنة المائية الجوفية.

■ الاستخدام غير الكفوء لمصادر المياه للأغراض
الزراعية، فلا يزال غالبية المزارعين تستخدم الاساليب
القديمة في عملية الري والتي أدى بدورها الى ضياع
وفقدان كميات كبيرة من المياه سواء بالتسرب او التبخر،
ولا زالت طريقة الغمر هي الطريقة السائدة التي تستخدم

في عملية الري دون معرفة المقننات المائية.

▪ ضعف البنية المؤسسية لفرع المؤسسة المحلية للمياه والصرف الصحي فرع لحج وهي مشكلة تتعلق بإدارة الموارد المائية وعدم قدرتها على وضع الخطط والبرامج التي تتناسب على ما يدور حولها من مشكلات إدارية ومائية وبيئية.

▪ مخاطر الفيضانات التي تحدث بسبب مياه السيول المتدفقة، وعدم صيانة مجاريها تمثلان عناصر إضافية لمشكلات ذات علاقة بإدارة مصادر المياه.

(3) من خلال سرد المشكلات تبرز أهمية التعامل مع الموارد المائية المتاحة في حوض دلتا تبين وإدارتها وحمايتها من التلوث، ووضع استراتيجية تتناول كل العناصر المؤثرة والمتأثرة بهذه الموارد بشكل تكاملي، فعنصر شحة المياه لا تمثل أحد العناصر الرئيسية للمشكلة. أما بقية العناصر فهي متعلقة بكيفية تنظيم العلاقة بين المستفيدين من المياه بما يحقق المصلحة للجميع ويزيد من قدرة الموارد المائية على مواجهة التغيرات المختلفة لاستغلالها لأطول فترة زمنية ممكنة.

(4) السياسات والحلول الاستراتيجية لتحقيق الاستخدام الأمثل للموارد المائية المتاحة في حوض دلتا تبين

ومواجهة العجز لابد ان تتم في إطار العمل المشترك والتعاون في مجالات التخطيط المائي ووضع البرامج الاستراتيجية اللازمة لتحقيق الأمن المائي على المدى القريب والبعيد.

التوصيات:

1- الوقف الفوري للحفر العشوائي وردم الابار التي تم حفرها بدون ترخيص وإنشاء وحده مراقبه حفر الابار والحفارات مزوده بكافة الامكانيات وتكوين لها كامل الصلاحيات في الوقف الفوري لعمليات الحفر العشوائي.

2- التوسع بقدر الامكان في ري الاراضي الزراعية في حوض بمياه السيول لما لها من فائدة في تغذية الخزانات الجوفية وإدخال طرق الري الحديثة في عملية الري وعدم استعمال مياه الابار.

3- وضع التشريعات النافذة لتنظيم استغلال الموارد المياه الجوفية لحوض دلتا تبن وحمايتها من الاستنزاف وتدهور نوعيتها والوقف الفوري لعمليات السحب الحالية للأغراض الزراعية بالقرب من حقول

الآبار.

4- إقامة شبكة رصد مائية مناخية تشمل الامطار وتدفقات مياه السيول , كما يجب تنفيذ برنامج لمراقبة كل من: نوعية المياه الجوفية, ومناسبتها, وكميات الضخ للاستخدامات الحضرية والزراعية, ويحل مشكلة الفقر المعلوماتي التي يمكن ان تحقق التخطيط المائي المتوازن.

5- زيادة فرص التغذية لخزانات المياه الجوفية من خلال التوسع في المساحات المروية بمياه السيول، واستخدام المياه المعالجة من مياه الصرف الصحي في التغذية الاصطناعية للمياه الجوفية.

6- تقييم التقنيات المتبعة في المنطقة لحصاد مياه السيول، وللعلاقات بين السيول والتغذية للتوصل الى موازنة مائية أكثر دقة.

7- دراسة الاثر البيئي الاجتماعي - الاقتصادي لعمليات تجفيف الاراضي المغمورة بالمياه واستصلاحها وزراعتها مما يساعد على تحديد مدى النجاح الذي يمكن تحقيقه وراء الاجراءات التي يمكن اتخاذها لعكس الضرر البيئي الناجم عن استنزاف المياه.

8- ضرورة أن تلعب وسائل الاعلام المختلفة دوراً هاماً للتعرف بأهمية المياه وترشيد استخدامها لرفع الوعي لدى المستهلكين لتغيير اتجاهاتهم وأنماطهم السلوكية المتعلقة بالحفاظ على المياه من خلال الاستخدام الامثل بدلاً من الاسراف والتبذير.

المراجع:

- 1) الاشرم، محمد (2001): اقتصاديات المياه في الوطن العربي والعالم، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان.
- 2) آغا، واثق رسول (1989) استراتيجية إدارة الموارد المائية في منطقة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا لتحقيق الأمن المائي، دمشق، الجمهورية العربية السورية.
- 3) الجهاز المركزي للإحصاء(2004): خارطة موقع البحث حوض دلتا تبين، محافظة لحج، الجمهورية اليمنية.

- (4) عبادي، عصام محمد(2008): الندوة العملية
حول مياه الشرب والأمن المائي في محافظة عدن
(المشاكل والحلول) ، 17-18 يونيو 2008م ديوان
جامعة عدن، الجمهورية اليمنية.
- (5) قادري، عبد الباقي احمد(2005) مسألة تموينات
المياه لمدينه عدن في اليمن واقعها وآفاقها
المستقبلية، مجلة الجمعية الجغرافية اليمنية، مجلة
علمية محكمة سنوية، العدد الثالث، صنعاء،
الجمهورية اليمنية.
- (6) خوري، جان(1996): الموارد المائية المتاحة في
الوطن العربي في مطلع القرن الحادي والعشرون،
مجلة الزراعة والمياه، العدد16، اكساد، دمشق،
الجمهورية العربية السورية، ص93.
- (7) ابو سمور، حسن وحامد الخطيب(1999): جغرافية
الموارد المائية، الطبعة الاولى، دار الصفا للنشر
والتوزيع، عمان، الأردن.
- 8) GDC(1981):Ground water devel-

opment consultants wadi Tuban water management study , find report Cambridge. U K.

9) Komex International LTD (2003): Water resources management studies in Tuban–Abyan region, final report, volume (5), Yemen.

11) NWRA(2000):Water resources management, an action plan for Taiz region, policy and programming sector, Taiz, Republic of Yemen.

معايير مقترحة لإعادة توظيف المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى -

كمدخل للحفاظ عليها

Proposed criteria for the re-use of heritage
buildings in the Greater Khartoum area- As a
guideline to preserve

ندى محمد رمضان عبد الحى

استاذ مساعد (كلية شرق النيل - جامعة العلوم الطبية والتكنولوجيا)
nada.1927@windowslive.com المستخلص

تذخر منطقة الخرطوم الكبرى بالعديد من المباني ذات القيمة التراثية والتاريخية والفنية التي تتعرض للتدهور وتشويه عمارتها نتيجة لقصور معايير وضوابط عملية اعادة توظيف المباني التراثية، مما يفقدها سماتها وعناصرها المعمارية. يهدف البحث الى وضع معايير لمشاريع اعادة توظيف المباني التراثية لتلائم وظائف مستحدثة كمدخل للحفاظ عليها، من خلال منهجية علمية اعتمدت على الدراسة النظرية والتحليلية التي ارتكزت على خمسة محاور. المحور الاول تضمن لقاء الضوء على بعض المفاهيم المتعلقة

بموضوع الدراسة، المحور الثاني تضمن التعرف على قيم المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى، المحور الثالث تضمن دراسة نظرية تحليلية للمواثيق والتوصيات الدولية والقومية التي تناولت موضوع اعادة توظيف المباني التراثية لاستخلاص معايير عملية اعادة توظيف المباني التراثية، بالإضافة الى دراسة عدد من التجارب العالمية للاستفادة من خبراتها في مجال اعادة التوظيف. المحور الرابع تضمن استخدام المنهج الوصفي لدراسة وتحليل بعض مشاريع اعادة توظيف المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى وهي (مبنى البريد-بيت الخليفة عبد الله التعايشي-قصر الزبير باشا)، لتقييم الوضع الراهن لمعرفة مدى تطبيق معايير مشاريع اعادة التوظيف. المحور الخامس تضمن اهم النتائج والتوصيات، ومن اهم النتائج الاعتبار للمعايير (القانونية - الاقتصادية- الاجتماعية - الفنية) عند إعادة توظيف المباني التراثية. كما اوصى البحث بأن تؤدي المباني التراثية وظيفة مواكبة للعصر دون المساس بالقيم التراثية التي تحملها.

Abstract

The Greater Khartoum has a lot of buildings of historical and artistic value, which are subject to deterioration and the destruction of its architecture as a result of the lack of the standards and criteria

for the re-use of heritage buildings, thus losing .its architectural and architectural elements

The research objective is to propose criteria for the reuse of heritage buildings to suit new re-use

In order to preserve this heritage, through a scientific methodology relied on theoretical and analytical study based on five main themes. The first part addressed some concepts related to the reuse of heritage buildings in the Greater Khartoum. The second part included the values of heritage buildings in the Greater Khartoum. The third part included an analytical study of the international and national charters and recommendations that dealt with the re-use of heritage buildings in order to derive the criteria for the process of re- use of heritage buildings, In addition to studying international experiences to learn from its experience in the field of re-use. The fourth part included the use of the descriptive approach to study and analyze some projects for

the re-use of heritage buildings in the Greater Khartoum area (Al-Bareed Building, Al-Khalifa House, Abdullah Al-Taaishi, Al-Zubair Pasha Palace) to evaluate the re-use criteria in this .projects

The fifth part included the most important findings and recommendations, and the most important results, to consider the criteria (legal – economic – social – technical) when re-use of heritage buildings. The research also recommended that heritage buildings perform function to keep up with the era without compromising the heritage values .that endure

كلمات مفتاحية

المباني التراثية - الحفاظ - إعادة التوظيف - القيمة

مشكلة البحث

- تتعرض المباني التراثية الى الكثير من الإهمال وسوء الاستعمال نتيجة لقصور معايير وضوابط عملية اعادة توظيف المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى والتي توجه العاملين بها.

- تدني نتائج سياسات اعادة توظيف المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى بالمقارنة مع السياسات العالمية.

هدف البحث

- يهدف البحث الى العمل على تحسين مستوى مشاريع اعادة توظيف المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى للحصول على أفضل النتائج القانونية، الفنية، الاقتصادية، والاجتماعية، مع الحفاظ على القيمة التاريخية لتلك المباني لضمان استمرارها من خلال وضع معايير لإعادة توظيف واستخدام هذه المباني.
- لقاء الضوء على قيم المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى.

- الحفاظ على المباني التراثية من الاندثار بسبب سوء عملية الاستعمال نتيجة لقصور مشاريع اعادة التوظيف.

منهجية البحث

- دراسة نظرية تضمنت التعرف على بعض المفاهيم المتعلقة بموضوع الدراسة. دراسة نظرية تحليلية للمواثيق والتوصيات الدولية والقومية التي تتناول موضوع اعادة توظيف المباني التراثية لاستخلاص معايير عملية اعادة توظيف المباني التراثية.
- تم استخدام المنهج الوصفي لدراسة وتحليل بعض مشاريع اعادة توظيف المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى لتقييم الوضع الراهن لمعرفة مدى تطبيق معايير مشاريع اعادة التوظيف.

1. المقدمة- مفاهيم عامة

1.1 المباني التراثية

هي المباني ذات الأهمية التاريخية والأثرية والفنية والعلمية والاجتماعية، بما فيها الزخارف والأثاث الثابت المرتبط بها والبيئة المرتبطة بها.

2.1 الحفاظ

هو العملية التي تشمل كل الإجراءات والأساليب التي توفر للموروث البقاء لأطول مدة ممكنة، ليؤدي دوراً في حياة المجتمع الذي يتعايش معه).

3.1 القيمة

هي كل ما يقدر قيمته فهي ما يخلفه السلف من ارث مادي أو معنوي يستحق الإبقاء عليه وحمايته من الاندثار والحفاظ عليه عبر الاجيال المتعاقبة. وليس بالضروري أن يكون كل شيء قديم محتوياً لقيمة تراثية ما لم يرى ويقدر المجتمع جدوى وأهمية ما يخلفه السلف، لذلك لا بد من الادراك الواعي للقيم الكامنة بالعناصر التراثية الموروثة أولاً لكي تتحدد جدوى أهمية حفظها.

4.1 إعادة التوظيف

هي عملية تغيير وظيفة في مبنى معين لأخرى تختلف عن تلك التي صمم لأجلها وبصاحب هذا التغيير في الوظيفة تعديلات مختلفة على البناء بما يتلاءم مع متطلبات الوظيفة الجديدة ويراعي

أن تكون هذه التعديلات في البناء بحدود معينة تضمن الحفاظ على أصالة المبنى وقيمه التاريخية وتعتبر من أفضل الوسائل للتعامل مع الأبنية الأثرية وذات القيمة لما تتضمنه من اهتمام بالمحتوى العمراني المحيط والمبنى ذو القيمة وتنمية المبنى والوسط العمراني معاً.

1-5 إعادة التوظيف-الإطار العام

إن إعادة استخدام وتوظيف المباني ذات القيمة والمناطق ذات القيمة التوظيف الملائم ليس فقط للمساعدة على تطويرها وإرجاع الحياة إليها، إنما قد يؤثر على الكيانات العمرانية المجاورة ويمتد أثره إلى المجال الاقتصادي والحضاري مما قد يساعد على إيجاد قاعدة اقتصادية يعتمد عليها للإبقاء على تلك المباني وتلك المناطق وأيضاً يعود على المنطقة المحيطة للمبنى أو للمنطقة الأثرية للدخول ضمن الكيان العضوي للمدينة القديمة، ولا يصبح هذا العنصر ثانوياً، قد يساعد أيضاً على استكمال التوظيف الملائم لتلك المناطق ومحيطها العمراني أيضاً نادت أغلب المواثيق والمؤتمرات الدولية بضرورة الحفاظ على المباني ذات القيمة عن طريق استغلالها في تحقيق عائد اقتصادي يكفي تكاليف الصادر عن أعمال الصيانة الدورية لها وأهم هذه المواثيق ميثاق البندقية الصادر عن المؤتمر الدولي الثاني للمهندسين المعماريين والفنيين المتخصصين عام ١٩٦٤م، والذي يؤكد على ضرورة إعادة توظيف

الأبنية ذات القيمة في استخدامات مناسبة. كما أوصت لجنة اليونسكو في تقارير الحفاظية بضرورة استحداث وظائف جديدة للمباني ذات القيمة لضرورة الحفاظ عليها وضمان صيانتها. الميثاق الدولي لصيانة وترميم النصب والمواقع الأثرية (مقررات مؤتمر البندقية عام ١٩٦٤)، الصادر عن المؤتمر الدولي الثاني لمهندسي وفني المباني التاريخية، فينسيا، ١٩٦٤ م .

1-5 أهداف إعادة توظيف المباني التراثية

توجد عدة اهداف لإعادة توظيف المباني التراثية هي:

1-5-1 اهداف خاصة بالمبنى

- الحفاظ عليه وضمان صيانتته بصورة دائمة وكذلك تحسين الوسط العمراني المحيط به.
- الحفاظ على القيم التراثية والجمالية.
- رفع مستوى القيمة العقارية والضريبية للمباني المعاد استخدامها.
- توفير السلامة الانشائية للمبنى التراثي عن طريق الدراسات التي تسبق إعادة الاستخدام.
- ايجاد نوع من الاشراف الدائم على هذه المباني عن طريق مستخدميها والمنفعين بها مما يؤدي الى منع التعدي عليها واتلافها.

1-5-2 اهداف اقتصادية

- توفير عائد مناسب يغطي تكاليف صيانة هذه المباني ويساعد على رفع مستوى هذه الصيانة.
- فتح نشاط استثماري جديد واثاحة الفرص من خلال نوعية النشاط والوظائف المقترحة التي يحتويها وسيؤديها المبنى.
- استغلال المبنى القديم وموقعه يزيد من قيمته المالية وذلك لقيمة المبنى التراثية.

1-5-3 اهداف اجتماعية

- المشاركة في تنمية المجتمع المحيط بالمبنى وذلك بدعم الحفاظ على الطابع المعماري والعمراني التراثي.
- ضمان استمرار اعمال الصيانة واعمال النظافة والتي يصعب استمرارها دون استخدام المبنى.
- ايجاد ترابط وتواصل بين المبنى ومستخدميه المنتفعين من خلال الوظيفة التي يؤديها المبنى للمجتمع.

2. منطقة الخرطوم الكبرى - نبذة تاريخية

تضم منطقة الخرطوم الكبرى ثلاثة مدن هي الخرطوم العاصمة، أم درمان، والخرطوم بحري. وتضم ملتقى النيلين الابيض والأزرق وتغطي مساحة تقدر بحوالي 28.000 كلم مربع. وتقع بين دائرتي العرض 15 و 16 درجة. تم إنشاء الخرطوم في القرن التاسع عشر الميلادي بواسطة الحكم التركي، وأم درمان أسسها الخليفة عبد الله التعايشي خليفة الامام المهدي بعد سقوط الخرطوم عام 1885م،

أما مدينة بحري فيعود تاريخ إنشائها إلي الأيام الأولى للحكم الثنائي.

تدخر منطقة الخرطوم الكبرى بالكثير من المباني التراثية ذات الأهمية الخاصة، التي تتمثل في الشواهد المعمارية والعمرانية التي تعود لفترتي التركيبة السابقة والحكم الثنائي، بالإضافة إلى آثار الدولة المهديّة بأمر درمان والتي تتمثل في العديد من المباني الشاخسة والطوابى. كما توجد بالمنطقة آثار الفترة الإسلامية المتمثلة في المساجد العتيقة. وفي عام 1885م استطاعت الثورة المهديّة بقيادة الإمام محمد أحمد المهدي فتح الخرطوم. وشيدت دولة المهديّة في السودان التي خلفت العديد من الآثار الخالدة رمزاً لهذه الثورة الوطنية، متمثلة في انتشار العديد من مواقع المباني التاريخية لهذه الحقبة الوطنية في كثير من أرجاء السودان المختلفة خاصة في مدينة أمدرمان حاضرة دولة المهديّة. وبدخول جيوش الحكم الثنائي - الإنجليزي المصري - للبلاد عام 1898م انهارت دولة المهديّة، وأصبح المستعمر يتحكم في شؤون إدارة البلاد مخلفاً مواقع مباني تراثية.

2-1 قيم المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى

وتخضع أهمية المباني الى عدة قيم

2-1-1 ثقافية :

- قيم توثيقية: القصر الجمهوري (السراي) نادي الخريجين أمدرمان - نادي الخريجين الخرطوم سابقاً .
- قيم تاريخية: منزل الزبير باشا - اشلاق عباس (الغابات ومطافئ الخرطوم) مستشفى النهر - (وزارة الصحة) .
- قيم اثرية زمنية: سور الارسالية الكاثوليكية (النائب العام) ،كلية غريون التذكارية (متحف القصر) سبيل سلاطين .
- قيم منظر المدينة: مبنى البوستة (داخل محافظة امدرمان) ، مبنى السردارية (وزارة المالية) مبنى الحفانية (القضاية) .

2-1-2 قيم الاستعمال

- قيم وظيفة: مبنى المديرية (ولاية الخرطوم) محافظة الخرطوم.
- قيم إجتماعية: سوق النسوة بأمدرمان.
- قيم سياسية: مبنى البرلمان القديم، مبنى الوزراء القديم.
- قيم اقتصادية: بيت الامانة (دار الرياضة بأمدرمان).
- قيم دينية: قبة الامام المهدي - قبة حمد النيل.

2-1-3 قيم عاطفية

- قيم الاستغراب: معهد أمدرمان العلمي
- الشخصية: طوابى المهدي، القيادة العامة، القصر الجمهوري .

• الاستمرارية: قباب الكباشي (ابراهيم الكباشي وابنائاه وأحفاده).

والقيم ثابتة والمعايير تتغير لذلك نجد أن هذه المباني التراثية قد احتفظت بقيمتها الثابتة رغم تغيير المعايير ومن هنا تبرز أهميتها. 2-2 الجهات المسؤولة عن الحفاظ على التراث المعماري والعمراني بمنطقة الخرطوم الكبرى

من اهم الجهات القائمة على الحفاظ على التراث المعماري والعمراني في السودان هي:

2-2-1 الهيئة القومية للآثار

إن إدارة الموارد الثقافية في السودان والمتمثلة في مواقع التراث والمباني التاريخية ومناظر البيئة الثقافية المادية، هي مسؤولية الدولة ممثلة في الهيئة القومية للآثار والمتاحف وفق قواعد وأسس القانون المنظم لذلك. وفي الجانب الآخر فإن إدارة الموارد الثقافية وفق الأسس المنهجية والعلمية هي من صميم أعمال المؤسسات الوطنية الأكاديمية ومراكز البحث العلمي في السودان ممثلة في الجامعات وأقسام الآثار بها، هذا بالإضافة إلى مساهمة البعثات الأجنبية العاملة في مجال البحث الأثري في السودان.

2-2-2 الادارة العامة للآثار والسياحة

هي إدارة متخصصة تتبنى السياسة العامة لها على خلق جهاز إداري بكادر مؤهل ومدرك للمهام التي تضطلع بها الإدارة المتمثلة

في حماية وإدارة المواقع الأثرية والتاريخية والنصب والمباني التاريخية والتراثية.

3 أهم الموثيق والتوصيات الدولية والقومية المتعلقة بمعايير إعادة توظيف المباني التراثية

تمت الإشارة إلى معايير عملية إعادة توظيف المباني التراثية في العديد من الموثيق والتوصيات الدولية والقومية، الواجب أخذها في الاعتبار، والتي تساهم في تحديد نوع الاستخدام الأفضل لمثل هذه المباني والتي تستوجب عدم التأثير سلباً على القيمة المعمارية والتراثية للمبنى، كما تعمل على ضمان ديمومة واستمرار أداءه وعمره الوظيفي لأطول فترة ممكنة بالتوازي مع عمره الفيزيائي ومن هذه الموثيق:

3-1-1 ميثاق فينيسيا 1964م.

- استخدام المعلم، في وظيفة تفيد المجتمع، يساعد في عملية الحفاظ عليه.
- استخدام كل العلوم والتقنيات في الحفاظ والترميم التي تؤدي إلى دراسة وإنقاذ المعالم التراثية.
- الدراسات وأعمال التوثيق التي تتم قبل وأثناء أعمال الحفاظ، يجب أن تصدر على هيئة مجموعة من التقارير التحليلية

والنقدية المدعمة بالرسومات والصور الفوتوغرافية، وتوضع في أرشيف يمكن الاضطلاع عليه من قبل الباحثين ويوصى بنشرها.

3-1-2 قرارات حلقة النقاش عن إدخال العمارة المعاصرة داخل المجموعات التاريخية للمباني - بودابست-1972م.

- إعادة الإحياء للمعالم التاريخية أو مجموعات المباني يكون بإعادة استعمالها وإضافة استعمالات جديدة لا تؤثر داخلياً أو خارجياً على هيكلها الإنشائي أو خصائصها بحيث تحتفظ بكيانها المتكامل.

3-1-3 توصيات بخصوص تأمين الحماية والدور المعاصر للمناطق التاريخية- توصيات نيروبي 1976م

- مخططات الحماية ووثائقها يجب أن يصدّق عليها بواسطة الهيئة التي يخولها القانون.

- تحديد الوسائل التي سيتم بواسطتها تمويل وتنفيذ برامج الحماية.

3-1-4 ميثاق أبلتون لحماية وتحسين البيئة المبنية - أيكوموس كندا 1983م.

- يجب استخدام المبنى في وظيفته الأصلية، أو في وظيفة ملائمة لا تتطلب تغييراً ملموساً بالمبنى، ويجب على الاستخدام الجديد أن يحترم التقاليد الموجودة والأصلية للحركة والموقع.

3-1-5 توصيات حلقة نقاش البرازيل الأولى (أيكوموس البرازيل - يوليو 1987م)

- الحماية القانونية للمواقع العمرانية التاريخية يمكن تحقيقها خلال إجراءات مختلفة، مثل إعداد قوائم التسجيل والأرشفة والتنظيمات العمرانية والإعفاء من الضرائب والحوافز وإعداد قوائم الاهتمام الثقافي وإعادة التملك.

3-1-6 ميثاق أيكوموس للحفاظ على المدن التاريخية والمناطق العمرانية- ميثاق واشنطن أكتوبر 1987م.

- يجب أن تؤخذ احتياطات تأمين تمويل الحفاظ والترميم للمبنى.

- الحفاظ يتطلب أن تنظم مجموعة تقنيين من كل التخصصات التي لها علاقة بذلك.

3-1-7 الميثاق الدولي لإدارة التراث الأثري 1990م

- التشريع يجب أن يمنع تدمير، أو تلف، أو تحوير (من خلال التغيير) في أي موقع أو معلم أو في محيطها من غير ترخيص من المؤسسات الأثرية المسؤولة.

3-1-8 ميثاق الحفاظ على الأماكن ذات القيمة التراثية الثقافية- ميثاق نيوزيلاند 1992م.

- الحفاظ على أماكن التراث الثقافي يتيسر باستخدام المكان في غرض مفيد.

- حيثما كان هناك مقترح لتغيير الاستخدام، يجب أن يكون الاستخدام الجديد مناسب لقيمة أماكن التراث الثقافي وأن لا يكون له تأثير سلبي على قيمة هذا التراث.
- تعتبر الأعمال الفنية من زخارف ورسومات ونسيج وزجاج معشق وفنون أخرى مرتبطة بالمكان متكاملة مع هذا المكان.
- 3-1-9 ميثاق السياحة الثقافية الدولية (المكسيك 1999م)
- أن تكون الموارد المالية الناتجة عن السياحة موجهة لحماية التراث وصيانه وتفسير تميزه الثقافي.
- 3-1-10 ميثاق الحفاظ وإدارة الأماكن ذات التميز الثقافي في أستراليا - ميثاق بورا 1979م-1999م.
- يجب تسهيل مشاركة الناس الذين لديهم ارتباطات ومعانٍ خاصة بالمكان، أو الذين لديهم مسؤوليات اجتماعية وروحية وثقافية للمكان في الحفاظ، والتفسير، وإدارة مكان.
- يجب أن يزود الأفراد والمجموعات بالفرص للمساهمة والمشاركة في فهم الأهمية الثقافية للمكان، ويجب أن يعطوا أيضاً فرصاً للمشاركة في الحفاظ وإدارة المكان.
- يفضل استعمال التقنيات والمواد التقليدية في الحفاظ على النسيج ذي القيمة، إلا أنه في بعض الظروف يمكن استعمال التقنيات والمواد الحديثة.

- دعا الميثاق إلى مدخل حذر للتغيير والقيام بقدر ما هو لازم لرعاية المكان وجعله قابلاً للاستعمال، ولكن في نفس الوقت أقل ما يمكن من التغيير حتى يُبقي على تميزه الثقافي.
 - النسيج الموجود والاستخدام لا بد أن يتم تسجيلها بصورة كافية قبل إجراء أي تغييرات على المكان.
- 2-3 معايير إعادة توظيف المباني التراثية من الموثيق والتوصيات الدولية والقومية

تتضمن عملية إعادة توظيف المباني التراثية مجموعة من المعايير وعناصر تقييم تم استخلاصها من خلال الدراسة التحليلية لبنود أهم الموثيق والتوصيات الدولية والقومية التي تناولت موضوع إعادة توظيف المباني التراثية. جدول (1) يوضح ملخص لاهم المعايير المقترحة لإعادة توظيف المباني التراثية.

جدول (1) معايير إعادة توظيف المباني التراثية-

المصدر: الباحثة

المعايير	عناصر التقييم
القانونية	التقيد بالقوانين عند عملية اختيار الوظيفة الجديدة للمبنى التراثي
	إنشاء قاعدة بيانات لتوثيق المباني التراثية
الاقتصادية	توفير الدعم المادي من خلال الجهات الرسمية
	تمويل المبنى ذاتياً من خلال الاستخدامات السياحية واستغلال عوائدها.

إعادة توظيف المباني التراثية في وظائف تخدم المجتمع.	الاجتماعية
مشاركة المجتمع في الحفاظ على المباني التراثية	
ترميم وإعادة توظيف المباني التراثية بواسطة متخصصين	الفنية
استعمال تقنيات ومواد البناء المحلية، واستعمال التقنيات	
والمواد الحديثة متى ما لزم ذلك	
الحفاظ على طابع المباني التراثية	

3-3 التجارب العالمية لإعادة توظيف المباني التراثية

3-3-1 التجربة الفرنسية (متحف اورساي)

هو متحف في باريس بفرنسا على الضفة الغربية لنهر السين. كان في الأساس محطة سكة حديد، حيث تم تحويل المحطة إلي متحف، وتطلب ذلك الكثير من التعديلات في محاور وممرات الحركة لتتناسب مع الاستخدام الجديد مع مراعاة التصميم الاساسي للمحطة واختيار أماكن العرض حيث تم وضع كل مجموعة من التحف في ساحة مخصصة (شكل-1).²⁰¹

سارة احمد محمد عثمان تجارب اعادة استخدام المباني ذات ²⁰¹

القيمة في جمهورية مصر رسالة ماجستير جامعة

القاهرة، 2008، ص24.



(شكل 1-1)متحف أورساي من الداخل والخارج- المصدر:

Orsaywww,muse,orsay.fv

3-3-2 التجربة المصرية (منزل السحيمي)

بيت السحيمي هو بيت الشيخ عبد الوهاب الطبلاوي هو بيت عربي ذو معمار شرقي متميز يقع في حارة درب الأصفر المتفرعة من شارع المعز لدين الله الفاطمي بحي الجمالية في قلب مدينة القاهرة. تم ترميم البيت بمنحة من الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي. استمرت أعمال مشروع توثيق وترميم وتنمية منطقة بيت السحيمي مدة خمس سنوات منذ عام 1996 وحتى عام 2000. حالياً يستخدم

بيت السحيمي كمتحف مفتوح لفنون العمارة الإسلامية، ومركز للإبداع الفني التابع لصندوق التنمية الثقافية، كما تقام به ورش عمل لتعليم الشباب أصول هذا الفن، وذلك بهدف الحفاظ على الموروث الثقافي المصري وحمايته من الاندثار وتوفير أماكن عرض ثابتة لتلك الفرق التابعة للهيئة العامة لقصور الثقافة (شكل-2).²⁰²

3-3-3 التجربة التركية مشروع ترميم وتطوير وكالة رستم باشا -

أدرين

تقع وكالة رستم باشا في مركز مدينة أدرين التاريخي. وقد أقام الوالي رستم باشا تلك الوكالة لتدر عائدا ماديا يستخدم في صيانة وتشغيل مجموعة المباني الدينية التي أقامها بالمدينة. وقد تعرضت الوكالة للإهمال وبلغت مرحلة متدهورة حتى قررت الهيئة التركية للمباني الأثرية ترميمها كمرحلة أولى، وبعد مرور ثلاثة سنوات علي مشروع الترميم تم إعادة توظيف الوكالة لتصبح فندق يستوعب السياحة التجارية بالمنطقة، ولذلك أعيد تصميم غرف الإقامة بالطابق العلوي والمطلة علي الفناء الصغير للوكالة بالإضافة إلي غرف الإقامة بالطابقين المطليين علي الفناء الكبير، وتم تزويد نصف الغرف بالطابق العلوي بحمامات خاصة كما تم تزويد المبني بمطعم وكافتيريا وبار يتم الوصول إليهم مباشرة من الخارج عن طريق مداخل مستقلة. وتقع هذه الخدمات الجديدة في الدور الرضي المطل

²⁰² <http://www.wikipedia.org> Retrieved June, 2018

علي الفناء الصغير، (كانت هذه المساحة فيما سبق تستخدم كإسطبلات للجمال وخان) كما تم ترميم المحلات المطلة علي الطريق وتأجيرها للتجار لتحقيق عائدا إضافيا للمشروع. وهكذا نجحت الهيئة المسئولة عن المباني الأثرية بتركيا في ترميم مبني وكالة رستم باشا الأثرية وإعادة توظيفها سياحيا كعنصر سياحي بالمنطقة ولتحقيق عائدا اقتصاديا يساهم في عملية الحفاظ على المبني. ولقد ساعد علي نجاح المشروع وضع برنامج مرحلي لعملية الترميم وإعادة التوظيف (شكل-3).²⁰³

²⁰³ محمد عماد نور الدين، رندا محمد رضا، الحفاظ علي المباني والمناطق التاريخية وإعادة توظيفها، الحلقة الدراسية السادسة لمنظمة العواصم والمدن الاسلامية المصاحبة لمؤتمرها الثامن، طهران، 1997.



(شكل-2)منزل السحيمي-المصدر : Google photo,search :
engin

(شكل-3) وكالة رستم باشا-المصدر :

<https://www.ckbtravel.com>

4 التوجهات المحلية في اعادة توظيف المباني التراثية

تم اختيار الحالات الدراسية من منطقة الخرطوم الكبرى، مبنى البريد في مدينة الخرطوم، متحف بيت الخليفة في مدينة امدرمان، وقصر الزبير باشا في مدينة الخرطوم بحري.

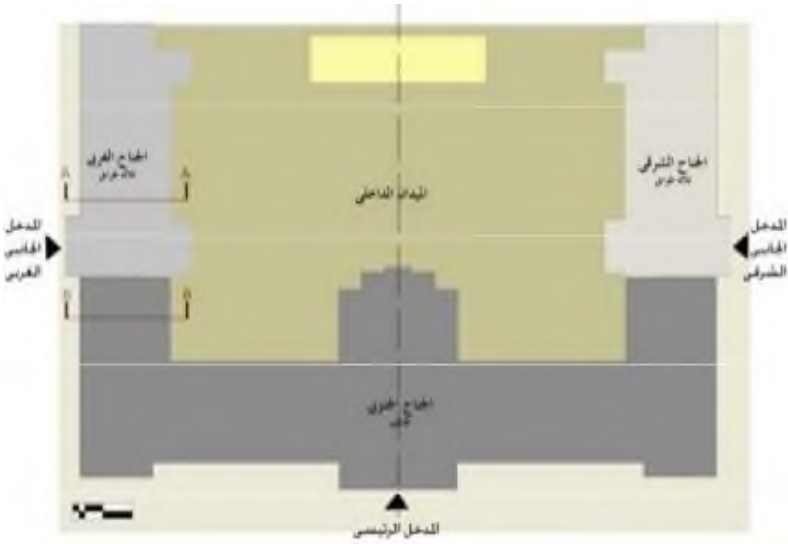
1-4 مشروع اعادة توظيف مبنى البريد المركزي

1-1-4 دراسة تاريخية

تم بناء مبنى البريد المركزي عام 1928م تكملة لمبنى المالية القديم، حيث تم توثيقه ضمن المباني التراثية. ويحتل موقعا مميزا بجوار مبنى وزارة المالية ومبنى القصر الجمهوري.

2-1-4 الوصف المعماري:

المبنى مشيد على شكل حرف (U) (شكل-4) ويضم صالة داخلية تطل شمالا على شارع فرعي يفصلها عن مبنى وزارة المالية والمبنى مكون من ثلاثة أجزاء على النحو التالي :



(شكل-4) المسقط الافقي للمبنى - المصدر: شركة عمار الاستشارية

2016

الجنح الجنوبي يمثل الواجهة الرئيسية للمبنى المطلة على شارع الجامعة وتمتد امامه ساحة خارجية بطول المبنى وبها المدخل

الرئيسي ويتكون من طابقين مع القبو الجزئي في الجهة الغربية منه. الجناح الشرقي والجناح الغربي يمثلان امتدادا شماليا للمبنى ويتصلان بالجناح الجنوبي عند المدخلين الفرعيين وكل جناح منهما مكون من ثلاثة طوابق مع طابق قبو. وللمبنى طابع كلاسيكي قوي يظهر في التناظر حول محور وسطي عند المدخل الرئيسي وفي النمط المتكرر للعناصر المستخدمة في تشكيل الواجهات وفي بساطة معالجة حوائط الواجهات باستخدام الطوب الأحمر مع تغطية بالحجر الرملي عند المدخل وفي تأكيد الخط الأفقي باستخدام سقف المرسلية على مستوى واحد وإفريز من الحجر الرملي مع زخارف عند أعتاب نوافذ الطابق الأخير يكررها إفريز آخر على مستوى أعتاب نوافذ الطابق الأرضي.

يفتقر المبنى لخدمات المباني الحديثة وبه كثير من التشويه والتدهور الذي نتج لمحاولات اضافة الخدمات المطلوبة فالفتحات التي استغللت لتكيب التكيف او استغلال الشبايك لتكيبها أضرت بالحوائط والنوافذ، وخزانات المياه العلوية ومواسير الصرف الصحي لدورات المياه شوهدت السقوفات والواجهات، وضع ملصقات اعلانية أضرت بالمبنى وزادت من تدهور القيمة الجمالية للمبنى (شكل-5).



(شكل-5) مواشير الصرف الصحي ووحدات التكييف شوهدت

المبنى-المصدر: الباحثة 2015

3-1-4 مشروع إعادة التوظيف

تم إعادة توظيف المبنى بإعادة تصميمه من الداخل لإدارات وزارة المالية ووظيفة البريد في أجنحة المبنى المختلفة، وللفصل بينوظيفتين ووظيفة البريد والمكاتب التابعة للمالية تقرر جمع وظيفة البريد في الجزء الاوسط من الدور الأرضي في الجناح الجنوبي وان يعاد احياء مدخلة الرئيسي القديم المطل على شارع الجامعة أما

إجلاس إدارات وزارة المالية تم استغلال الاجنحة الشرقية والغربية والاجزاء الشرقية والغربية من الجناح الجنوبي بالإضافة لبقية الطوابق الأخرى للاستخدامات التي تحتاج اليها كقاعات الاجتماعات ومكاتب مديري الإدارات ومكاتب الموظفين وقاعات المحاضرات والمكتبة كما يلي:

تم تقسيم الادارات بفواصل خفيفة ألواح الفلين المضغوط في تقسيم الحمامات وغرف الكهرباء والواح الألمونيوم، والالواح الجبسية لتقسيمات المكاتب وهي فواصل قابلة للفك والتحرك. لم يتم عمل فتحات جديدة فيه والمساس بالمعالم التراثية للمبنى والاكتفاء بالفتحات الموجودة.

اما بالنسبة للمداخل تقرر ان يكون المدخل الجنوبي للبريد والبرق، اما الدخول لمكاتب التابعة للمالية عبر الحديقة الوسيطة من المدخل الشمالي للمبنى والذي سوف يؤهل بعمل بهوي استقبال في الطابقين الارضي والأول.

4-1-4 تقييم المشروع وفق معايير التقييم

• القانونية

المبنى محمي بقانون حماية الآثار لعام 1999 لرمزيته التراثية وتقرده المعماري، بجانب أنه يمثل إرثاً وقيمة ثقافية وسياحية. وتم توثيق المبنى كأحد المباني التراثية في منطقة الخرطوم الكبرى.

• الاقتصادية

يتم توفير الدعم المالي من وزارة المالية والاقتصاد الوطني والهيئة القومية للآثار.

• الاجتماعية

يقول تأثير المجتمع المحلي والبعد الاجتماعي في القرارات التصميمية نظراً لطبيعة المبنى الادارية وذلك لإعادة توظيف المبنى بوظيفة ادارية لوزارة المالية ووظيفة البريد.

• الفنية

- أن أعمال الصيانة تتم تحت إشراف الهيئة القومية للآثار والمتاحف وفقاً للمواصفات والاشتراطات المقررة من منظمة اليونسكو وهيئاتها الاستشارية.
- إزالة كل المباني العشوائية المخالفة في المبنى من الجهة الشمالية والجنوبية الغربية للمبنى وعمل حديقة تربط بين مبنى البريد والبرق ومبنى المالية مع استكمال السور الخارجي وعمل بوابات للمدخل.
- تم استعمال تقنيات ومواد البناء المحلية بصيانة وترميم الابواب والنوافذ التراثية في كامل المبنى واكمال الاجزاء التالفة منها، والحفاظ على العناصر الموجودة في الجزء الخاص بوظيفة البريد والبرق من ارضيات البلاط الحبشي، اما في الاجزاء الخاصة بوظيفة وزارة المالية تم تغيير الأرضيات الى ارضيات من الرخام.
- تم الحفاظ على قيمة المبنى التراثية ويظهر ذلك في إعادة المبنى الى حالته الاولى كما كان في السابق.

2-4 مشروع اعادة توظيف بيت الخليفة عبد الله التعايشي

(امدرمان)

1-2-4 دراسة تاريخية

كان في السابق مقراً لسكن الخليفة عبد الله التعايشي إبان الدولة المهديّة وخليفة قائد الثورة المهديّة الإمام محمد أحمد المهدي، وقد شيد المبنى عام 1887م. قام بإنشاء البيت رجل من الأنصار، وقام بوضع الخارطة المعماري الإيطالي بييترو، كما شيد الجزء الملحق به والمكون من طابقين عام 1891م. بعد هزيمة جيوش الخليفة في كرري في 2 سبتمبر سنة 1898م ودخول الجيش الغازي أمدردمان وإستباحتها فترة من الزمن، إستقر كتشنر لفترة من الزمن في بيت الخليفة إلي أن إكتمل إصلاح ما لحق بسراري غردون من دمار.

4-2-2 الوصف المعماري

يقع بيت الخليفة في مدينة أمدردمان في الناحية الجنوبية من قبة الإمام المهدي، ويحيط بالمبنى حائط ضخم مبنى بالطوب الأحمر. تبلغ مساحة البيت نحو 3500م² وأبعاده 125م من الشمال إلي الجنوب، و39م من الشرق إلي الغرب، وهو متصل بالجامع بباب مغلق الآن.

يتكون البيت من عدة أفنية محاطة بسور من الطوب الأحمر ومتصلة ببعضها البعض شكل (6) يوضح بيت الخليفة. ويتكون من خمس أجزاء من المباني: المدخل، الحوش وتوجد به السيارات القديمة، الفناء الرئيسي بالوسط ويقابل هذا فناء آخر يفصل بينهما سور، المبنى الذي يتكون من طابقين، مبنى يقع بالجنوب ويتكون من حجرات صغيرة وكانت إصطبلات للخيل في السابق.

4-2-3 مشروع اعادة التوظيف

تعاقب على السكن في بيت الخليفة عدد من كبار موظفي المستعمر البريطاني، الذين حوّل بعضهم البيت إلى اصطبل للخيل. وعندما جاء المفتش برمبل أقام في هذا البيت، وكانت زوجته متخصصة في الآثار، فاقترحت أن يصبح بيت الخليفة متحفاً للآثار يضم كل آثار الثورة المهدية، وأصبح المنزل منذ عام 1928 متحفاً للآثار يحتوي على العديد من مقتنيات النادرة لتلك الحقبة، كما يشتمل على مقتنيات تعود إلى ما قبل الدولة المهدية.

طُرِح مشروع ترميم المتحف في مسابقة تنافست عليها بيوت الخبرة بالداخل والخارج، ومن ثم طُرِح المشروع الفائز في عطاء التنفيذ، وكان الاشتراط أن يُصان وفق شروط محددة تتوافق مع معايير ترميم المبنى. شكل (7) يوضح أعمال الترميم والصيانة.

4-2-4 تقييم المشروع وفق معايير التقييم

• القانونية

يخضع لقانون حماية الآثار والمتاحف بولاية الخرطوم لسنة 2009م، حيث يعتبر من أهم المعالم التراثية في مدينة أم درمان المسجلة لدى الإدارة العامة للآثار والمتاحف.

• الاقتصادية

اعادة توظيف بيت الخليفة كمتحف ساهم في استمرار تمويل اعمال الترميم والصيانة، كما تساهم الإدارة العامة للآثار والمتاحف الولائية في تمويل اعمال الترميم والصيانة.

• الاجتماعية

يرتاد متحف بيت الخليفة الباحثين والسياح للتعرف على تاريخ الثورة المهدية. كما تقوم إدارات المدارس بولاية الخرطوم بعمل رحلات

للطلاب للتعريف ببيت الخليفة وتاريخه. ويتولى فريق عمل متخصص مهمة شرح المعالم والمقتنيات الاثرية.

• الفنية

- توظيف التقنيات التقليدية، واستخدام عمالة محلية، واستخدام مواد تقليدية في ترميم وصيانة المبنى، وذلك لأن بيت الخليفة مشيد من المواد التقليدية (الطوب، الطين وروث الحيوان، والسقف من البروش والخشب).
- اعمال الترميم والصيانة تمت تمت وفق الأسس والمعايير الدولية تحت اشراف الهيئة القومية للآثار والادارة العامة للآثار والمتاحف، واعمال اعادة التوظيف تمت بواسطة خبراء وطنيون واجانب متخصصون.
- الحفاظ على الطابع المعماري والعمراني لبيت الخليفة.



(شكل-6) بيت الخليفة-المصدر: الادارة العامة للآثار
 والمتاحف، 2006 (شكل-7) اعمال الترميم في
 بيت الخليفة- المصدر: الباحثة 2018
 3-4 مشروع اعادة توظيف قصر الزبير باشا
 (بالخرطوم بحري)
 1-3-4 دراسة تاريخية

يعتبر قصر الزبير باشا معلماً بارزاً لمدينة الجبلي (46) (كلم) شمال الخرطوم بحري، شكل (8-76). وشيد القصر أثناء وجود الزبير باشا في المنفى في أواخر القرن التاسع عشر. ويعتبر الزبير باشا هو المؤسس لمدينة الجبلي.

4-3-2 الوصف المعماري

يتكون القصر من ثمانية غرف، فرنجة، صالة، حمام، ومطبخ. وكانت بالقصر حديقة خلفية بها الكثير من أنواع شجر الفاكهة. الجدران مشيدة من الطين والزبالة (روث الحيوانات)، أما الأبواب والنوافذ من الخشب. مازال القصر يأخذ هيئته وشكله الأول منذ نشأته قبل قرن من الزمان. ومازال أحفاد (الزبير باشا رحمة) يحتفظون بمقتنياته التي كان يستخدمها في الحرب والسلم داخل قصره. شكل (8) قصر الزبير باشا ومحيطه العمراني بالجبلي.

4-3-3 مشروع إعادة التوظيف

لم يعمل أحفاده الذين يسكنون في القصر على تغيير معالمه الخارجية أو الداخلية التي أضيف لها القليل من الأثاث الحديث، وعملوا على تنسيق جزء من القصر كمتحف. فقد نسق الأحفاد غرفة القصر التي تطل على صالة صغيرة بأثاثات الزبير باشا الأصلية، التي تتمثل في سريره المعروش وكرسيه إضافة إلى

درج منحوت بأحد أنواع الخط العربي، بجانب الآليات التي كان يستخدمها في الحروب. ويعتبر القصر من المعالم التاريخية الهامة التي يرتادها الزوار من داخل وخارج السودان. شكل (9) يوضح القصر قبل وبعد الترميم.



شكل (8) قصر الزبير باشا ومحيطه العمراني بالجيلي-المصدر:
الإدارة العامة للأثار والمتاحف 2012م



شكل (9) قصر الزبير باشا قبل وبعد الترميم-المصدر:الادارة العامة للآثار والمتاحف، 2012م

4-3-4 تقييم المشروع وفق معايير التقييم

• القانونية

يخضع القصر لقانون حماية الأثار والمتاحف بولاية الخرطوم لسنة 2009م. حيث يهتم احفاد الزبير باشا بتنفيذ قوانين الحفاظ على التراث (قانون الإدارة العامة للآثار والمتاحف). ويعتبر قصر الزبير باشا من أهم المعالم التراثية التي تم تسجيلها

في الإدارة العامة للآثار والسياحة وإشراف الجهات المختصة.

• الاقتصادية

تقوم اسرة وأحفاد الزبير باشا بتمويل اعمال الترميم والصيانة الدورية، كما ان حكومة ولاية الخرطوم ممثلة في الادارة العامة للآثار والسياحة التزمت بعد ذلك بتخصيص ميزانية ثابتة للصيانة ولم تف بالتزامها إلا مرة واحدة.

• الاجتماعية

- وعي الملاك بالحفاظ على المبنى التراثي وتحويل بعض أجزائه إلى متحف. وكان من أهم إيجابيات التجربة نجاحها في التزام الملاك (أحفاد الزبير باشا) بصيانة القصر والحفاظ على البيئة المحيطة.

• الفنية

- اشرف على أعمال الترميم مهندس معتمد من محلية أمدردمان والإدارة العامة للآثار والسياحة. قامت الإدارة العامة للآثار والسياحة بأخذ قياسات وأبعاد القصر ومن ثم توثيقه، وتوثيق بعض المقتنيات الخاصة بالزبير باشا على ضوء الحالة العامة للمبنى.

- وجد أن بعض الغرف تم تحديثها بالطوب الأحمر وتم إغلاق بعض الأبواب. وتم تحديد أعمال الصيانة والترميم على النحو التالي:

- ✓ تكملة الأجزاء المفقودة من الجدران بالطوب اللين.
- ✓ تغيير بعض أخشاب عتب الأبواب والنوافذ المتأثرة بالنمل الأبيض (الأرضة).
- ✓ كشط الزبالة القديمة وطلاء المبنى بزبالة جديدة.*
- ✓ تمت أعمال الترميم والصيانة باستخدام المواد والتقنيات التقليدية في الترميم.
- ✓ تم الحفاظ على طابع المبنى التراثي.

5 النتائج والتوصيات

1-5 النتائج

تحتوي منطقة الخرطوم الكبرى العديد من المباني التراثية ذات القيمة التي يمكن إعادة توظيفها بوظائف تساهم في إعادة الحياة لهذه المباني وتأكيد الهوية الثقافية والتاريخية والتي من خلالها يتفاعل المجتمع معها مرة أخرى، كما أنها تعتبر المحرك الرئيسي والأساسي للجانب الاقتصادي.

- الاعتبار للمعايير (القانونية - الاقتصادية - الاجتماعية - الفنية) عند

إعادة توظيف المباني التراثية التي تم استخلاصها من الموثائق

والتوصيات الدولية والقومية، حيث نادى هذه الموثائق بأهمية إعادة

* الزبالة: هي خليط من الطين وروث الحيوانات

توظيف المباني التراثية، كما أوصت بأن لا تتعارض الوظيفة مع قيمة المبني.

- توصل البحث من خلال دراسة التجارب العالمية إلى أن إعادة توظيف المباني التراثية في وظائف تخدم المجتمع، ساعدت على تجديد الحياة فيها بالإضافة الى الحفاظ على قيم المباني التراثية. كما تمت المراعاة للمعايير المقترحة عند اعادة التوظيف.
- اعادة توظيف مبنى البريد بإضافة وظيفة جديدة لوزارة المالية لم تتعارض مع الوظيفة الأصلية لأنها مماثلة باعتبارها وظائف ادارية، ولم تتعارض مع إنشاء المبني، لكن هذا الاستخدام لا يحقق عائد اقتصادي نسبة للوظيفة الادارية الجديدة.
- إعادة توظيف بيت الخليفة عبد الله التعايشي كمتحف لم يتعارض مع بنية المبني، حيث تميز بالاحتفاظ بفراغات المبني دون حذف او اضافة، فقد روعي عند مشروع اعادة التوظيف ان يحتفظ المبني بتفاصيله الداخلية والخارجية، حيث تكيفت الفراغات من سكن الى عرض متحفي، بالإضافة الى الحفاظ على قيمة المبني التاريخية والمعمارية.
- رغم القيمة التاريخية والتراثية العالية لقصر الزبير باشا، إلا أن الدولة لا تقدم الدعم المالي والفني للحفاظ على هذا التاريخ، حيث تقوم اسرة الزبير باشا بالصيانة الدورية للقصر دون أي دعم حكومي.

- يمكن تقسيم مصادر تمويل مشاريع إعادة التوظيف في منطقة الخرطوم الكبرى إلي
(الحكومة الاتحادية- الحكومة الولائية - الأفراد).
- لم يشترك المجتمع في مشاريع اعادة توظيف المباني التراثية بالقدر الكافي.

1-5 التوصيات

- الاخذ في الاعتبار عند اعادة توظيف المباني التراثية أن تؤدي وظيفة مواكبة للعصر دون المساس بالقيم التراثية التي تحملها.
- الاستفادة من التجارب العالمية في مجال استثمار المباني التراثية وكيفية اعادة توظيفها بوظائف سياحية.
- اعادة توظيف مبنى البريد بوظيفة ثقافية او سياحية استثمارية لتحقيق عائد اقتصادي يُستفاد منه لاستمرار تمويل أعمال الصيانة بالمعدلات المطلوبة.
- المساهمة في توفير الدعم المالي والفني اللازم لعمليات الترميم لقصر الزبير باشا. كما يجب دعوة القطاعات المختلفة للمشاركة في تمويل أعمال الحفاظ على المباني التراثية.
- تطوير القوانين الخاصة بإعادة توظيف المباني التراثية.
- مشاركة المجتمع المحلي في عملية اعادة توظيف المباني التراثية من خلال دورهم الفاعل في العمليات التنظيمية

والتنفيذية، لكي تتناسب مقترحات اعادة التوظيف مع احتياجات المجتمع المحلي. محمد عماد نور الدين، رندا محمد رضا، الحفاظ علي المباني والمناطق التاريخية وإعادة توظيفها، الحلقة الدراسية السادسة لمنظمة العواصم والمدن الاسلامية المصاحبة لمؤتمرها الثامن، طهران، 1997.

الحسّ الوقائي في تراث العمران الصحراوي الجزائري (قصر تمنظيط بولاية أدرار نموذجا)

عبد الحميد بن حاج خليفة

جامعة الجزائر 2

The preservative sensibilities in the desert
architectural heritage

Tamantit, Province of Adrar(Algeria), as a)
(Model
الملخص

تعدّ العمارة أحد أساسيات حضارات الأمم، وتخطيطها ليس عبثيا وإنما هي نتاج اجتماعي حضري، كما أن الإنسان هو محور كل موضوع معماري، لذا وجب أن تُصمم المباني من أجل الناس، مما يقتضي معرفة ودراية باحتياجاتهم . وباعتبار العمران الصحراوي بالجنوب الجزائري جزء من التراث الحضاري العمراني الإسلامي فلقد عمل المعمار في تخطيطه مراعاة عامل المناخ الصحراوي القاسي، آخذا إياه بعين الاعتبار وفق ما يتماشى وحاجاته الفردية والاجتماعية والتي نجد من بينها الجانب الصحي.

وفي المداخلة هذه نقف عند نموذج تطبيقي لبعض القصور التوتائية على غرار تمنظيط، ذات التشييد الإسلامي التي تبين مدى العلاقة بين التخطيط البنائي للقصر والحس الوقائي الذي راعاه إنسان القرن الثاني عشر ميلادي، متخذا إجراءات وقائية لتفادي الأخطار البيئية التي قد تحدث به أو حلولا علاجية في حالة نزولها

به، كل ذلك خدمة للجانب الصحي الذي يضمن بقاءه كغيره على وجه المعمورة. ملتزمين السرد التاريخي للقبائل التي حلت بالمغرب الاسلامي ومدللين بشواهد وآثار تركت بصماتها إلى حد الآن.

وبالتالي فإن المشيد الأول لم يقتصر على أدوات يعالج بها أمراضا فحسب، بل أسبقها ببناء أو محيط يتفادى به الوقوع في تلك المشاكل، كان ذلك باختيار المادة البنائية أو التخطيط في الجزء المبني أو المراد ببناءه، فكان بذلك طبيبا لنفسه ولمجتمعه.

الكلمات المفتاحية: تمنطيط، القصر، المناخ، الإجراءات الوقائية

Abstract

Architecture is one of the essential arts of civilizations for all nations. This is why; Planning is not a ridiculous process but rather an urban social product. Since man is the core of any architectural, buildings must be designed for people so this requires an understanding of both physical and psychological needs. The desert architecture in southern Algeria is part of the urban architectural heritage of Islam. The architect in his planning has taken into consideration the harsh desert environmental factor in accordance with its

individual and social needs, including the health
.aspect

The rationale behind the present contribution, we have tried to shed light on an applied model of some Tamantit and Islamic palaces that show the relationship between the structural planning of minors and the preservative sensibilities of a twelfth-century man, taking defensive measures to avoid environmental hazards or remedial solutions. All of which is seen as a service to the health side, which ensures its survival like any other planet. It should be mentioned here that we have relied on the historical narrative of the tribes that settled in the Islamic Maghreb and are well aware of the traces and effects that have left their mark so far. Therefore, the first monument was not limited to tools to deal with diseases, but linked to the avoidance of these problems, by choosing the building material or planning in the part built or to be built, and thus a doctor for himself and his
.community

Keyword: Tamentit, Ksar, climat, defensive

.measures

مقدمة:

تشغل بلدان البحر الأبيض المتوسط أهمية بالغة، لما تكتنزه من ثروات، تجعل منها منارات وأقطابا تصوب نحوها باقي الدول سهامها من أجل الفياء مما تتضرب به من الخير الوفير، وتعتبر الجزائر بما تحوزه من موقع جغرافي ومساحة شاسعة وتنوع مناخ، إحدى أهم البلدان المتوسطية، فهي قلب المغرب العربي، والممر الطبيعي بين إفريقيا وأوروبا، بلد غني من حيث الموروث الثقافي بنوعيه اللامادي والمادي، هذا الأخير الذي يحوي الشقين المنقول والثابت. فلكل منطقة من مناطقها نجد ذلك التنوع الثقافي، وتماشيا مع الحدود الوهمية الجغرافية نجد تنوعا ثقافيا، إما محاكيا له أو مجار له أو مختلفا عنه بالكلية، سواء كان الانتقال من الشمال صوب الجنوب أو من الشرق نحو الغرب.

كما تحتوي الصحراء الجزائرية على الكثير من الملامح الأثرية التي تؤكد تلك العلاقة العميقة بين الإنسان والوسط الطبيعي، ونجد من بين أهم هذه الملامح العمارة، إذ أخذ مشيدها الأول بعين الاعتبار قساوة المنطقة، فعمد إلى البناء معتمدا تخطيطا محكما يتماشى وبيئته، وراعى أيضا ما يعود بالنفع عليه من الجانبين المعنوي الحسي أو المادي، وبذلك استطاع التناغم مع محيطه دون إحداث خلل بيئي، فخلق فضاء عمرانيا بقيت آثاره شاهدة حتى يومنا هذا.

وبذلك حاولنا الإجابة عن إشكالية رئيسة، تفرض نفسها على الزائر أو السامع، حيث أنه بالرغم من قساوة البيئة الصحراوية، كيف استطاع المشيّدون الأوائل التآقلم معها، وتكوين حيزا عمرانيا فائق النظير؟ وما ميزات ذلك البناء أو ما السرّ في بقائه صامدا أمام عوارض الزمن؟

ونجد من بين تلك الآثار الصحراوية، القصور محل موضوعنا، محاولين إبراز الميكانيزمات التخطيطية التي استخدمها الانسان الصحراوي قبل وأثناء بنائه، وكذا الوسائل والمواد المستخدمة في عناصر التشييد من أجل التآقلم مع المناخ، وعدم إلحاق الضرر بنفسه من جهة وبالأخرين أو البيئة المحيطة به من جانب آخر.

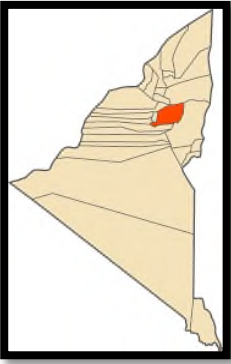


ولتبيين ذلك جاءت مداخلتنا بعنوان: الحسّ الوقائي في تراث العمران الصحراوي، آخذين قصور تمنطيط من ولاية أدرار كأنموذج للكّم الهائل من القصور التي تميز الصحراء الجزائرية عامة والتواتية خاصة.

أولا: جغرافية تمنطيط وتاريخها

اسم تمنطيط تركيب لاسمين أصلهما بريري هما "تما" وتعني "حجب" و"تيط" العين، وبتركيب الكلمتين نحصل على "حجب العين"، وقد اختلف الباحثون حول هذا الاسم؛ هل جاء نتيجة صفة أطلقت على القصر وأخذت منه التسمية أو تشبيه لقصر تمنطيط بالحجب، أم لاسم يعمل لدلالة وظيفية هي القصر حجب العين، والمقصود هنا هي عين الماء التي حجبها القصر، والمعروف أن

القصور الصحراوية كغيرها من التجمعات الإنسانية كانت تقام قرب برك مائية أو عيون جارية.

تقع تمنظيط جنوب غرب مقر الولاية أدرار الجزائرية على مسافة تقدر ب12 كلم، يحدها من الشمال بلدية أدرار وسبع وجنوبا فن وغيل، وشرقا اوقروت وتمقطن ومن الغرب بودة، وتعد تمنظيط عاصمة إقليم توات حتى القرن 17م، وأحد أكبر بلديات الولاية ذات الموروث العمراني، التاريخي والثقافي. (اللوحة

		
منطقة تمنظيط	ولاية أدرار	دولة الجزائر
اللوحة 1: موقع منطقة تمنظيط		

1- الدراسة المناخية لمنظيط:

تمنظيط عبارة عن مجموعة من واحات النخيل، تضم في وسطها القصر، بحيث تأتي الواحات منخفضة عن القصر، وهذا يساعد في ترطيب الجو، بالإضافة إلى وجود السبخات من الجهة الشمالية، وهي عبارة عن منخفض رطب نتج عن تجمع الماء، كل هذا أدى إلى وجود مناخ محلي خاص ومتميز، وحسب اتفاقية (رامسار) تصنف تمنظيط كمنطقة رطبة (صنف قاري)، وواحدة من إقليم توات الذي تشترك مناطقه في مجموعة خصائص أساسية كالتضاريس والمناخ ففي ما يخص معدل درجة الحرارة يفوق 50°م صيفا، كما تتميز منطقة تمنظيط بندرة تساقط الأمطار، ومعظمها

يكون ما بين (أكتوبر - فيفري)، وتصل ذروتها في (نوفمبر - ديسمبر). أما الرطوبة فضعيفة ما بين (مارس - أكتوبر) حيث تكون 14°م، أما الرياح فغالبا بسرعة متوسطة 20،44 كلم/سا في نوفمبر و 24،73 كلم/سا في ماي وهي رياح موسمية، وتكون شمالية شرقية إلى شمالية، بالإضافة إلى رياح السيريكو الجنوبية وهي رياح رملية تصل سرعتها 100 كلم/سا وتكون خلال شهري فيفري ومارس عموما، وهذا ما أدى إلى تصحر المنطقة الجنوبية الشرقية وعدم وجود النخيل في هذه الجهة نتيجة لقوتها.

أما عن طبوغرافيتها فهي مسطحة ومرتفعة بشكل طفيف مناسب لغرضين، أولهما دفاعي والآخر منفعي معاشي يخص الأراضي المسقية بالفقارة، والواقعة في الجانب السفلي للمنحدر.

1- تمنطيط بعد زمن المرابطين المسلمين:

ابتداء بالفترة الاسلامية التي تعنى بالموضوع، فإن تمنطيط استقطبت أغلب القبائل العربية والعجمية التي نزحت إلى توات بصفتها عاصمة القصور الصحراوية ومن أهم القبائل التي أثرت تأثيرا واضحا في عمارة تمنطيط هم المرابطون. فبداية من اللمتون؛ أولاد الملك يوسف بن تاشفين في القرن 12م، حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس، فروا إلى أن بلغوا أرض توات، ووجدوا بها الجذب وأنها أرض أمان، فبنوا قصر تابلوت ثم أولاد يعقوب، ومن قبائل المرابطين قبيلة أولاد علي بن موسى، الذين بنوا قصر بوصول ثم بنوا قصرا سمي باسمهم، وأقاموا ضريح سيدي امحمد بابوسف. ومرورا بمرحلة الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ووصولاً إلى قبيلة

"أولاد يحي" مشيدي قصور آغم أقبور، تاهقة وتوفاغي في القرن 15م تقريبا.

ومع مرور الأيام انصهرت القبائل في بوتقة واحدة لتكون اليوم سكان تمنطيط" وكان لكل منها الأثر في تشكيل الصيغة الأثرية لتمنطيط وخاصة القصر.

ثانيا- مفاهيم حول العمارة والعمران

العمران هو بناء معماري وتنظيم عمراني يشغل حيزا من اليابسة، ويخضع لعوامل جغرافية في علاقتها بالبيئة المحيطة بها، وعوامل اقتصادية بحكم انتمائها لنمط انتاج معين، ولعوامل اجتماعية نتيجة موضعها في النظام الاجتماعي المنظم لها، وأما الثقافة العمرانية هي ارتباط الوظائف العمرانية في المدينة بنظام المجتمع والقيم النابعة من الإطار الحضاري .

1- العمران الاسلامي

العمارة الاسلامية تطلق على المنجزات العمرانية في المناطق التي وصل اليها الاسلام واعتنقت شعوبها الديانة الاسلامية، مستفيدين منهم في بداية عهدهم من تجاربهم وخبراتهم "أي من الشعوب التي دخلت في الاسلام"، فلقد تأثر المسلمون بالفن الساساني والبيزنطي .

وخلال الفترة الممتدة من ظهور الاسلام والى نهاية العهد الراشدي ، لم يعر العرب المسلمون أهمية خاصة للفن والعمارة، لانشغالهم بالرسالة ونشر الاسلام ، ولذلك كانت قضايا الفن والعمارة من الامور

غير مستعجلة، لذا فقد ظهرت الأعمال المعمارية الأولى بسيطة وبعيدة عن التعقيد تخطيطا وتنفيذاً .

وبعد تثبيت أركان الدولة الإسلامية بدأ الاهتمام بالعمران الإسلامي، فتميز عن باقي الحضارات الأخرى من حيث التخطيط الهندسي والتقسيمات العمرانية ، فضلا عن العناصر المعمارية والزخرفة، ومن حيث تركيب نسيجها العمراني ومتطلبات الانسان وحاجياته.

فن حيث تخطيط المدينة؛ يشكل المسجد نواة العمارة الإسلامية ومركزها الذي تنطلق منه بقية المنشآت ،فإلى جانب الوظيفة الدينية فهو منظم للعلاقات الاجتماعية، وحوله تشيد المدارس والدور ومسكن الطلاب والمكتبات، ثم الأسواق والحمامات والمرافق العامة ،وفي المركز نجد دور القضاء والحكام .

أما حديثا فإن العمران هو الذي ينظم المدن عن طريق دراسة المفاهيم والتي تسمح بتكييف مساكن هذه المدن وفق حاجيات البشر اعتماد على مجموعة من التدابير الاقتصادية والاجتماعية والبشرية، وهو فن تهيئة المدن من أجل توفير ثلاث عناصر أساسية: السكن، العمل، الراحة . لذلك فإنه من الصعب إعطاء تعريف دقيق للعمران لكون المدينة تعبر عن اللاتنظيم واللاتوازن من الناحية الوظيفية للمجال. ويمكن الاكتفاء بتعريف منجد روبرت (robert) العمران هو دراسة الطرائق التي تسمح بتكيف السكن وخاصة السكن الحضري مع متطلبات الإنسان، فهو مجموعة التقنيات الهادفة إلى تطبيق هذه الطرائق .

2- العمارة القصورية الصحراوية:

يعرف القصر لغة بأنه المنزل، وقيل كل بيت من الحجر، سمي في القرآن بذلك لأنه تقتصر فيه الحريم أي تحبس وجمعه قصور، وهي تعني ما شيد من المنازل وعلا، ويطلق على كل بناية فخمة واسعة، فقد عرّف بأنه مقر الخليفة وأفراد عائلته وحاشيته، وبالرجوع إلى المصادر التاريخية، فهذا التعريف الأخير يقترب من ما هو متداول، حيث يقصد بالقصر مقر الخليفة وأفراد عائلته وبطانته، كما يطلق لفظ القصر على سكن علياء القوم وأغنياهم. وقد تميزت هذه القصور بتخطيطه أو فخامة بنائها وجمالها لما كان يوليها لحكام والأفراد من اهتمام وتنافس فيما بينهم، فشيّدوا قصورهم في المدن والبادي، مثل قصور الأمويين والعباسيين والأغالبة وغيره. ويمكن للقصر أن يضم مجموعة من القصور أو القصبات تحت اسم واحد كما يحتوي القصر على مسجد أو جامع يعرف بالجامع العتيق.

وأما اصطلاحاً وتماشياً مع موضوعنا؛ يختلف مفهوم القصر في المناطق الصحراوية اختلافاً كلياً عما سبق، فالأستاذ علي حملاوي يعرفه بأنه القرية المحصنة أو التكتلات السكنية المترامية والمتلاحمة في ما بينها، تقطنها مجموعات بشرية، تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات اجتماعية مختلفة، يحيط بهذه التكتلات أحياناً سور سميك، تتخلله مزاغل ومدعم بأبراج، وأحياناً تخلوا بتاتا من مثل هذه العناصر الدفاعية، ولكن تعوض بجران البيوت الخارجية لتشكل في النهاية ما يشبه السور يحيط بكافة أرجائها.

وتتفق أغلب الدراسات الحديثة في تعريفها للقصر بأنه ذلك الفضاء المشترك المغلق والمقسم إلى مساحات موزعة توزيعاً نوعياً،

والذي تخزن فيه مجموعة بشرية- ذات المصلحة الواحدة - محصولها الزراعي الموسمي ،وتستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها اليومية، ووقت الحروب للاحتماء من هجوم العدو، وفي هذه الحالة يتشكل القصر من سور فتح به مدخل واحد أو ما يعرف بغم القصر ،ولمزيد من الحيطه والحذر يدعم ببرج أو برجين للمراقبة

والتعريف الشامل الذي ينطبق على القصر هو ذلك الهيكل العمراني لمجموعة من الناس في موقع وموضع يتوفران على متطلبات تلك الفئة البشرية المتجانسة والمتراپطة في الدم والعقيدة والثقافة؛ اجتمعت حول موارد أساسية للقيام بمهمة حضارية متبادلة بين أجناس، ليس بالضرورة أن يكونوا من نفس طينتهم ولكن توسيع الأمر النفعي الشامل الحياة كلا الطرفين .

ثالثا- الإجراءات الوقائية للتكيف مع المناخ:

1-داخليا:

ونعني بها الإجراءات الوقائية التي أخذها المشيد الأول بعين الاعتبار للتأقلم مع بيئته، والتي من شأنها ضمان استمرارية بنائه من جهة وسبقا لذلك، حفظا لنفسه ولمجمعه من جهة أخرى. هذه الجانب يعنى بالقصر داخليا، بدءا من المادة الأولية وصولا إلى الجزء المبني، ومرورا بأساليب وتقنيات البناء.

1-1- مواد البناء والتشييد:

عملية التشييد العمراني في المناطق الصحراوية تمت بواسطة مواد بناء محلية، فالطين والجبس وبعض أجزاء الأشجار كالنخيل، كانت

مواد أساسية في بناء المنازل والدور المختلفة في مناطق الصحراء،
فهي مواد يتوفر فيها شرطان يحتاجهما ساكنة الصحراء :

- الوفرة وسهولة الحصول على مواد البناء
- ملائمة هذه المواد للبيئة الصحراوية في التقليل من تأثير الظروف المناخية على سكان المنطقة.

تعدُّ الطين من أقدم مواد البناء التي عرفها الإنسان منذ ما يقارب عشرة آلاف سنة، فالطبيعة أوحى للإنسان استخدام هذه المادة والتي بها بنى برج بابل في القرن السابع قبل الميلاد كأول ناطحة سحاب عرفها التاريخ، وكذلك انتشر البناء بالطين وبتناغم مع البيئة في حضارات بلاد الرافدين ومصر، والحضارة العربية والإسلامية وفي الهند والمكسيك وفي حضارات متنوعة في إفريقيا.

وقد تم التشييد في تمنطيط بالطين مما يعطي العامل فرصة كبيرة لاختيار الأسلوب الأمثل للبناء في المنطقة، فالتربة هي مادة البناء، متوفرة في معظم مواقع التنفيذ، ومن أهم إيجابياتها الصحية:

- إن مادة الطين مادة طبيعية متوازنة بيئياً وتوفر مناخاً داخلياً صحياً، إضافة إلى سهولة تدوير عناصرها وإرجاعها إلى أصلها وهو التربة، وبالتالي تلافي تراكم المخلفات الناتجة عن أعمال البناء والهدم. عزل الصوت ومقاومة الحريق مما يوفر الخصوصية التامة داخل الفراغات ويعطي مقاومة لآثار النيران ويسهم في سلامة الساكنين

- توفر الأبنية الطينية الطاقة المستخدمة للتبريد والتدفئة عن طريق خصائصها الحرارية الإيجابية حيث أنها تتميز بالقدرة على

تخزين الحرارة والبرودة وفي الوقت نفسه ضعف توصيلها للحرارة الخارجية مما يؤثر في تحسين المناخ وتلاؤم الانسان معه، فمن المعروف برودة المباني الطينية صيفاً، ودفؤها شتاءً وهذا ما أثبتته العديد من الدراسات الحديثة، على غرار علم النفس البيئي في مجال العمران والذي من بين مواضيعه إيجاد العلاقة بين المناخ وسلوك الإنسان.

- مادة الطين مادة طبيعية متوازنة بيئياً، حيث ذكر تقرير «مينكه» أن لبيت الطين منافع جمة، إذ يحافظ على رطوبة الجو بنسبة 50% في الغرف الداخلية، ويستطيع في نفس الوقت امتصاص الرطوبة بشكل يغني عن نافذة الحمام التي تفتح لتهوئته من البخار، كما أن الميزة الثانية هي الاحتفاظ بالحرارة الداخلية للبيت، حيث أثبتت التجارب أن درجة الحرارة في بيت طيني لن تتخطى 25 درجة مهما كانت درجة الحرارة الخارجية، فضلاً عن أن بيت الطين يوفر الكثير من تكاليف التدفئة في الشتاء.

1-2- تقنيات بناء العناصر المعمارية:

لا شك أن المشيدين الأوائل في المناطق الصحراوية أدركوا بعض سلبات البناء بالطين والطوب فقاموا بإدخال بعض التقنيات والإجراءات التي يمكن أن تجعل مبانيهم الطينية أقدر على مقاومة عوامل التعرية والزمن كالاهتمام بالأساسات الحجرية لاسيما في الجهات المحاذية للسواقي ورفع تلك الأساسات وتضمينها بمادة لاحمة.

□ الأسوار والجدران:

أنشئت الأسوار بتقنية البناء بالحجارة غير المنتظمة وغير موحدة حتى الأعلى، كما أننا نجد أن البناء القديم قد وظف خبرته في بنائه، إذ بالرغم من عشوائية التقنية المستعملة إلا أننا نجد سمكه يختلف فهو يقل كلما ارتفع إلى الأعلى، إذ انه كان يخمن أن هذا يطبق التناسب الهندسي للسور مقارنة معطوله، وعلى حسب رأي المهندسين المعماريين في عصرنا الحالي أن الشكل الهرمي للسور يعطيه اتزاناً ومثانة.

كما أن سماكة الأسوار لها الدور الإيجابي على صحة الساكنين، فالتجارب أثبتت ان الجدران المصمتة الخارجية السمكية تحقق اكبر قدر من التأخير الزمني في الناقلية الحرارية وأن جدران الطين بسماكة 40 سم تؤخر الحرارة 15 ساعة. وبالمقابل نجد ان جدران البلوك الأسمنتية بسماكة 20 سم لا تؤخر الحرارة سوى خمس ساعات وست دقائق فقط مما يوفر الكثير من الطاقة التي تصرف للتكييف أو للتدفئة، وما يميزه أيضا هو ندرة الفتحات أو الكوات التي تميزت بصغرها وعلوها في الجدران وقد خصصت تلك الفتحات الصغيرة التي كانت تخترق الجدار الخارجي السميك بقصد التهوية وتوفير الانارة الكافية للرؤية.

□ المداخل والأبواب:

تميزت مداخل الأبنية العامة والقصور في العمارة الإسلامية، بعظمتها وغالبا ما ارتفعت أطرها وعقودها وحناياها الغائرة المحرابية الشكل، حتى بلغت علو جدران الواجهة وربما جاوزت ارتفاعها . في حين نجد أن المداخل في القصور قد بنيت بشكل بسيط جدا، إذ نرى

أن جوانبه أ نشئت بتقنية الحجارة المنتظمة الموحدة (خاصة
 المداخل الرئيسية) ويلاحظ ارتفاع الجدار حوالي 2.80 م مع الجدار
 الموازي له في نفس المحور، حيث
 يتم مد جذعياً وثلاثة في الفراغ الموجود بين الجدارين، ويبلغ
 طول الجذوع المسندة 1.70 م تقريبا. وبالتالي يسطح المدخل
 ويتمربط الجذوع. كما يتراوح عرض هذه المداخل حوالي 1.20م و
 1.40 م. فالباب هو مدخل سور المدينة، وقد يكون الباب بمصرع
 واحد أو اثنين، أو بدونه فكانت مرتفعة بحيث يمكن للفارس أن يلج
 وهو على ظهر فرسه ويحمل العلم أو الراية أو الرمح الطويل دون أن
 يميل وتأخذ هذه الأبواب غالبا أسماء مشهورة ومعروفة، ففي كل
 مدينة أبواب معروفة المكان والاسم وترتبط بها غالبا أحداث تاريخية
 . وفي القصر يظهر كبر وضخامة المدخل الرئيس وهذا لتهويته
 وتحريك أو تغيير الجو الداخلي من فينة لأخرى بواسطة الرياح التي
 قد تغير وتتنظف أرضية الشارع الرئيس طبيعيا. أما المداخل الثانوية
 وأبواب المنازل فبنيت جوانبها غالبا بالحجارة مع الطوب، حيث يصل
 عرضها إلى 0.80 م وارتفاعها لا يتجاوز 1.80م. وهي متفاوتة الحجم
 ومعظمها يميل الى القصر للاحتفاظ بالبرودة صيفا والحرارة شتاء.



□ التسقيف:

تعتمد تقنية التسقيف على جذوع النخيل إضافة إلى استعماله في التدعيم وصناعة الأبواب ،حيث يقوم البناء بتوزيع الجذوع على شكل عوارض تثبت على الجدران أو بين الدعامات والأقواس في الغرف أو الأزقة التي يراد تسقيفها، ويتمتص في بعض أجزاء النخلة من كرناف وجريد وفدام(ليف) الذي تغمره في الماء المالح مسبقا من أجل إكسابه صلابة وليونة في آن واحد، إذ تكون صلابته في عدم قابليته من التكسير والليونة في قابلية تشكيله ،بعد تصفيف الجريد تفرش فوقه طبقة من الملاط المزود بطبقة من المواد العضوية سواء كانت حيوانية أو نباتية كالكرناف الذي يعتبر مادة مقوية ومدعمة للطين ،وهنا تبرز الأهمية الوقائية في انجاز

طبقة عازلة للحرارة وامتصاص الماء ،كما تتجلى في تسهيل عملية تصريف المياه وذلك بفرش السقف في الأخير بطبقة من الملاط الطيني مع التمليس الجيد في السطوح إضافة إلى ترك فتحات في وسط السقف أحيانا من أجل التهوية والإضاءة.

□ السلام:

إن للسلام دورا هاما في القصر سواء داخل البرج أو داخل المنازل خصوصا وأن أغلبها تحتوي جزءا علويا، فالسلام تسهل السير داخل القصر، ولراحة الساكن روعي التوازن بين قائمة ونائمة السلم فضلا عن درجة الانحدار فيه. كما أن الجزء العلوي وهو السطح الذي يخصص للنوم ليلا صيفا وفيه يتلقى الجسم القدر الكافي من الشمس شتاء في البيئة الصحراوية وغياب ذلك يؤدي للتعرض لأمراض مختلفة كالتراجع في الإبصار والهزال.

□ القباب:

استعمال القبّة والتي نجدها بقاياها في بعض الأماكن كالمساجد ونحوها المطلوبة بالجبس أحيانا وهي التي يرتفع إليها الهواء الساخن فيبقى الهواء البارد في الأسفل، ومن الخارج تقوم بكسر أشعة الشمس فلا تكون عمودية تماما، مما يسبب أيضا انزلاقا لمياه الأمطار، فلا تتجمع فوق السطح خصوصا وأن الجبس ضعيف أمام المياه فهو يهرسه، كما تظلى السطوح والجدران بمادة الجبس والجير.

1-3- توزيع المجالات العمرانية:

□ الشوارع:

أملت الشريعة الإسلامية عناية بالغة بالشوارع وحثت على المحافظة عليها ونظافتها وعدم إعاقة حركة المارين بها. فتعتبر أساسية في تشكيل هياكل القصر، فهي بمثابة شريان القصر، الذي يربط بين قلبه وبقية أطراف جسده، فتتنظم بذلك حركته . فالمباني مترابطة والطرق ضيقة ومتعرجة، ساهمت في مقاومة وهج الشمس الحارة وتوفير مساحة ظليلة للمارة والتقليل من سرعة الرياح وحرارتها وقد توقف تشييدها (الشوارع) على حسب حركة السير المتوقعة بها ووظيفتها من جهة ومن جهة أخرى فإن للمناخ الدور الفعال في توجيهها وفي اختيار مواد تشييدها ، وتنقسم الطرق إلى ثلاثة أنواع:

- شوارع رئيسية:

تعد الشوارع الرئيسية من العناصر الأمامية للقصر ووسيلة اتصال بين الداخل والخارج، فهي تقوم بربط القصر مع المناطق المجاورة له كالبيساتين والمقابر، يتم من خلالها الاتصال بالوحدات الرئيسية للقصر من رحبات وسوق ومركز القصر الذي يشغلها لجامع غالبا. تربط بين الأحياء وهي متسعة كمثيلتها في المشرق العربي . ونجد توجيهها من ناحية الشمال وتستعمل للقبول في الصيف لما تتميز به من برودة فهو متعامد مع جهة الشروق.

- شوارع ثانوية أ وطرق فرعية تعرف بالأزقة أو الدروب وتعتبر كممرات للتنقل من الرئيسية إلى الدور ،والتي عادة ما تنتهي إلى بيت عائلة واحدة، وأحيانا بساحة صغيرة تتوزع حولها البيوت، كما تميز دروب القصر بقلة اتساعها وبالتعرج والالتواء وهنا تبرز القيمة الصحية ذلك لتكسير التيارات الهوائية، وأيضا لتأدية وظائف أخرى، مثل تضليل العدو أثناء الحروب.

- وهي قليلة يطلق عليها محليا "الدريب"، أزقة غير نافذة:
وهي أشد ضيقا من الأولى وتفتح بها أبواب

- خاصة للعائلة نفسها. (اللوحة 3).



مما تجدر الإشارة له في الشوارع ما يسمى بالسباط، فبالرغم من اختلاف مسمياته من منطقة إلى أخرى، إلا أنها تتوافق في أن السباط مكان بين حائطين، كما جاء في مختار الصحاح ومحيط المحيط ومعجم البلدان. وإن كان يعني بالفارسية للدلالة على الممر الذي قد سُقِّف ما فوقه. أما عند السكان المحليين فيطلق على ما يلي مدخل البيت ويكون مسقوفاً، ولهذه المسالك وظائف صحية لما قد تشتمل عليه من نوافذ مفتوحة في اتجاهات مختلفة بعضها للإنارة والتهوية، وقد تغطى هذه المناطق بطابق مسقوف أيضاً يسمى (النفالة) لها الدور في تخزين وحفظ بعض المواد الغذائية كاللحوم المملحة والأفرشة بعد ما يتم عرضها لأشعة

الشمس، وقد آتت تلك الأشعة أكلها في تعقيم المواد والأفرشة من مواد ضارة.

وجود السباطات بالشوارع الضيقة والأزقة غرضه الحماية من أشعة الشمس كما أن الضيق والانحناء فيها يعمل على خفض درجة الحرارة كما يضمن الظل فيها وبذلك يبرد الهواء في الأماكن المغطاة.

□ الساحات:

هي تلك الفراغات غير مبنية كثيرا ما أخذت اسم "الرحبة" أو "الرحبية"، وتعرف باسم "الجماعة" حيث تشغل جزءا هاما في القصر، فهي ذات طابع جماعي أو اجتماعي، إذ أنها تشكل أهم مجالات اللقاء وتوفر المجال الملائم لكل الممارسات الجماعية في القصر، هذا الفراغ له دور هاما في القصر فهو فراغ جامع موحد .

□ البيوت:

يعتبر المنزل الوحدة المعمارية الأساسية التي يتألف منها القصر، ويكاد لا يختلف في مظهره الخارجي، فلا تكاد نفرق بين بيوت الأغنياء والفقراء، وتتميز منازل القصر عامة ببساطة تخطيطها فهي ذات طابق واحد يعلوه سطح يزود بغرفة مسطحة أحيانا مما يخفف الوزن على المبنى الطيني. كما يلاحظ خلوها من النوافذ

الخارجية لدواع اجتماعية وحتى في الحالات القليلة التي وجدت بها فهي تفتح في الجزء العلوي للجدران الخارجية، وهذه الأخيرة جدرانها تكون عالية ،مما يحقق نسبة معتبرة من الظل بالشوارع، وهذه المنازل باردة وقت الصيف، فهي مبنية بالطين، كما أن ممراتها ضيقة، كل هذه المميزات لطفت الجو للاستقرار .وتستلهم البيوت ضوء النهار من الفناء الوسطي أو من الفتحات في السقف وذلك لتقي الغرف لهيب الشمس خاصة في فصل الصيف.

ومن العناصر الرئيسية التي تزود بها البيوت في القصر: غرف التخزين:

تسمى في وقت غير بعيد بالمخزن (القمح والشعير ومنتجات أخرى)، وقد وجدت بقاياها في الجهة الشمالية لأجل البرودة في فصل الصيف ومن ثم المحافظة على صلاحية الطعام المخزن.

إضافة إلى السقف المخروطي أو المقبب للمخازن فإن بعض الأواني تميزت بنفس الشكل أيضا ولقد أكد المهندس الفرنسي واستاذ اللاسلكي تورين في كتابه "أمواج من الطاقة" أن الأشكال والأجسام المختلفة كالمخروط والهرم والكرة والمكعب تعمل كأجهزة لتعديل تردد طاقة الكون من أشعة كونية أو شمسية . وأثبت العالم المهندس اللاسلكي التشيكوسلوفاكي كارل دربال بعد أبحاث لأكثر من 25 سنة أن بعض الأشكال الهندسية تكون مفيدة لصحتنا وإن خير نموذج للشكل المفيد للإنسان هو الكرة والهرم ويقول إن بناء

غرف المرضى على شكل الكرة أو الهرم يمكن أن يعجل بشفاء المرضى بشكل كبير. كما أن الهرم ينقي الهواء وينظفه من الروائح الكريهة المقيتة.

- الصحن :

وهو الفناء الذي يعد بمثابة الرئة للمنزل لكونه يساعد في التهوية وتلطيف الأجواء، وهو مصدر لتزويد الغرف بالهواء والضوء ومنتفسها، وبصفة عامة يعمل كمنظم لدرجة حرارة المنزل لذلك قلما يحس القاطنون به ضيقا في التنفس، كما أنه المركز الأساسي الذي تدور فيه النشاطات اليومية لأفراد العائلة.

2- خارجيا:

ونقصد بذلك الإجراءات المتخذة خارج حيز القصر والتي لها أخذها اساكن التمنطيطي كإجراء وقائي خدم صحته وأثر عليها بصفة مباشرة أو غير مباشرة ونذكر على سبيل المثال:

2-1- الحوض الملحي والغطاء النباتي:

بنيت تمنطيط بالقرب من مجمع مائي، لكن درجة الحرارة المرتفعة وقلة المياه أحيانا، خاصة مياه الأمطار، انعكس سلبا على محتواه فشكل كتلا بلورية ملحية، كما انعكس أيضا على الغطاء النباتي، ليصبح نباتات شوكية تنمو بقرب السبخات نظرا لمقاومتها لظروف الملوحة، كل تلك السليبيات كانت من جهة أخرى عامل اقتصاد

وتجارة، فألى جانب سلعة العبيد المستوردة شكلت الكتل الملحية مصدراً لطريق القوافل عبر الصحراء في اتجاه الجنوب ، كما استخدمت بعض تلك النباتات في معالجة بعض الأمراض على غرار نبتة (الغطاس) التي استخدمت في شفاء أمراض العيون من احمرار وغيره.

2-2- دور البساتين:

اشتهرت الحواضر الصحراوية بحقائق النخيل والجنان المنتشرة حول القصر والتي أسهمت في تلطيف الجو وتصفير بيرودة في فصل الصيف. وتمنيط تقع بجوار بساتين النخيل، فألى جانب تلطيف الجو وبعث النسمة واعتبار نخيله كسد حاجز للرمال العاتية والرياح العاصفة، فإن هذا الامتداد الزراعي للقصر أضاف له بُعداً جمالياً آخر، حيث تشمخ قامات النخيل إلى الشمال منها بخضرتها القانية، هذا اللون الذي يبعث الطمأنينة والراحة في النفس، كما أنه اللون الوحيد المتفق على دلالاته المريحة للنفس الإنسانية، لون الثقافة الإسلامية والتصوف والزهد، كما يعبر عن النمو والتجدد في الحياة وكذلك السلام والأمن ، كما له الدور الفعال في الهدوء وإذا توارت شمس الغروب خلف بنيانها أعطت منظرًا بانورامياً رائعاً حيث تخفي اشعتها الذهبية خلف بساتين النخيل وتسقط أشعتها الحمراء على جدرانها الطينية.

2-3- الفقارات والمغارات:

والتي كان الآبار أو الفقارات، تحت القصر تواجدت امتدادات لها الدور أيضا في تلطيف الجو وتنسيمه، فضلا عن جودة مياهها العذبة، كما استخدمت قنواتها في السقي والذي يبعث بصوت خريره على السكينة والارتياح، وإلى جانب ذلك نجد المغارات التي استخدمت في الصيف وكذا لحفظ بعض

الأغذية. (اللوحة 4)

		
الواحة خارج القصر	نظام السقي وتوزيع الماء	الفقارة داخل القصر
اللوحة 4: دور الماء داخل وخارج القصر		

خاتمة:

يعد التراث الصحراوي الجزائري عامة، والتواتي خاصة بما يحويه من تنوع مادي ولامادي؛ أحد أهم مكونات الإرث المتوسطي، الذي وجب الالتفات له والاهتمام به، فمحاولة معرفة ميزاته العمرانية من حيث التخطيط البنائي ومراعاة الحس الوقائي في ذلك البناء، ما هو إلا تنقيب عن ذاكرة تفرض نفسها التواجد الحضاري العالمي عامة والمتوسطية خاصة، إذ أن محاكاة تلك الذاكرة هو نفسه إعادة إحياء وتثمين للتراث المتوسطي الذي يشكل أحد لبناته الأساسية، فضلا عن أن التراث المتوسطي أكد حلقات التراث العالمي عامة.

فمن حيث التخطيط البنائي؛ نجد أن العمران الصحراوي (تمنطيط مثلا) تفرد بنمطية التموضع العام من جهة، ومن جهة أخرى من حيث توزيع أجزائه ومرافقه. وأما من ناحية مراعاة الحس الوقائي فأخذت مادة التشييد بعين الاعتبار، للتأقلم مع طبيعة المناخ والبيئة السائدة في تلك المناطق.

والبناء بالطين بديل قوي لتقنيات البناء الحديثة التي باتت تنقل كاهل الساكنة سلبا في معظمها، حيث إن اعتماد عمارة الطين يعيد العلاقة الحميمة بين الإنسان والبيئة. فهو لا يخلو من بعض العيوب، إلا أن أغلب سلبياته يمكن تلافيتها باستخدام التقنيات المتوفرة الحديثة. وما علينا إلا العودة إلى تراثنا الماضي والتعامل معه وفق ما يتماشى والعصر، وأن نتعلم من أجدادنا الذين عاشوا بتناغم مع البيئة دون إحداث خلل في النظام البيئي.

إننا اليوم بحاجة ماسة لتقنيات حديثة بيئية واقتصادية مستمدة من تراثنا الصحراوي المتوسطي بما يتماشى وحضارتنا ويتناسب مع عصرنا وواقعنا ليكون تراثنا حضاريا متميزا بحق.

المصادر والمراجع بالعربية

المصادر:

- بن أبي بكر الرازي (محمد)، مختار الصحاح، ضبط وتخرّيج وتعليق: مصطفى ديب البغا، الطبعة الرابعة، دار الهدى، الجزائر، 1990.
 - البستاني (بطرس)، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1987.
 - بن عبد الله الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت. دون تاريخ.
- المراجع:
- بكري (عبد الحميد)، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر هجري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2005.
 - حسن محمد (نبيلة)، في تاريخ افريقيا الاسلامية، دار الألمعية الجامعية، الجزائر، 2013.
 - البكري (محمد)، تمنطيط رمز تاريخ وعنوان حضارة، منشورات اللجنة الثقافية، أدرار، الجزائر، دون تاريخ.
 - حملاوي (علي)، نماذج من قصور منطقة الاغواط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرعاية ، الجزائر، 2006
 - خلف الله (بوجمعة)، العمران والمدينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005..

- صالح (حسين)، الابداع وتنوع الجمال، الطبعة الأولى، دار دجلة، عمان ، الأردن، 2008.
- عقاب (محمد الطيب)، مساكن قصر قنادسة الأثرية، دراسة معمارية وأثرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- بن قرية صالح (يوسف)، علم الآثار والهوية المغربية، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر، 2012.
- ماجد (عبد المنعم)، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة، 1963.
- مرهون الصفار (ابتسام)،جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، جدارا للكتاب العالمي،الأردن،2010.
- معزوز (عبدالحق)،العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، الطبعة الأولى منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011..
- محمد أمين (محمد)و علي ابراهيم (ليلي)، المصطلحات المملوكية في الوثائق المعمارية (648-923) هـ،(1250-1517) م، دار النشر بالجامعة الامريكية، القاهرة، 1990.
- سعد عبد الكريم (شهاب)، بلدة القصر وآثارها الاسلامية، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية. القاهرة، 2001.

- ناصف (سعيد)، المدينة الاسلامية، دراسة في نشأة التحضر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2005.
- نوار (سامي)، الكامل في مصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية، الطبعة الأولى، دار الوفاء، الاسكندرية 2005..
- هياق (ابراهيم)، "الأبعاد الاجتماعية والثقافية لنمط العمران الصحراوي في الجزائر"، منشور في كتاب الانسان والعمارة، الندوة الفكرية التاسعة، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر، 2013.
- الموسوعات:
- قابة جمعة (أحمد)، موسوعة فن العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، ملتي للطباعة والنشر، بيروت، 2000.
- وزير (يحي)، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الكتاب للنشر، مصر، 1999.
- المجلات و الدوريات:
- حملاوي (علي)، "القصر بالجنوب الجزائري" مفهوم هو مكوناته"، حوليات المتحف الوطني للأثار عدد 10، مطبعة سومر، الجزائر، 2001.
- العيوي (عبدالرحيم)، "مساهمة علم النفس في حلم شاكل البيئة و النهوض"، مجلة المنهل، عدد: 583، مصر، 2005.

- مصطفى عزب (خالد)، "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية"، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، 1997.

- يعقوب القطب (اسحاق)، خصائص المدينة والتحضر في الدول الإسلامية، مجلة المدينة العربية، العدد 22، الكويت، 1990.

نشریات ومذكرات:

- نشرية بمناسبة الملتقى الوطني الاول بعنوان الشيخ سيدي محمد بن الكبير، يومي 23-24 جوان 2010، ولاية أدرار، الجزائر.

- بومدين (علي)، "الفنون والعادات التقليدية، وأهميتها في التنمية البشرية، دراسة نموذجية لمنطقة توات"، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2012.

- دحمون

- (منى)، "قصر يوسف مغونبولاية البيض، دراسة أثرية وتحليلية"، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر، 2005/2004.

- مسعودي (محمد الصغير)، العمارة والعمران الصحراوي بين الأصالة والمعاصرة، حالة بسكرة، شهادة مهندس دولة في التسيير والتقنيات الحضرية، جامعة مسيلة، الجزائر، 2006.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- GEORGE)Marçais(, L'art Musulman, 1erEd, presse universitaire de France, paris, .1962
- GODAR (C), L'oasis moderne, Essais d'urbanisme saharien, Maison de livre,Alger, .1954
- DONNADIEU (C et P), MIDIDILLON (H et J), habiter le désert,Les maisons mozabites, 3eme .édition, Edition Pierre Mardaga, Bruxelles, 1986
- MOULAY)Mohamed(,caractérisation écologique de peuplement de Balanites aegyptica dans la région d'Adrar,mémoire Master2 en écologie et environnement.université .Tlemcen,2014/2015

خاتمة:

يعد التراث الصحراوي الجزائري عامة، والتواتي خاصة بما يحويه من تنوع مادي ولامادي؛ أحد أهم مكونات الإرث المتوسطي، الذي وجب الالتفات له والاهتمام به، فمحاولة معرفة ميزاته العمرانية من حيث التخطيط البنائي ومراعاة الحس الوقائي في ذلك البناء، ما هو إلا تنقيب عن ذاكرة تفرض نفسها التواجد الحضاري العالمي عامة والمتوسطية خاصة، إذ أن محاكاة تلك الذاكرة هو نفسه إعادة إحياء وتثمين للتراث المتوسطي الذي يشكل أحد لبناته الأساسية، فضلا عن أن التراث المتوسطي أكد حلقات التراث العالمي عامة.

فمن حيث التخطيط البنائي؛ نجد أن العمران الصحراوي (تمنيط مثلًا) تفرد بنمطية التموضع العام من جهة، ومن جهة أخرى من حيث توزيع أجزائه ومرافقه. وأما من ناحية مراعاة الحس الوقائي فأخذت مادة التشييد بعين الاعتبار، للتأقلم مع طبيعة المناخ والبيئة السائدة في تلك المناطق.

والبناء بالطين بديل قوي لتقنيات البناء الحديثة التي باتت تنقل كاهل الساكنة سلبا في معظمها، حيث إن اعتماد عمارة

الطين يعيد العلاقة الحميمة بين الإنسان والبيئة. فهو لا يخلو من بعض العيوب، إلا أن أغلب سلبياته يمكن تلافيها باستخدام التقنيات المتوفرة الحديثة. وما علينا إلا العودة إلى تراثنا الماضي والتعامل معه وفق ما يتماشى والعصر، وأن نتعلم من أجدادنا الذين عاشوا بتناغم مع البيئة دون إحداث خلل في النظام البيئي. إننا اليوم بحاجة ماسة لتقنيات حديثة بيئية واقتصادية مستمدة من تراثنا الصحراوي المتوسطي بما يتماشى وحضارتنا ويتناسب مع عصرنا وواقعنا ليكون تراثنا حضاريا متميزا بحق.

المصادر والمراجع بالعربية

المصادر:

- بن أبي بكر الرازي (محمد)، مختار الصحاح، ضبط وتخرّيج وتعليق: مصطفى ديب البغا، الطبعة الرابعة، دار الهدى، الجزائر، 1990.
- البستاني (بطرس)، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1987.

- بن عبد الله الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت. دون تاريخ.
- المراجع:
- بكري (عبد الحميد)، النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر هجري، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2005.
- حسن محمد (نبيلة)، في تاريخ افريقيا الاسلامية، دار الألمعية الجامعية، الجزائر، 2013.
- البكري (محمد)، تمنطيط رمز تاريخ وعنوان حضارة، منشورات اللجنة الثقافية، أدرار، الجزائر، دون تاريخ.
- حملاوي (علي)، نماذج من قصور منطقة الاغواط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية، الجزائر، 2006
- خلف الله (بوجمعة)، العمران والمدينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005..
- صالح (حسين)، الابداع وتذوق الجمال، الطبعة الأولى، دار دجلة، عمان، الأردن، 2008.

- عقاب (محمد الطيب)، مساكن قصر قنادسة الأثرية، دراسة معمارية وأثرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- بن قرية صالح (يوسف)، علم الآثار والهوية المغربية، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر، 2012.
- ماجد (عبد المنعم)، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة، 1963.
- مرهون الصفار (ابتسام)،جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، جدارا للكتاب العالمي،الأردن،2010.
- معزوز (عبدالحق)،العمارة الصحراوية التقليدية بمدينة تندوف، الطبعة الأولى منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011..
- محمد أمين (محمد)و علي ابراهيم (يللى)، المصطلحات المملوكية في الوثائق المعمارية (648-923) هـ،(1250-1517) م، دار النشر بالجامعة الامريكية، القاهرة، 1990.

- سعد عبد الكريم (شهاب)، بلدة القصر وآثارها
الاسلامية، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية القاهرة، 2001.
 - ناصف (سعيد)، المدينة الاسلامية، دراسة في نشأة
التحضر، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2005.
 - نوار (سامي)، الكامل في مصطلحات العمارة
الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية، الطبعة الأولى، دار
الوفاء، الاسكندرية 2005..
 - هياق (ابراهيم)، "الأبعاد الاجتماعية والثقافية لنمط
العمران الصحراوي في الجزائر"، منشور في كتاب الانسان
والعمارة، الندوة الفكرية التاسعة، مطبعة سخري، الوادي، الجزائر،
2013.
- الموسوعات:
- قابة جمعة (أحمد)، موسوعة فن العمارة الإسلامية،
الطبعة الأولى، ملنقى للطباعة والنشر، بيروت، 2000.
 - وزيرى (يحيى)، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية،
الطبعة الأولى، دار الكتاب للنشر، مصر، 1999.
- المجلات و الدوريات:

• حملاوي (علي)، "القصر بالجنوب الجزائري" مفهوم هو مكوناته" ،حوليات المتحف الوطني للآثار عدد 10 ،مطبعة سومر، الجزائر، 2001.

• العيوي (عبدالرحيم)، "مساهمة علم النفس في حلم شاكل البيئة و النهوض"، مجلة المنهل، عدد: 583، مصر، 2005.

• مصطفى عزب (خالد)، "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية" سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، 1997.

• يعقوب القطب (اسحاق)، خصائص المدينة والتحضر في الدول الإسلامية، مجلة المدينة العربية، العدد 22 ، الكويت ، 1990.

نشریات ومذكرات:

• نشرية بمناسبة الملتقى الوطني الاول بعنوان الشيخ سيدي محمد بن الكبير، يومي 23- 24 جوان 2010، ولاية أدرار، الجزائر .

- بومدين (علي)، "الفنون والعادات التقليدية، وأهميتها في التنمية البشرية، دراسة نموذجية لمنطقة توات"، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان ، 2012.
 - دحمون (منى)، "قصر بوسمغون بولاية البيض، دراسة أثرية وتحليلية"، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار، جامعة الجزائر ، 2005/2004.
 - مسعودي (محمد الصغير)، العمارة والعمران الصحراوي بين الأصالة والمعاصرة، حالة بسكرة، شهادة مهندس دولة في التسيير والتقنيات الحضرية، جامعة مسيلة، الجزائر، 2006.
- المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- GEORGE Marçais(, L'art Musulman, 1erEd, presse universitaire de France, paris, 1962.
- GODAR (C), L'oasis moderne, Essais d'urbanisme saharien, Maison de livre,Alger, 1954.

- DONNADIEU (C et P), MIDIDILLON (H et J), habiter le désert, Les maisons mozabites, 3eme édition, Edition Pierre Mardaga, .Bruxelles, 1986
- MOULAY)Mohamed(, caractérisation écologique de peuplement de *Balanites aegyptica* dans la région d'Adrar, mémoire Master2 en écologie et environnement. université Tlemcen, 2014/2015

قراءة في كتاب الخليج العربي بين إشكاليات التحولات

الحضارية وصناعة العمق الاستراتيجي: دراسة مستقبلية

حول الخصوصية الحضارية والمتغيرات الدولية

مع الاعتماد على كتاب المحددات السياسية واستراتيجية العلاقات الدولية

للباحث الدكتور جمال محمد الهاشمي.

د. سناء محمد الغريص

الباحث الدكتور جمال محمد الهاشمي هو باحث متخصص في العلاقات الدولية يتبنى منظورا جديدا في استراتيجيته بالاعتماد على القواعد الحضارية والأصولية والبيولوجية في دراسة واقعية علمية منهجية، ويرى أن المثالية وسيلة من وسائل تبرير السياسيات الواقعية ولا أساس لوجودها في منطقتي العلاقات الدولية إلا في مدوناتهما التي تستخدم كوسيلة من وسائل تدجين الذهنيات السياسية المستهدفة بينما يرى أنها ذات أهمية ولها وجود حقيقي في السياسات المحلية داخل الدولة كانعكاس لمخاضات الفلسفة الأخلاقية المنتظمة بالعنصر الديني وقوة القانون المنظم للحياة العامة ورعاية الدولة لحقوق الإنسان وحماية الحقوق الفردية وتوفير متطلبات التنمية والرفاه وهذا هو

أساس بنية العمق الاستراتيجي لأي دولة تريد أن تلعب دورا عالميا أو إقليميا، فالديمقراطية في نظر الباحث ذات بعد استراتيجي للدول الغربية وذات بعد تفكيكي للدول العربية والأسبوية.

ومن جهة أخرى ينفي الباحث وجود أي دولة عربية منسجمة داخليا مع مجتمعاتها لغياب متطلبات وعناصر العمق الاستراتيجي وغياب عناصر البنية الحضارية العميقة للدولة، ولكونها دول مستهلكة مقلدة ليست لها بنيات حضارية إلا فيما يدون في كتبها المدرسية. بينما تتميز دول أوروبا بهذا التناغم السلمي داخل المجتمعات لتمييزها بقوة العمق الحضاري السلمي والعدالة القانونية.

الكتاب صادر عن مركز الإصباح للتعليم والدراسات الحضارية والاستراتيجية في فرنسا وتبلغ صفحات الكتاب 220 صفحة بخط 12 (ArabicSimplified) للمتن ومقاس 10 للحواشي.

بدأ الباحث بتشكيل خارطة موسوعية متداخلة ومتشابكة بما لا يمكن المتخصص في فن دون غيره من الفنون استيعاب الدراسة

استيعابا معرفيا كانعكاس لطبيعة الأسلوب القائم على حشد مفاهيمي مدعوما بتفسيرات حيوية لطبيعة العلاقة بين التاريخ والحاضر والذات والآخر.

ولكن بالرجوع إلى كتابه المحددات السياسية واستراتيجية العلاقات الدولية يمكن للقارئ فهم الدراسة حيث سعى الباحث لتأسيس رؤية منهجية حضارية خاصة به ويبدو أن الحواشي التي تزيد على ثلاثة ألف وأربعمائة حاشية قد شكلت لديه هذه الرؤية الشمولية والقاعدة التي تقوم عليه بحوثه وكتاباته الاستراتيجية.

فمثلا هو يفرق في كتابه المحددات السياسية بين أنواع التدين إلى دين وظيفي ودين تقليدي ودين حيوي وقد انحاز إلى الدين الحيوي واعتبره هو الفطرة الرئيسية التي يمكن اعتباره نقيا من الملوثات السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وقد جعل هذا التصنيف في بداية المبحث المخصص عن الأصوليات ثم يسرد التاريخ الأصولي في سلسلة من المنازعات الحضارية والتدخلات الجيوليتكية والثقافية والعرقية والاجتماعية وكأن الباحث حول قراءته بطريقة انعكاسية كونه قدم النتيجة في مقدمة

البحث على الاستدلالات في المتن ليضع للقارئ الفكرة الرئيسية التي توصل إليها في بحثه بعد مقدمة لكل مبحث اعتمده كمدخل ضروري لفهم التحولات الدينية والحضارية.

ويحاول بهذا الأسلوب أن لا يوجه القارئ أو يضع له الطعم الثقافي كعادة البحوث الثقافية التوليفية وإنما سعى لتحفيز العقل، وذلك بتركيزه المطلق على فكرة تشغيل العقلانية الحضارية والذهنية السياسية التي أشار إليها كما أنه لا يتحدث -مثلاً- عن التصوف أو التشيع أو التسنن كحالة طبيعية ومسلمة يقينية بل ذهب الباحث إلى الكشف عن هذه التحولات من خلال مساراتها التاريخية وعلاقتها بالمتغيرات الاقتصادية والسياسية والبيولوجية والثقافية ثم يعود ليحدد طبيعة العلاقة القائمة بين مختلف المعتقدات والعلاقات المتوقعة على جميع مستوياتها واصعدتها الدولية والحضارية والسياسية. في دراسة تجمع بين التاريخ والمستقبل وهو ما أشار إليه في عنوان الدراسة على أنها دراسة حضارية تجمع بين العمق الاستراتيجي والتحولات التاريخية والاحتمالات المستقبلية.

وقد محور دراسته بطريقة تركيبية معقدة وكان القارئ يرى أن هذه الكتابة مع سلاستها أشبه ما تكون بأرقام رياضية وعلاقات هندسية يصعب على القارئ المتخصص الفراغ من الكتاب دون العودة إلى تفسيرات الهامش الذي يكاد يكون كتابا لوحدة فهو بهذه الطريقة يحاول تجميع ذهنية القارئ حول المنهج والأسلوب أكثر من تركيزه على السرد الثقافي ومن ثم يعتمد على الاستدلالات المتواترة التي بنى عليها بالعودة إلى التاريخ كأهم مناجم الدراسة.

ويفيد الباحث أن هذه الكتابات هي خلاصة الخلاصة مما يعني أن الباحث يتميز بقدرته على الحشد المعرفي لا سيما وأن القارئ يجد الكتابة أشبه بالنظم أو النثر الجزل الذي لا يمكن للقارئ اختزل المختزل وربما يصعب ذلك على الباحث نفسه اختزال هذا الكم الهائل من الكتابة

ففي كتابه الأول التي هي بمثابة ديباجة أو أشبه بمقدمة ابن خلدون بعنوان "المحددات السياسية" يصل عدد صفحات الكتاب إلى خمسمائة وثلاث صفحات بمقياس 14 لخط المتن و10 لخط الهامش أما قائمة المصادر فتحمل مقاس 12

(ArabicSimplified) حيث تبدأ قائمة المراجع من الصفحة 428 وتنتهي بـ 503 وتضم 1506 مرجعا وأقام منهجه على أمهات الكتب، وتتميز دراسته بالموضوعية فهو عندما يكتب عن التشيع فيتعمد على سياقاته التاريخية ثم الكتابات المرجعية المعتمدة عند الشيعة وهكذا مع بقية المعتقدات. اعتمد الباحث على النظريات الغربية المشهورة وكتابة المستشرقين ووضع لها معايير حضارية استنباطية فهو حينما يتحدث عن البيولوجيا ونظرياتها الغربية والثيوقراطية يتعامل معها كواقع مفروض لا يمكن للأيدلوجية الإنسانية تجاوزه ولا تستغني عنه النظم العالمية والقوى الدولية، وهو بذلك لا يحاول إلغاء هذه الواقعية المنطقية وإنما يسعى لتنظيم توظيفاتها السياسية والعسكرية والتعامل معها من مدخل أن هذا محدد ثابت لا يمكن الاستغناء عنه لصانع القرار السياسي الملهم وصاحب الذهنية الاستراتيجية.

ويسعى الكاتب بتدرجه أن يجعل الكتاب مرجعا للقادة السياسيين (قادة الفكر والوعي والثقافة والرؤى والاستراتيجيات)، خلافا لثقافة البحوث النقدية التي وجهت بحوثها من منطلق التحيز للهجوم

على نظرية صدام الحضارات لهنتجتون التي يرى الباحث أنها من أعظم النظريات الواقعية التي أبدع فيها الكاتب هنتجتون من منطلق رؤيته الحضارية كأفضل فيلسوف بنى حدائته الفلسفية على قراءات قديمة ومتابعة الظواهر الحديثة وبالمثل نجد هذا الكتاب يتعامل مع فلسفة صدام الحضارات كحقيقة موجهة لخدمة المصالح الغربية وكحقيقة واقعية لا يمكن الاستغناء عنها بالبحوث العربية التي تسعى لإلغاء هذه الواقعية بسلسلة من السجلات الانتقادية والتخدير أو ثقافة الجدل الفلسفي العقيم التي لا تمتلك خطام الفكر الاستراتيجي وحافزية بناء الاستراتيجية الواقعية وهو بذلك يؤكد أن لكتابة هنتجتون عمقا ولها دولة تترجم تلك الكتابات الى علاقات دولية ملزمة على الأطراف الدوليين وحذرة منها وخصوصا بالتركيز على نموية الإسلام الممتدة من قوس الأزمات شمالا في أفغانستان وحتى خليج عدن.

فالجيوإتنيكية بالنسبة للباحث ملغمة بالعرقيات والأصوليات والأيدولوجيات والثقافات والحضارات والجيوعسكرية العابرة للحدود أو المندمجة والمتداخلة في تارات كثيرة الاستيطانية في سجلات

عميقة ومؤثرة بين التاريخ كفلسفة حوادث متراكمة كامنة ومنفجرة في إشارات أخرى.

كما يبرز الكاتب أهمية الرؤية الشمولية والواقعية المنطقية ويلغي فكرة التخصص العلمي والتخصص الدقيق وكأنه يرى أن الرؤية للظاهرة من زاوية معينة وتحليلها من مدخل تخصصي أحادي منهجية خاطئة ومضللة؛ حيث يميل إلى فلسفة الضروريات في رسم خارطة جغرافية متعددة المراكز الحضارية تربط بين حدث التاريخ وقابلية المكان ودور الإنسان وجينولوجيا الأيدولوجيات وفلسفة الأديان، وبنية الحضارات وشخصية المجتمعات ومع هذا فهو يحدد مشارب الحضارات ومنابعها ومن جهة أخرى جداولها التابعة لها.

فهو لم يكتفي في قراءة التحولات الدينية عبر التاريخ للمسيحية مثلاً أو الإسلام وغيرها من المعتقدات الحضارية بل حدد مراكز التحولات الجغرافية للعمق السياسي التاريخي المتقارب مع المعتقدات الدينية التي تحولت لتصبح عنواناً مرجعياً لسياسية الدولة، وأساساً لبناء الحضارة.

وينتقل الباحث وفق رسمه للحدود الجغرافية لهذا النسق الشمولي المنهجي إلى التعامل مع الكيان الكلي للجزيرة العربية كحقيقة تاريخية وضرورة معاصرة ومن ثم وصف حالتها ومتغيراتها وطبيعتها ومعوقات اندماجها وتحديات وجودها وقد اعتمد سياسة التقسيم الجغرافي للجزيرة العربية كواقع مستقبلي مأمول إلى القلب والعقل الاستراتيجي وحدده بجغرافية المملكة العربية وحدد قلب المملكة بمنطقة الحجاز ثم جعل من اليمن عمقا استراتيجيا رافدا للقلب وضرورة جغرافية وبيولوجية، وجعل منطقة الأطراف بقية دول الخليج والأطراف تضعف القلب وتشغله عن العمق مما قد يحول العمق إلى أخطر مناطق التهديد على الكيان الكلي لشبه الجزيرة.

ويتفق الباحث مع هودجسون أن نجد قلب السعودية الديمغرافي، وهو ما يعطي نجداً أهمية جيوسياسية مهمة على مستوى الداخل كما يعطيها قيمة أمنية باعتبارها أحد أحزمة الدفاع عن المملكة بحكم موقعها الاستراتيجي وفي الدائرة الثانية وبنفس النسق يشير إلى منطقة الشرق الأدنى حيث حدد القلب الجيوستراتيجي والتاريخي والبيولوجي ومن أهم ثغور الجزيرة العربية بينما تبرز

سوريا والأردن كمنطقتي عمق للعراق مما يعني احتمالية توسع دائرة الصراع بين القلب والعمق لكن عبر تحولات مختلفة قد تقضي على هوية العراق العربية وتجعل الشام باعتبارها المنطقة التي تحوي مركز دينيا قد يكون مركزا لتعايش الأديان أو لصراعها وهذا الاحتمال الأقرب. وكل ذلك له سلبياتها المرهقة على منطقة الجزيرة العربية حيث وصفها بالباحث بالأحزمة الملتهبة وربط مصر بالشام والجزيرة عبر منطقة سيناء وحذر من سقوط هذه المنطقة التي تعتبر هدفا عسكريا إسرائيليا لما تتميز به من موقع حيوي، ولكنها ترتبط جيوبوليتيكا بالإسكندرية التي أطلق عليها الاستراتيجيون القدامى سيدة الأرض المسكونة؛ ومن يسيطر عليها يسود العالم، ويحفظ السلم والحضارة الرومانية من البرابرة في الداخل والخارج، وقد مكنها موقعها من بناء منظومة سياسية واستخبارية وظفت لإثارة الفوضى، وزعزعت الأنظمة المنافسة، وهذا يتطابق مع السلم الإمبريالي الحديث والمعاصر، وفكرة الامبراطورية اللامتناهية التي تؤدي وظائف امبريالية في التحكم الاقتصادي بالأسواق العالمية، وربط الاقتصاد العالمي بالعملة النقدية الرومانية في التبادلات التجارية

وفي سيناء أحداث موسى (ص)، وفرعون ابتداء بالبعث وحتى الخروج، فهي تدخل ضمن المجالات الحيوية للقوى الدولية من منظور تاريخي ديني اقتصادي وتعد ومن أهم الثغور الدفاعية لشبه الجزيرة العربية، ولها أطول تاريخ عسكري، وأهم منطقة جيواستراتيجية متكاملة تجعل من الصعيد عرضة للضربات الجوية، وتربط أفريقيا بآسيا، ومصر بالشرق الأدنى؛ وعدها الخليفة عمر - رضي الله عنه - خاصة الجزيرة الشمالية، وأول ثغورها الاستراتيجية والاقتصادية؛ فربطها عبر خليج أمير المؤمنين (قناة السويس) مع البحر الأحمر ونهر النيل والفسطاط والقلزم (السويس).

ويأتي موقع الخليج بالنسبة لشبه الجزيرة العربية ضمن نطاق الدائرة الأولى؛ فهو جزء منها وامتداد لها من جانبها الشرقي المتصل بالمنطقة الشرقية ورأى دول الأطراف تحتضن المراكز العالمية الحضارية مما يرشحها لأن تكون من أخطر المناطق والبؤر الاستراتيجية التي تسهم في تشتيت منطقة الجزيرة العربية. وقبل البدء بالدائرة الأولى فإن تحديد منطقة الخليج العربي باستثناء السعودية وعمان يدخل في إطار وضعيته كإشكالية

تاريخية وسياسية رخوة، تتجاذبه الدول الاقليمية الكبرى المطلة على الخليج كإيران والعراق من ناحية الشرق، والسعودية وعمان من ناحية الغرب والجنوب، وهذا التجاذب من أهم أسباب تدخل القوى الحضارية في المنطقة، حيث تقع شبه الجزيرة العربية في قلب المشرق العربي، وفي جنوب غرب آسيا وملتقى الحضارات مما يجعل اتصالها بالعالم الخارجي عبر طريقين اليمن ومنطقة الأطراف مما يستدعي ضرورة تبني رؤية أمنية وقائية ودفاعية مشتركة، ويضيف الباحث أن هذه التجاذبات تسببت في تدمير بنية مجتمع النخبة في هذه الدويلات وخصوصا نخبة السياسية وارتبطت جميعها بأطراف دولية متعددة مما جعلها غير منسجمة مؤسسيا في اتخاذ القرارات بينما تشبعت بالأجناس الدولية التي تعتبر من أهم جماعات الضغط الكامنة للدول الوافدة منها.

ويحدد الباحث أن المعوقات القبلية والقطريات الحدودية والأيدولوجية والعقائدية داخل الجزيرة من أهم أسباب المعوقات التي تحجم الجزيرة عن إداء دورها كقوة رئيسية مواجهة للتحديات القادمة من منطقة الأحزمة وأشار إضافة إلى الجغرافية السياسية المجزأة إلى أن هذه الجغرافيا مدعومة بقوى عقائدية حيث تنقسم

منطقة شبه الجزيرة العربية ثمانية معتقدات دينية بالإضافة الى العديد من الأيدولوجيات القومية والعالمية، وهذا التعدد يدعم ثقافة الصراع أو الفصل بين المكونات الاجتماعية والنطاقات الجغرافية المسيطر عليها حيث يؤكد الباحث أن هذا التعدد قوى كامنة يمكن استغلاله واختراقه من قبل القوى الدولية والقوى الإقليمية المؤثرة كتركيا وإيران مما يضعف السعودية ويهدد استقرارها نتيجة لهذا التعدد والاتصال بقوى التأثير المحيطة. إضافة إلى تعدد أساليب الاقتصاد وتنازعها أو صراعها داخل المنطقة والبعض منها مفروض بقوى دولية عالمية كما يتهدد الجزيرة التعدد الثقافي وتعدد اللغات والأقليات مما يعني غياب الرؤية الأمنية الفكرية والثقافية والعمق الحضاري والاستراتيجي في ظل هذه المعوقات وفي ظل غياب رؤية استراتيجية نابذة عن الذات الحضارية ومكتسباتها التاريخية.

يرى الباحث أن طموحات صدام حسين القومية وفرض دولته الإقليمية الكبرى بالقوة على بقية الدول كانت مدخلا للإطاحة به وتدمير العراق بمؤامرة دولية واخضاعها تحت الاحتلال وبمؤامرة الدول القومية الطموحة في المنطقة كمصر وإيران وإسرائيل

بالإضافة إلى سياسة المعاملة بالمثل لدول الخليج التي كانت ضحية احتلال صدام للكويت وتهديده لمنظومة الدول الخليجية برمتها ومحاولته إزاحة هذه الدول وفرض نفسه شرطي أمريكا في المنطقة ليحل محل الشاه قديما.

كل هذه السياسات التقليدية أو القبلية المغلقة مكن لدخول أمريكا ليس وحدها فقط بل وجميع القوى العالمية الحضارية والإقليمية في منطقة العالم الإسلامي الملتهب بالصراعات المجتمعة وصراع النفوذ والعقائد المحلية، وتجربة صدام حسين هي نفس تجربة عبد الكريم قاسم الذي أعطى شرعية لدخول بريطانيا إلى المنطقة إثر تصريحاته أن الكويت جزء من العراق والفرق بينهما أن الأول صرح والثاني نفذ بعد التصريح مما جعل العراق بالنسبة لدويلات الخليج مصدر شر مهدد لأمنها وسياستها واستقرارها ويقدر ما حاولوا التخلص من نظام صدام فقط وهي إرادة السعودية التي فطنت للمعادلة إلا أن الكويت جعلت قضية الصراع مع العراق ليس سياسيا فحسب بل وايدلوجيا ومجتمعيا وهي الرغبة الأمريكية التي أرادت من دخولها العراق تدمير البنية المجتمعية.

ويسرد الباحث أن شبه الجزيرة العربية تتأزم بأطرافها، وأكثر ما يهددها الشرق المتمركز في آسيا الوسطى وإيران، ويبدأ محور الجيوبولتيك لديه من العراق باتجاه الخليج العربي والشام ولم يكتفي بذلك بل عدد مخاطر ذلك التدفق الثقافي والأبيولوجي وغيرها ورسم لها بعض الأرقام الواردة ونسبة التموجات في المنطقة وظروف هذه المتموجات وأزماتها ومحاور ارتكازها ، ويؤكد الباحث أن الخليج من أهم موضوعات السياسة الأمريكية وبريطانيا العظمى عبر التاريخ الحديث وخلال صراعها مع الدولة العثمانية والحروب الصليبية القديمة، وأنه كان وما يزال أحد مناطق الصراع الموبوءة بين الفرس والروم قوميا وعرقيا واقتصاديا وأمنيا، ومن أهم القواعد الاستراتيجية للإسكندر المقدوني خلال دخوله منطقة الشرق الأوسط ومحاويلته اكتساح الجزيرة العربية التي كانت تفسر عن الأقدمين بأنها مقبرة الغزاة وأن الصحراء تقاثل عن أهلها، كما تقع شبه الجزيرة العربية النفطية بين قوس الأزمات الممتدة من آسيا الوسطى وحتى القرن الأفريقي؛ حيث تسعى واشنطن للسيطرة على جغرافية النفط في منطقتي الخليج وآسيا الوسطى لضمان احتواء

منافسيها الدوليين، وقد صرح وزير الطاقة الأمريكي أن النفط هو السلعة التي تتحكم بالسياسات الدولية والأمنية، ويمنح الدولة المهيمنة الفرصة الكبرى للاستمرار والبقاء في القيادة، وترك أمريكا أن الصراع التاريخي العقائدي بين منطقة الخليج وآسيا الوسطى سيخدم سياستها في المنطقة وذلك من خلال دعم حركات الانفصال والطموحات الانفصالية في المنطقتين وتحديد مناطق النفط عن الصرع على غرار ما هو معتبر في العراق، لا سيما وقد كان العراق من أهم القواعد البرية لغزو الخليج، ومع الثروة النفطية تغيرت الاستراتيجية ليصبح الخليج من أهم القواعد العسكرية التي استخدمت لغزو العراق.

ويرى الباحث ن اليمن من حيث العقلية السياسية منطقة رخوة تغطي عليها الثقافة العسكرية والعنف والتحدي وثقافة الاقتصاد الحربي الذي اعتمده مكونات النظام الاجتماعي والسياسي والعسكري في اليمن باعتبارها من الظواهر المشهورة في اليمن لاستقطاب الدعم من السعودية والقوى الإقليمية والدولية كانعكاس طبيعي لغياب البنية الاقتصادية الحديثة وهشاشة المؤسسات الإدارية وغياب القانون وافتقاره للعدالة الاجتماعية، وانتشار

الفوضى القبلية والحزبية والجهوية والعقائدية والايولوجية إضافة عدم وجود بنية تحتية للأمن المؤسس لقيام الدولة، إضافة إلى أن اليمن في حقب ما قبل التاريخ الإسلامي كانت منطقة جذب وصراع ديني ومحل تجاذبات الفرس والروم في الصراع سهل ذلك نزعة التمزق التي تتميز بها اليمن في تاريخها والتي لم تتفاد لحكم بعد التاريخ الإسلامي إلا لحكم دولة بني أمية وخصوصا خلال ولاية محمد بن يوسف النقي الذي حافظ على بقاء اليمن تحت سيطرة دولة بني أمية من ثم أصبحت اليمن منطقة صراع ونفوذ محلي لم تستقر إلا فترات منقطعة وذلك لأسباب متعلقة بارتباط المحليات بقوى ونفوذ القوى العقائدية كارتباط الدولة الصليحية الإسماعيلية والتصوف بدول آسيا والهند والدولة الزيدية الهاشمية بإيران وغيرها من المعتقدات التي قد يكون ينبوع المعتقد ضعيفا فيبنى ويتحول إلى قوة عسكرية في اليمن باعتبارها من أهم دول الجزيرة العربية التي تحولت من دولة مصدره للمعتقدات والتعليم والثقافات إلى دول موبوءة و مستهلكة للثقافات والمعتقدات نتيجة لسيطرة العنصر السياسي

على المجتمعات والتعليم وتسييس النظم للمجتمعات سياسيا واقتصاديا.

وذلك نتيجة لطبيعتها الجغرافية التي حالت دون وجود ثقافة موحدة وسلطة مركزية قادرة على فرض قانونها على مناطق الريف التي تبلغ ثلاثة أضعاف المناطق الحضرية، ولعدم وجود قوى ثقافية قوية قادرة على احتواء المنطقة بثقافة موحدة للمجتمعات، كما أسهمت التيارات الحزبية على توسيع فجوة الاتصال بين النخب الحزبية وعلى مستوى القاعدة أيضا مما ضاعف من توسيع الفجوة بين المجتمعات نفسيا وثقافيا،

كما أسهمت معتقدات التصوف والتشيع والأحزاب الدينية من تبنى ثقافة الاستهلاك المتعدد والقبول العام أكثر من تبنى ثقافة الحصانة الثقافية الحضارية المتصلة بخصوصيتها البيئية وهو ما جعل اليمن من أكثر مناطق الجزيرة استهلاكيا للتكنولوجيات والمعتقدات والثقافات العابرة للحدود.

وذهب الباحث بعد ذلك إلى استقراء الدائرة العامة الثانية وسماها بمنطقة المحيط ولها أهمية جيوسياسية واقتصادية وثقافية فجعل منطقة القرن الأفريقي من الغرب والجنوب كمحور استراتيجي

متداخل مع جزيرة العرب عبر نقطة الاتصال في مضيق باب المندب وخليج عدن وعلى امتداد الساحل الغربي من البحر الأحمر وفيه أهم مناطق الصراع والاحتواء والتنافس بين القوى الحضارية، وتمتد جغرافية القرن الإفريقي من إريتريا شمالا ، وحتى خليج عدن شرقا، وجنوبا يطل على المحيط الهندي، ويضم إثيوبيا وجيبوتي والصومال حتى شمال كينيا، ويحدده الإنثربولوجيون بالمناطق التي تقطنه القبائل الصومالية (الصومال وأثيوبيا وجيبوتي وكينيا) ويطلق عليه علماء الجيوبوليتك الأمريكان بالقرن الإفريقي العظيم، ويحوي المناطق الممتدة من إريتريا شمالا وحتى تنزانيا جنوبا، وبينهما أثيوبيا وكينيا وأوغندا وتنزانيا والصومال وجيبوتي والسودان وبورندي ورواندا

يتميز القرن الإفريقي بأنه ذات أهمية جيوسياسية وجيوبوليتكية مساوية لمنطقة الشام والعراق ويشهد حضورا قويا للقوى الدولية وصراعا محتدما بين القوى المحلية وهو انعكاس لامتداد التاريخ القديم في العصر العثماني وحتى العصر الأموي باعتباره الخاصة الأمنية-الجنوبية لشبه الجزيرة ومنطقة اقتصادية رئيسية

ضمن مراكز الاتصال الداخلي والمحلي وعبر الأطراف ونتيجة
لاهتمام السلطنة العربية العمانية بهذه المنطقة جعلها من أعظم
دول المنطقة البحرية في المحيط الهندي والمياه العربية.
وبمساعدة أثيوبيا تمكن الاستعمار الغربي من تقسيم الصومال
إلى خمس مناطق نفوذ غربية بقومية ولغات مختلفة وتتوسع
دائرة الوجود الغربي في جيبوتي بمشاركة الولايات المتحدة؛
لتكون أكبر قاعدة عسكرية في أفريقيا، وأهم قاعدة عسكرية
تستخدم لمكافحة الإرهاب في أثيوبيا وإريتريا والسودان وكينيا
والصومال واليمن والبحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي
كما تعتبر أثيوبيا من أخطر مناطق التهديد التي تحتضن القواعد
الإسرائيلية والدولية كما تشارك أمريكا منذ 2001م في مواجهة
الإرهاب كما تحتضن إريتريا الوجود الإيراني ثم فتحت إريتريا
مجالاتها الحيوية وسواحلها وموانئها ومطاراتها الجديد (مصوع)
وجميع أراضيها للوجود الأمريكي، وأصبحت أكبر مركز
استخباراتي معلوماتي في المنطقة ويعبر هذا التوائم الوجودي
الأمريكي - الإيراني في المنطقة عن حقيقة التآمر الأمريكي

الإيراني على الجزيرة العربية إضافة إلى أهمية الوجود الإسرائيلي.

وعلى الجانب الشرقي تقع اليمن؛ التي سبق وكانت بؤرة للوجود الأجنبي في الثغر الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، وقد هيئتها الظروف الاقتصادية للتطبيع مع اليهود إرضاءً لأمريكا، وتكفيراً عن وقفها ضد الولايات في حرب الخليج الثانية.

خسرت دول السعودية ودول الخليج دولة اليمن كأهم عنصر أمني محلي بعد سياستها في فرض العزلة وفصلها عن كيان كلي متكامل ومكمل بعضه استراتيجياً وأمنياً واقتصادياً وثقافياً خصوصاً سياسات الاجحاف المعادية للمجتمع اليمني جراء سياسة النظام خلال حرب الخليج الثانية والهدية التي مكنت السياسة الأمريكية - الإسرائيلية من احتواء اليمن وفصلها عن كيانها الكلي لمنطقة شبه الجزيرة؛ حيث تتربع اليمن في قلب المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وترتبط بالمنظومة الأمنية لمنطقة الخليج، حيث يرى هودجسون أنها في القلب الديمغرافي لشبه الجزيرة العربية، وفي الركن الجنوبي الغربي الجبلي منها، وهي الأكثر تهديداً للأمن القومي

السعودي واستقراره، كما تتميز بصلابتها التي كسرت الأتراك وبريطانيا؛ وبشبيها بنيبال وأفغانستان، حيث لم تكن مستعمرة حقيقية، وليست فيها مؤسسات بيروقراطية قوية، وذكر خبير عسكري أمريكي أن في صنعاء عشرين مليون شخص نو عقلية تجارية، ومسلحين جيدا، وهو ما يثير قلق السعودية. ومن ثم استطاعت أمريكا أن تفرض وجودها في اليمن وتؤسس لها قواعد عسكرية للطائرات بدون طيار ومراكز استخباراتية لاستكشاف العمق المحلي لمنطقة الجزيرة العربية كما تسعى لإنشاء قواعد عسكرية أمريكية مشتركة مع القوات اليمنية داخل اليمن، وبذلك استطاعت أمريكا تحويل الصراع بين العرب واليهود الى الصراع بين حلفائها ومعارضى سياستها. يسعى الغرب لإبقاء إيران كمنطقة تهديد معرقة لإرادة الوحدة القومية العربية ومنع استقلالها واستغلال مواردها البشرية والاقتصادية، لا سيما وقد وصف الرئيس الأمريكي نيكسون إيران بالقوة الإقليمية العظمى المطلة على الخليج؛ لامتلاكها مقومات وجودها من الموارد، وأنها الدولة الإقليمية الوحيدة التي تمتلك

قواعد عسكرية مشرفة على حركة الملاحة في الخليج العربي

وخليج عمان

وفي حرب الخليج الأولى تقاربت سوريا مع إيران وتناقضت قومية وحزبياً مع بعث العراق، وانحازت إلى إيران في الحرب على العراق وقطعت ضخ النفط العراقي عبر أراضيها إلى البحر المتوسط، وتغلب عليها عامل الاقتران العقائدي الشيعي على العامل الانتماء البيولوجي أو الثقافي للغة العربية.

وترتبط هذه الأزمات بمبدأ الدعامتين لنيكسون وذلك بالاعتماد على السعودية وإيران في الشرق الأوسط مع توسيع دائرة التناقض كمقدمة مرحلية لتبرير شرعية الوجود الأمريكي في المنطقة وكانت الثورة الإيرانية هي الفرصة المناسبة التي شرعت مبدأ التدخل السريع والمباشر للدفاع عن الحلفاء من الثورة الإسلامية بإنشاء القواعد الأمريكية في كل دول الخليج ومن ثم استغنت أمريكا عن مبدأ الدعامتين بالوجود الدائم لقواعدها.

يرى الباحث أن البعد الديني هو المحدد الرئيس لأمريكا في احتلال العراق وولييه البعد الاقتصادي-الأممي وأن سقوط سوريا ومنطقة الشام وسيناء في الصراع يندرج تحت البعدين السابقين،

أما منطقة دول الخليج وإيران فيندرجان تحت البعدين الاقتصادي-الأمني، وهو نفس البعدين التي تنظم السياسات الغربية في منطقة آسيا الوسطى وجنوب آسيا والقرن الأفريقي.

وتشير الدراسة إلى أن القوى الإقليمية كإيران وتركيا ومصر سيتورطون بعمليات عسكرية في مناطق الشام والعراق وقد تدخل المنطقة بصراعات إقليمية بدعم من قوى دولية تستهدف المؤسسات العسكرية وتبديد مواردها وتهيئتها لانقلابات محلية وثورات شعبية وصراعات إثنية ومن ثم دعم القوى الانفصالية والجهويات المستقلة داخل تركيا وإيران ومصر. وستشهد المنطقة إعادة رسم خارطتها على أسس طائفية وإثنية وستحدد مناطق النفط حيث ستنشر القواعد الأمريكية وستدخل المنطقة في تحولات جديدة للعلاقات الدولية بين القوى الدولية إما على أساس تقاسم النفوذ أو الصراع عليه.

كما تتعرض اليمن لاستراتيجية التشطير والتجزئة واشغالها بصراعات محلية داخلية وابعاد مناطق امداد النفط وشواطئه الحيوية عن الصراع وتأمين الملاحة الدولية في البحر والمحيط

الهندي. وإعادة تجزئة السعودية إلى عدة أقاليم أشهرها اقليم الاحساء واقليم الحجاز واقليم نجد حيث الكثافة السكانية. ويرى الباحث أن أفضل وسيلة للدفاع الهجوم وبذلك بالتدخل المباشر على غرار إيران واستثمار البعد الأيدلوجي في المناطق المأزومة وذلك بتشكيل قاعدة الإمداد في الكويت والأردن لحماية الجزيرة من الشمال والشرق، وتحويل الشام إلى قاعدة عسكرية متقدمة، واحتواء إيران وتفكيكها من الداخل بدعم التنظيمات المستضعفة والانفصالية، ودعم التنظيمات في فلسطين لعرقلة مشاريع ثل أبيب التوسعية وإشغالها عن التدخل في الشام والعراق والسودان ومصر بأمنها، والتحالف العسكري والاقتصادي البراجماتي مع تركيا ومصر والمغرب ودول أواسط آسيا وباكستان ودمج الإخوان والتنظيمات الإسلامية وإعادة ربطهم بالأصولية السلفية وفصل التنظيم السياسي عن التنظيم الأصولي، أو باستراتيجية الانطواء: وتعني التخلي عن أمريكا أو دعمها في محاربة الإرهاب والانشغال بإعادة ترتيب الجبهة الداخلية والإصلاحات الاقتصادية والمجتمعية، وسحب أصول الاستثمارات الخليجية من السوق الأمريكية واستثمارها في

مواجهة التحديات الحضارية وتقوية العمق الدفاعي وإعادة
توظيف النفط تنمويا في علاقات دولية براجماتية، وإعادة نقل
الصراع الحضاري وتحويله من الصراع مع الإسلام إلى الصراع
على المصالح بين أوروبا وأمريكا أو بين روسيا والغرب ودول
آسيا.

وأن أهم استراتيجيات أمن جزيرة العرب كما أشارت إليه النماذج
التاريخية وتجاربها السياسية يبدأ من نقطة العمق الاستراتيجي
في جنوبها وذلك باستغلال الموارد البشرية وتوظيفها أمنيا وتنمويا
على امتداد الشريط الساحلي المحيط بمنطقة شبه الجزيرة
العربية، وعلى ذلك فإن اليمن أهم قاعدة أمنية خلفية لتحرير
شمال الجزيرة وشرقها وحماية أمنها وحدودها، وأن ضعفها
وتهميشها يؤثر سلبا على قلب الجزيرة وأطرافها، وأن ضعف
منطقة العمق يدفع بمناطق التحدي من التوسع نحو قلب الجزيرة
وعمقها وأن انفصال منطقة العمق عن إدارة القلب يدخلها في
فوضى ويدفع بها نحو الاستقلال والارتباط بإدارات خارجية
حضارية متحدية ومعادية.

ولمعالجة الأزمات فمن الأهمية بمكان السعي للتخلص من الصراعات السياسية بين أنظمة دول الخليج والعمل على تأمين بوابتها الجنوبية اليمن، ودمجها اجتماعيا للتخلص من خلل السكان بعد تأهيل اليمن وفقا للثقافة الحضرية الخليجية قبل مجها المباشر وبناء جيش بري بحري من أبناء الجزيرة العربية ونقل التركيز السكاني إلى مناطق الساحل لضمان الحماية الأمنية والاستفادة منه، ودعم استقرار سوريا كأهم ثغور الجزيرة العربية من الشمال، والعراق من الشرق لتحييد التدخل الفارسي، وإعادة دمج العمالة الوافدة المستوطنة في منطقة الخليج ثقافيا ولغويا، ومن ثم إعادة تحديد خارطة الجزيرة العربية وربط شواطئها وجزرها بالتنمية الاقتصادية والأمنية وفتح المنطقة على دول المنطقة العربية وتجذير مقومات العمق التاريخي والقري البيولوجية والحضارية.

وخلاصة ذلك أن دول منطقة الخليج لن تكون بمنأى عن الصراع الوجودي لبقائها واستمرار دولها إلا بإحداث رؤية جماعية أمنية تدفع بالمنطقة نحو التركيز أمنيا على وجودها في منطقة الشرق الأوسط المعروفة بالأزمات الجيوليتيكية

والاقتصادية، وأن التركيز الأمني يتعدّد ثقافي وحضاري ومجتمعي وبذلك بالانضباط التام بالمحددات الاستراتيجية التي أشار إليها الباحث في كتابه الأول وبالضوابط الرئيسية التي أشار إليها في كتابه الثاني.

ومن خلال قراءتي للكتاب فإنه يتميز بالعمق والثراء والتشابه والتعدد في فلسفة كلية شمولية يصعب اختزاله في قراءة مقتضبه وذلك لكونه كتابا منهجيا وليس مؤلفا ثقافيا يجد القارئ أنه يبحر صلب الوعي والسلوك معا ويمنح القارئ القدرة على وضع التصورات والرؤى وبقراءته الواعية يستطيع بعدها التمييز فعلا بين الكتابات المنقولة أو التوليفات وبين الكتابات المنهجية العميقة التي تقدم المعرفة في صياغة منهجية تحرك بواعث العقل نحو التفكير المتعدد المجالات.. المتشابه التخصصات، ولقراءة ما جاء عن الباحث في كتابه الثاني يمكن الرجوع إلى فهمه موضحا أصوله المنهجية في كتابه الأول؛ لا سيما وقد وضع تصورا حضاريا مستقبليا لكتابات المنهجية كمدرسة جديدة مهمة في حقل العلاقات الدولية. ويستغني به الباحث في حقل

علم الاجتماع أو العلوم السياسية أو في علم الحضارات وفي علم الجغرافيا السياسية والجغرافية العسكرية كمرجع أم ومنتهى طالب العلم البادئ ولا يستغني عنه المنتهي.

في الأخير فإني وقفت على الكتابين ووجدت الأسلوب عميقا متعدد أبعاده في الفهم والمجالات ومنضبطا في المعايير والمحددات وداخل المحددات محدثات أخرى تتكامل مع بعضها ولديه قدرة عميقة على مركزة المفاهيم حول محور رئيس يجعل القارئ يعيش حالة من الذهول حول المنهج من جهة باعتباره منهج متعدد ومتوأم في إعادة بناء المعمار الهندسي للفكرة المحورية بالإضافة إلى الأسلوب الذي يفسر الجزئيات ثم يحشوها بتفسيرات في الهامش وقد وجدت أن هذه الكتابة ليس هي خلاصة قراءة لما يزيد عن ألف واربعمئة قراءة وإنما اختلطت معها تجربة الباحث وخبرته في مخاطبة العقل الأول وحاول تجريد العاطفة أو التحيز والميول فمن نقد الذات الى نقد النقد للذات وأيضا إلى موضوعيته في تناول قراءة الآخر..

وخلصه ما توصلت إليه أن الكتاب مهم جدا لصناع القرار
السياسي وخصوصا في منطقة الخليج العربي.

مجلة متخصصة بالعلوم الإنسانية والفكر والمجتمع
مجلة أكاديمية فصلية محكمة
تصدر عن مركز الإصباح للتعليم و الدراسات الحضارية والإستراتيجية

مجلة الإصباح

Centre Al-ISBAAH pour l'éducation ,les etudes civilisationnelles
et stratégiques

Siège social : Rés Hauts de l'Hippodrome

Rue des treytins

Eysines 33320

France

Contact

E-mail: alisbaahcenter@gmail.com

Tel Fixe : 0033 - 0951700220

Tel mobile : 611094381-0033

